موسوعة النابلسي للعلوم الإسلامية

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي



ايات الله في الافاق

www.nabulsi.com info@nabulsi.com

الباب الاول :مقدمات عن هذا الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الإعجاز

إن الله خلق الإنسان في أحسن تقويم ، وكرمه أعظم تكريم ، وسخر له الكون تسخير تعريف وتفضيل ، ووهبه نعمة العقل ، وفطره فطرة تنزع إلى الكمال ، وأودع فيه الشهوات ليرقى بها صابراً أو شاكراً إلى رب الأرض والسماوات ، ومنحه حرية الإرادة ليعجل علمه ثميناً ، وأنزل كتباً أحل له بها الطيبات ، وحرم عليه الخبائث ، كل ذلك ليعرف ربه فيعبده ، ويسعد بعبادته في الدنيا والآخرة

إنّ الحقَّ لابَسَ خلقَ السماواتِ والأرض ، وهو الشيءُ الثابتُ والهادفُ ، بخلافِ الباطلِ ، فإنه الشيءُ الزائلُ والعابثُ ، إنّ الحقَّ دائرةٌ تقاطعُ فيها أربعةُ خطوطٍ ؛ خطُّ النقلِ الصحيح، وخطُّ العقلِ الصريح، وخطُّ الفطرةِ السليمةِ، وخطُّ الواقع الموضوعيِّ، فالنقلُ الصحيحُ كلامه سبحانه وتعالى ، مع بيان المعصوم عليه الصلاة والسلام ، والعقلُ الصريحُ ميزانٌ من خلق الله أودعه اللهُ في الإنسان ليتعرفَ من خلالهِ إلى الله ، والفطرةُ ميزانٌ آخرُ متطابق مع الشرع الإلهيِّ ، وهو مركوزٌ في أصل كيان الإنسان ليكشفَ من خلالها خطأه ، والواقعُ خلقُ الله تحكمهُ القوانينُ التي قننها اللهُ جل جلاله ، فإذا كانت هذه الفروعُ الأربعةُ من أصلٍ واحدٍ فهي مطابقةٌ فيما بينها

يقومُ دين الله بشرائعهِ المتعددةِ على أصلين لا ثالث لهما ، قال تعالى:

{وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ (25)}

[الأنبياء : 25]

فالأصلُ الأولُ معرفةُ الله موجوداً وواحداً ، وكاملاً ، وهو ذو الأسماء الحسنى والصفات العلا ، وهذا هو التوحيد، والأصلُ الثاني معرفةُ منهجه من أجل عبادته التي هي علةُ وجودِ الإنسان ، وهي طاعة طوعية ، ممزوجة بمحبةٍ قلبيةٍ ، أساسها معرفةٌ يقينيةٌ ، تفضي إلى سعادةٍ أبديةٍ ،)وهذه هي العبادةُ فالتوحيدُ قمةُ العلم ، والعبادةُ قمةُ العمل

إن الله جل جلاله خلق الكون بسماواته وأرضه ، وخلق العوالم ، وعلى رأسها الإنسان وفق أنظمة بالغة الدقة ، ومن أبرز هذه الأنظمة نظام السببية ، وهو تلازم شيئين وجوداً وعدماً ، أحدهما قبل

الآخر ، فنسمي الأول سبباً ، ونسمي الثاني نتيجة ، ومما يكمل هذا النظام الرائع أن العقل البشري يقوم على مبدإ السببية ، أي أن العقل لا يفهم حدثاً من دون سبب ، ومن رحمة الله بنا أن هذا النظام في الكون ، وذاك المبدأ في العقل يقودنا برفق إلى معرفة الله مسبب الأسباب ، الأقدام تدل على المسير ، والماء يدل على الغدير ، أفسماء ذات أبراج ، وأرض ذات فجاج ، ألا تدلان على الحكيم الخبير ؟

ومن رحمة الله بنا أيضاً أن تلازم الأسباب مع النتائج يضفي على الكون طابع الثبات ، ويمهد الطريق لاكتشاف القوانين ، ويعطي الأشياء خصائصها الثابتة ليسهل التعامل معها ، ولو لم تكن الأسباب متلازمة مع النتائج ، ولو لم تكن النتائج بقدر الأسباب لأخذ الكون طابع الفوضى والعبثية ، ولتاه الإنسان في سبل المعرفة ، ولم ينتفع بعقله ، لكن من اعتقد أن الأسباب وحدها تخلق النتائج ، ثم اعتمد على الأسباب وحدها فقد أشرك لذلك يتفضل الله على هذا الإنسان الذي وقع في الشرك الخفي فيؤدبه بتعطيل فاعلية الأسباب التي اعتمد عليها ، فيفاجأ بنتائج غير متوقعة ، ومن ترك الأخذ بالأسباب متوكلاً ـ في زعمه ـ على الله فقد عصى ، لأنه لم يعبأ بهذا النظام الذي ينتظم الكون ، ولأنه طمع بغير حق أن يخرق الله له هذه السنن ، أما المؤمن الصادق فيأخذ بالأسباب من دون أن يعتقد أنها تصنع النتائج ، وبالتالي من دون أن يعتمد عليها ، يأخذ بها ، وكأنها كل شيء ، ويعتمد على الله ، وكأنها ليست بشيء ، معتقد أنه ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن ، وأن الأسباب وحدها لا تقود إلى النتائج إلا بمشيئة الله ، وهذا هو التوحيد الإيجابي ، الذي يغيب عن كثير من المؤمنين فضلاً عن غير المؤمنين ، قال تعالى:

{وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ (106)}

[يوسف : 106]

لكن هذا النظام نظام السببية يخرق أحياناً متى وكيف ؟

حينما يأتي إنسان ويقول إنه رسول من عند الله جاء ليبلغ منهج الله لابد من أن يطالبه الناس ببرهان، على أنه رسول الله ، وعلى أن الكتاب الذي جاء به هو من عند الله ، وهنا تأتي المعجزة لتكون برهاناً على صدق إرسال النبي ، ومصداقية منهجه ، والمعجزة في بعض تعاريفها خرق لنواميس الكون ولقوانينه ، ولا يستطيعها إلا خالق الكون ، لأنه هو الذي وضع القوانين،والنواميس، يعطيها لرسله لتكون برهاناً على صدقهم في إرسالهم ، وصدقهم في إبلاغهم عن ربهم ، والمعجزة ممكنةٌ عقلاً غير مألوفة عادةً ، فهناك فرق بين أن يحكم العقل على شيء باستحالته ، وأن يعلن عجزه ، عن فهم هذا الشيء ، فعدم العلم بالشيء لا يلزم العلم بعدمه

ولكن لا معنى للحديث عن المعجزات التي هي خرق للنواميس والعادات ، عن جزئياتها ، وعن وقوعها ، أو توهمها ، إذا كان أصل الدين الذي يتلخص في الإيمان بالله ، موجوداً ، وواحداً ، وكاملاً ، والإيمان أنه بكل شيء عليم ، وعلى كل شيء قدير ، وفعال لما يريد ، إذا كان هذا الأصل محل إنكار أو شك فلا معنى للحديث عن المعجزات أصلاً ، فالناس يخاطبون عادةً بأصول الدين ، والمؤمنون يخاطبون بفروع الدين ، والحديث عن المعجزات من فروع الدين ، فإذا كان الأصل مهتزاً فلا جدوى من الحديث عن المعجزات ثم إن الكون بمجراته وكازاراته ، وكواكبه ومذنباته ، بالمسافات البينية ، والسرعات الضوئية بحجوم النجوم ، بدورانها ، وتجاذبها ، وإن الأرض بجبالها ، ووديانها ، وسهولها ، وقفارها ، ببحارها ، بحيراتها ، بينابيعها ، وأنهارها ، بحيواناتها ، ونباتاتها ، بأسماكها ، وأطيارها ، بمعادنها ، وثرواتها ، وإن الإنسان بعقله ، وعاطفته، وأعضاءه ، وأجهزته ، بفطرته ، وطباعه ، بزواجه ، وذريته ، هذه كلها معجزات ، وآية معجزات، وبكلام مجمل الكون بسماواته وأرضه ، هو في وضعه الراهن ، من دون خرق لنواميسه من دون خروج عن نظامه ، هو في حد ذاته معجزة ، وأية معجزة والدليل قوله تعالى:

{إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (190) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (191)}

[آل عمران : 190 - 191]

غير أن الإنسان لانهماكه بمشاغله ، وغفلته عن خالقه ، ولطول ألفته لما حوله ينسى وجه الإعجاز في الكون ، ويغفل عن عظمة الخالق فيما خلق ، فيحسب جهلاً منه ، وغروراً أن المعجزة هي تكلم التي تخالف ما ألف واعتاده ، ثم يمضي هذا الإنسان الجاهل فيتخذ مما ألفه واعتاده مقياساً لإيمانه بالأشياء ، أو كفره بها ، وهذا جهلٌ عجيبٌ في الإنسان ، على الرغم من ارتقاءه في مدارج المَدَنيَّةِ والعلم ، فتأمل يسيرٌ من الإنسان يوضح له بجلاء أن الخالق جل وعلا الذي خلق هذا الكون المعجزَ ليس عسيراً عليه أن يزيد فيه معجزة أخرى ، أو أن يبدل ، أو أن يغير في بعض أنظمته التي خلق العالم وفقها

يقول بعض العلماء الغربيين القدرة التي خلق العالم لا تعجز عن حذف شيء منه ، أو إضافة شيء إليه ، ولو لم يكن هذا العالم موجوداً ، ولو قيل لرجل ممن ينكر المعجزات والخوارق سيوجد عالم صفته كذا وكذا ، فإنه سيجيب فوراً هذا غير معقول ، ولا متصوِّر ، ويأتي إنكاره هذا أشد بكثير من إنكاره بعض المعجزات

والشيء المهم هما أن نعلم أن الرسل السابقين بُعثوا لأقوامهم ليس غير ، فكانت معجزاتهم حسية ، محدودة بالزمان والمكان الذي بعثوا فيه ، إذن معجزاتهم كتألق عود الثقاب ، وقعت مرة واحدة ، وأصبحت خبراً يصدقه من يصدقه ، ويكذبه من يكذبه

أما نبينا محمد عليه الصلاة والسلام ، الذي هو خاتم الأنبياء والمرسلين ، وأرسل إلى الناس كافة بشيراً ونذيراً ، فينبغي أن يكون من معجزاته ما هو مستمر ، ولذلك كانت آيات الإعجاز العلمي في الكتاب والسنة معجزة علمية نصية

ففي القرآن الكريم ألفٌ وثلاثمئة آية تتحدث عن الكون ، وعن خلق الإنسان ، وهذه الآيات تتقرب من سدس القرآن ، وإذا كانت آيات الأمر تقتضي الطاعة ، وآيات النهي تقتضي الترك ، فماذا تقتضي آيات الكون ؟ إنها تقتضي التفكر ، لذلك ورد في الأثر:

(تفكر ساعة خير من قيام ليلة)

مصنف غبن أبي شيبة من قول الحسن البصري **35223**، وشعب البيهقي قول أبي الدرداء **118**

ولحكمة إلهية بالغة لم يفسر النبي عليه الصلاة والسلام هذه الآيات ؛ إما باجتهاد منه ، أو بتوجيه من الله جلت حكمته ، لأنه لو فسرها على النحو يناسب فهم من حوله لأنكر هذا التفسير من سيأتي بعده ، ولو فسرها تفسيراً يفهمه من سيأتي بعده لاستغلق هذا التفسير على من حوله

لذلك تركت هذه الآيات للعصور اللاحقة ، ليكشف التقدم العلمي في كل عصر جوانب الإعجاز فيها ، وبهذا يكون القرآن الكريم ، بما فيه من آياتٍ كونية معجزة مستمرة إلى يوم القيامة

العلم

والعلم كما يرى بعض العلماء ؛ علم بالله ، وعلم بأمره ، علم بخلقه ، أو علم بالحقيقة ، وعلم بالشريعة ، وعلم بالخليقة ، والعلم بالله اصل الدين ، والعلم بأمره أصل العبادة ، والعلم بخلقه أصل في صلاح الدنيا .

لقد دعا الإسلام إلى العلم بالله ، من خلال التفكر في خلق السماوات والأرض ، حيث تتابع الأمر به من سور القرآن ، وعد الأساس الأول للبناء دعائم العقيدة والإيمان قال تعالى

{فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ (5) خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ (6) يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ (7)}

[الطارق : 5 - 7]

وقال تعالى :

{فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ (24) أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا (25) ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا (26) فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (27) وَعِنَبًا وَقَضْبًا (28) وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا (29)}

[عبس : 24 - 29]

وقال أيضاً :

{أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (17) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (18) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (19) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (20)}

[الغاشية : 17 - 20]

وقال تعالى :

{قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ (101)}

[يونس : 101]

والتفكر في خلق السماوات والأرض نوعٌ من العبادات ، بل هو من أرقى العبادات ،

ففي صحيح ابن حبان عن عطاء عن عائشة رضي الله عنها قالت **:(........أتاني النبي عليه الصلاة والسلام في ليلتي وقال ذريني أتعبد لربي عز وجل ، فقام إلى القربة ، فتوضأ ، ثم قام يصلي ، فبكى حتى بل لحيته ، ثم سجد حتى بل الأرض ، ثم اضطجع على جنه ، حتى أتى بلال يؤذنه بصلاة الصبح ، فقال يا رسول الله ما يبكيك ، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فقال ويحك يا بلال ، وما يمنعني أن أبكي وقد أنزل الله تعالى في هذه الليلة إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب**

صحيح ابن حبان **620**

انظر إلى الشمس ، وسل من رفعها ناراً ، ومن نصبها مناراً ، ومن ضربها ديناراً ، ومن علقها في الجو ساعة ، يدب عقربها إلى قيام الساعة ، ومن الذي آتاها معراجها ، وهداها أدراجها ، وأحلها أبراجها ونقل في سماء الدنيا سراجها ، الزمان هي سبب حصوله ، ومن شعب فروعه وأصوله ، وكتابه وفصوله ، لولاها ما اتسقت أيامه ولا انتظمت شهوره وأعوامه ، ولا اختلف نوره وظلامه ، ذهب الأصيل من مناجمها ، والشفق يسيل من محاجمها ، تحطمت القرون على قرنها ، ولم يمح التقادم لمحة حسنها

لقد صدق الله العظيم إذ يقول :

{سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (53)}

[فصلت : 53]

وانظر إلى القلب ، في فعله وأثره ، وغرضه ووطره ، وقدره وقدره ، وحيطانه وجدره ، ومنافذه وحجره ، وأبوابه وستره ، وكهوفه وحفره ، وجدوله وغديره ، وصفائه وكدره ، ودأبه وسهره ، وصبره وحذره ، وعظيم خطره ، لا يغفل ولا يغفو ، ولا ينسى ولا يسهو ، ولا يعثر ولا يكبو ،

ولا يخمد ولا يخبو ، ولا يمل ولا يشكو ، وهو دائبٌ صبور ، بأمر الذي أحسن خلقه ، وأعد له وعدته ، وأقود فيه جذوته وقدر له أجله ومدته ، يعمل من دون راحةٍ ، ولا مراجعة ولا توجيه لقد صدق الله العظيم إذ يقول

{سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (53)}

[فصلت : 53]

وانظر مع سيدنا علي رضي الله عنه انظر إلى النملة في صغر جثتها ، ولطافة هيئتها ، لا تكاد تنال بلحظ البصر ، ولا بمستدرك الفكر ، كيف دبت على أرضها ، وصبت على رزقها ، تنقل الحبة إلى جحرها ، وتعدها في مستقرها ، تجمع من حرها لبردها ، ومن وردها لصدرها ، مكفولة برزقها ، مرزوقة بوسقها ، لا يغفلها المنان ، ولا يحرمها الديان ، ولو في الصفا الوابد ، والحجر الجامد ، ولو فكرت في مجاري أكلها ، في علوها وسفلها ، وما في الجوف من شراسيف بطنها ، وما في الرأس من عينها وأذنها ، لرأيت من خلقها عجبا ولقيت من وصفها تعبا ، فتعالى الله الذي أقامها على قوائمها ، وبناها على دعائمها ، لم يشركه في فطرتها فاطر ولم يعنه على خلقها قادر

لقد صدق الله العظيم إذ يقول :

{وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ (38)}

[الأنعام : 38]

هذا عن العلم بالله ، علم الحقيقة ، فماذا عن العلم بأمر الله ، علم الشريعة ؟

إن الإنسان إذا تفكر في خلق السماوات والأرض ، فعرف الله خالقاً ومربياً ومسيراً ، وعرف طرفاً من أسمائه الحسنى ، وصفاته الفضلى ، يشعر بدافع قويٍّ إلى التقرب إليه من خلال امتثال أمره ، واجتناب نهيه ، عندها يأتي علم الشريعة ليبين أمر الله ونهيه ، في العبادات والمعاملات والأخلاق والشريعة عدل كلها ، ورحمة كلها ، ومصالح كلها ، وحكمة كلها، فكل مسألة خرجت من العدل إلى الجور ، وعن الرحمة إلى ضدها ، وعن المصلحة إلى المفسدة ، وعن الحكمة إلى العبث ، فليست من الشريعة ، وإن أدخلت عليها بألفِ تأويل وتأويلٍ .

قال عليه الصلاة والسلام فيما رواه الإمام البخاري في صحيحه :

(من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين)

البخاري **71**، مسلم **1037**عن معاوية

بقي علم الخليفة، لقد دعا الإسلام إلى العلم بضائع الأشياء وخصائصها ، والقوانين التي يحكم تحكم

العلاقة بينها ، كي نستفيد منها ، تحقيقاً لتسخير الله جل وعلا الأشياء لنا قال تعالى :

{أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ (20)}

[لقمان : 20]

{لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (25)}

[الحديد : 25]

وتعلم العلوم المادية يحقق عمارة الأرض عن طريق استخراج ثرواتها ، واستثمار طاقاتها ، وتذليل الصعوبات ، وتوفير الحاجات تحقيقاً لقوله تعالى :

{وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ (61)}

[هود : 61]

وتعلم العلوم المادية ، والتفوق فيها قوة ، يجب أن تكون في أيدي المسلمين ، ليجابهوا أعداءهم ، أعداء الحق والخير والسلام ، تحقيقاً لقوله تعالى

{وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ (60)}

[الأنفال : 60]

ولأن قوة هذا العصر في العلم ، بل إن الحرب الحديثة ليست حرباً بين ساعدين ، بل هي حرب بين عقلين ، فينبغي أن يكون المسلم قوياً لأن الحق الذي يحمله يحتاج إلى قوة ، قد قال عليه الصلاة والسلام :

(المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كلٍ خير)

مسلم **2664** عن أبي هريرة

في القرآن والسنة

إن معجزة القرآن العلمية لتظهر لأهل العلم في كل مجال من مجالاته ، فهي ظاهرة في نظمه ، وفي إخباره عن الأولين ، في إنبائه بحوادث المستقبل ، وفي ظهور حكم التشريع وغيرها ، ولقد شاع مصطلح الإعجاز العلمي في عصرنا للدلالة على أوجه الإعجاز في القرآن والسنة ، والتي كشفت عنها العلوم الكونية ، والمعجزة في اصطلاح العلماء أمر خارق للعادة ، مقرون بالتحدي ، سالم من

المعارضة .

وإعجاز القرآن يُقصد به تحدي القرآن الناس أن يأتوا بمثله ووصف الإعجاز هنا بأنه علمي نسبة إلى العلم ، الذي هو حقيقة ، مقطوع بها ، تطابق الواقع ، عليها دليل ، فإذا لم يكن مقطوعاً بها كانت وهماً ، أو شكاً ، أو ظناً ، إذا لم تطابق الواقع كانت جهلاً ، وإذا افتقرت إلى الدليل كانت تقليداً .

والإعجاز هو إخبار القرآن الكريم أو السنة النبوية بحقيقة أثبتها العلم التجريبي ، وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية ، في زمن رسول الله عليه الصلاة والسلام ، مما يظهر أو يؤكد صدقه فيما أخبر به عن ربه سبحانه وتعالى ، والمعجزة القرآنية ـ بما تتضمنه من حقائق علمية ـ دليل على عالمية الرسالة الإسلامية .

لمّا كان قبل محمد عليه الصلاة والسلام يبعثون إلى أقوامهم خاصة ، ولأزمنة محدودة ، فقد أيدهم الله ببينات حسية ، مثل عصا موسى عليه السلام وإحياء الموتى على يد عيسى عليه السلام ، وتستمر هذه البيانات الحسية محتفظة بقوة إقناعها في الزمن المحدد لرسالة كل رسول ، حتى إذا تطاول الزمن ، وتقادم ، وتكدر نبع الرسالة الصافي ، اختفت قوة الإقناع الحسية ، وبعث الله رسولاً آخر بالدين الذي يرضاه ، وبمعجزة جديدة ، وبينة مشاهدة ، ولما ختم الله النبوة بمحمد عليه الصلاة والسلام ضمن له حفظ دينه ، وأيده ببينة كبرى ، تبقى بين أيدي الناس إلى قيام الساعة ، قال تعالى :

{قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (19)}

[الأنعام : 19]

وقال تعالى :

{لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا (166)}

[النساء : 166]

وفي هاتين الآيتين اللتين نزلتا رداً على تكذيب الكافرين بنبوة محمد عليه الصلاة والسلام بيان لطبيعة المعجزة العلمية التي تبقى بين أيدي الناس وتجدد مع كل فتح بشري ، في آفاق العلوم والمعارف ، ذات الصلة بمعاني الوحي الإلهي .

وهكذا تسطع بينة الوحي المنزَّل على محمد عليه الصلاة والسلام بما نزل فيه من علم إلهي يدركه الناس في كل زمان ومكان ، ويتجدد على مر العصور والدهور ، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام

((ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلي ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة))

البخاري **4696**، مسلم **152**عن أبي هريرة

قال ابن حجر عند شرحه لهذا الحديث**(... رتب هذا الكلام على ما تقدم من معجزة القرآن المستمرة لكثرة فائدته ، وعموم نفعه ، لاشتماله على الدعوة والحجة والإخبار بما سيكون فعم نفعه من حضر ، ومن غاب ، ومن وجد ، ومن سيوجد فحسن ترتيب ذلك وقيل المراد أن معجزات الأنبياء انقرضت بانقراض أعصارهم فلم يشاهدها إلا من حضرها ، ومعجزة القرآن مستمرة إلى يوم القيامة وخرقه للعادة في أسلوبه ، وبلاغته ، وأخباره بالمغيبات ، فلا يمر عصر من الأعصار إلا ويظهر فيه شيء مما أخبر به أنه سيكون يدل على صحة دعواه...)**

فتح الباري **97**بتصرف يسير

ولأن القرآن معجزة مستمرة لكل الخلق إلى يوم القيامة فإن بينة القرآن العلمية يدركها العربي والأعجمي على حد سواء ، وتبقى ظاهرة متجددة إلى قيام الساعة ، ففي القرآن أنباء نعرف المقصود منها لأنها بلسان عربي مبين ، لكن حقائقها وكيفيتها لا تتجلى إلا بعد حين قال تعالى :

{إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (87) وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ (88)}

[ص : 87 - 88]

وشاء الله أن يجعل لكل نبأ زمناً خاصاً يتحقق فيه ، فإذا تجلى الحدث مائلاً للعيان ، أشرقت المعاني التي كانت تدل عليها الحروف والألفاظ في القرآن ، كما في قوله تعالى:

{لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (67)}

[الأنعام : 67]

ويبقى النبأ الإلهي محياً بكل الصور التي يتجدد ظهورها عبر القرون ،قال تعالى :

{وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (8)}

[النحل : 8]

لقد نزل القرآن في عصر انتشار الجهل وشيوع الخرافة ، والكهانة ، والسحر ، والتنجيم في العالم كله ، وكان للعرب النصيب الأوفى من هذه الجاهلية والأمية كما بيّن القرآن ذلك بقوله :

{هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (2)}

[الجمعة : 2]

في ذلك العصر ، وعلى تلك الأمة نزل الوحي ، وفيه علم الله ويصف أسرار الخلق في شتى الآفاق، ويجلي دقائق الخلق في النفس البشرية ، ويقرر البداية في الماضي ، ويصف أسرار

الحاضر ، ويكشف غيب المستقبل ، الذي ستكون عليه ستائر المخلوقات .
عندما دخل الإنسان في عصر الاكتشاف العلمية ، وامتلك أدق أجهزة البحث العلمي ، وتمكن من حشد جيوش من الباحثين في شتى المجالات ، يبحثون عن الأسرار المحجوبة في آفاق الأرض والسماء وفي مجالات النفس البشرية ، يجمعون المقدمات ، ويرصدون النتائج ، في رحلة طويلة عبر القرون ، ولما أخذت الصورة في الاكتمال ، والحقيقة في التجلي ، وقعت المفاجأة الكبرى تجلي أنوار الوحي الإلهي الذي نزل على محمد عليه الصلاة والسلام قبل أكثر من ألف و أربعمئة عام ، بذكر تلك الحقيقة في آية القرآن أو بعض أية ، أو في حديث أو بعض حديث ، بدقة علمية معجزة ، وبعبارات مشرقة ، وبهذا أنبأنا القرآن الكريم فقال :

{قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ (52) سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (53)}

[فصلت : 52 - 53]

وقال أحد العلماء:

((وأما الطريق العياني فهو أن يرى العباد من الآيات الآفاقية والنفسية ما يبين لهم أن الوحي الذي بلغته الرسل عن الله حقٌ))

وقال عالم آخر ((**1**الآفاق تعني أقطار السماوات والأرض والشمس والقمر والنجوم والليل والنهار ، والرياح والأمطار والرعد ، والبرق ، والصواعق ، والنبات والأشجار ، والجبال ، والبحار ، وغيرها)) وروي هذا عن عدد من أئمة التفسير

1هو قول عطاء وابن ويد ، كما نقل ذلك القرطبي في تفسيره 37415

فهذه آيات الله في كتابه تتحدث عن آياته في مخلوقاته ، وتتجلى بمعجزة علمية بينة تسطع في عصر الكشوف العلمية في آفاق الكون

إننا على وعد من الله عز وجل ، بأن يرينا آياته ، فيتحقق لنا بهذه الرؤيةالعلم الدقيق بمعاني هذه الآيات .

كما قال تعالى:

{وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (93)}

[النمل : 93]

ومما سبق يتبين لنا أن البشرية على موعد من الله ، متجدد ومستمر ، بكشف آيات الكون ، وفي كتابه ، أمام الأبصار ، لتقوم الحجة والبرهان ، وتظهر المعجزة للعيان .
والفرق بين التفسير العلمي والإعجاز العلمي هو أن التفسير العلمي كشف عن معاني الآية أو

الحديث ، في ضوء ما ترجحت صحته من حقائق العلوم الكونية.

أما الإعجاز العلمي فهو إخبار القرآن الكريم ، أو السنة النبوية بحقيقة أثبتها العلم التجريبي أخيراً ، وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية ، في زمن الرسول عليه الصلاة والسلام .

قواعد وأسس أبحاث الإعجاز العلمي :

1- علم الله ، هو العلم الشامل المحيط الذي لا يعتريه خطأ ، ولا يشوبه نقص ، وعلم الإنسان محدود، وقابل للازدياد ومعرض للخطأ .

2- هناك نصوص من الوحي قطعية الدلالة ،كما أن هناك حقائق علمية كونية قطعية .

3- في الوحي نصوص ظنية في دلالتها ، وفي العلم نظريات ظنية في ثبوتها .

4- لا يمكن أن يقع صدام بين قطعي من الوحي وقطعي من العلم التجريبي ، فإن وقع في الظاهر فلابد أن هناك خللاً في اعتبار قطعية أحدهما ، وهذه قاعدة جلية قررها علماء المسلمين ، وقد ألف غير واحد من العلماء كتاباً تؤكد حتمية توافق العقل مع النقل .

عندما يري الله عباده آية من آياته في الآفاق أو في الأنفس مصدقة لآية في كتاب ، أو حديث من أحاديث رسول الله عليه الصلاة والسلام يتضح المعنى ويكتمل التوافق ، ويستقر التفسير ، وتحدد دلالات ألفاظ النصوص بما كشف من حقائق علمية ، وهذا هو الإعجاز

إن نصوص الوحي قد نزلت بألفاظ جامعة ، فقد قال عليه الصلاة والسلام :

(بعثت بجوامع الكلم)

البخاري **2815**، مسلم **523**عن أبي هريرة

مما يدل على أن النصوص التي وردت عن النبي عليه الصلاة والسلام تحيط بكل المعاني الصحيحة في مواضيعها التي قد تتابعت في ظهورها جيلاً بعد جيل .

إذا وقع التعارض بين دلالةٍ قطعيةٍ للنص ، ونظرية علمية رفضت هذه النظرية ، لأن النص وحي من الذي أحاط بكل شيء علما وإذا وقع التوافق بينهما كان النص دليلاً على صحة تلك النظرية ، وإذا كان النص ظنياً ، والحقيقة العلمية قطعية يؤول النص بها ، وحيث لا يوجد مجال للتوفيق فيتقدم القطعي منهجية أبحاث الإعجاز العلمي في ضوء منهج السلف وكلام المفسرين

إن كلام الخالق سبحانه عن أسرار خلقه في الآفاق وفي الأنفس غيب قبل أن يرينا الله حقائق تلك الأسرار ، ولا طريق لمعرفة كيفياتها وتفاصيلها قبل رؤيتها ، إلا ما سمعنا عن طريق الوحي ، وكان السلف لا يتكلفون ما لا علم لهم به ، إن معاني الآيات المتعلقة بالأمور الغيبية ، ودلالتها اللغوية معلومة ، ولكن الكيفيات والتفاصيل محجوبة ، وإن من وصف حقائق الوحي الكونية دقائقها

وتفاصيلها بعد أن كشفها الله وجلاها للأعين غير من وصفها من خلال نص يسمع ولا يرى مدلوله الواقعي لأن وصف من سمع وشاهد غير من سمع فقط .

ولقد وفق السلف الصالح من المفسرين كثيراً من شرحهم لمعنى الآيات القرآنية على الرغم من احتجاب حقائقها الكونية ، مع أن المفسر الذي يصف حقائق وكيفيات الآيات الكونية في الآفاق والأنفس ، وهي محجوبة عن الرؤية في عصره ، قياساً على ما يرى من المخلوقات ، في ضوء ما سمع من الوحي ، يختلف عن المفسر الذي كشفت أمامه الآية الكونية ، فجمع بين ما سمع من الوحي، وما شاهد في الواقع .

ونظراً لعدم خطورة ما يتقرر في مجال الأمور الكونية على أمر العقيدة يوم ذاك ، لم يقف المفسرين بها عند حدود ما دلت عليه النصوص ، بل حاولوا شرحها بما يسر الله لهم من الدراية التي أتيحت لهم في عصورهم ، وبما فتح الله به عليهم من أفهام ، وكانت تلك الجهود العظيمة التي بذلها المفسرون عبر القرون لشرح نصوص الوحي المتعلقة بالأمور الكونية ـ التي لم يكشف في عصرهم ـ مبينة لمستوى ما وصل إليه الإنسان من علم ، في تلك المجالات ، ومبينة لمدى توفيق الله لهؤلاء المفسرين ، فإذا ما حان حين مشاهدة الحقيقة في واقعها الكوني ، ظهر التوافق الجلي بين ما قرره الوحي وما شاهدته الأعين ، وظهرت حدود المعارف الإنسانية المقيدة بقيود الحس المحدود ، والعلم البشري المحدود بالزمان والمكان ، وازداد الإعجاز تجلياً وظهوراً

وكتب الله التوفيق للمفسرين فيما شرحوه من آيات وأحاديث متعلقة بأسرار الأرض والسماء ، بفض اهتدائهم بنصوص الوحي المنزل ، ممن يعلم السر في الأرض والسماء ، ومسترشدين بما علمهم من دلالات الألفاظ ومعاني الآيات .

أوجه الإعجاز العلمي :

1ـ التوافق الدقيق بين ما في النصوص الكتاب والسنة ، وما كشفه علماء الكون من حقائق وأسرار كونية لم يكن في إمكان بشر أن يعرفها وقت نزل القرآن .

2ـ تصحيح الكتاب والسنة لما شاع بين البشرية في أجيالها المختلفة من أفكار باطلة حول أسرار الخلق .

3ـ إذا جمعت نصوص الكتاب والسنة الصحيحة المتعلقة بالكون وجدت بعضها يكمل الآخر ، فتتجلى بها الحقيقة ، مع أن هذه النصوص قد نزلت مفرقة في الزمن ، وفي مواضعها في الكتاب الكريم ، وهذا لا يكون إلا من عند الله الذي يعلم السر في السماوات والأرض .

4ـ سن التشريعات الحكيمة ، التي قد تخفى حكمتها على الناس وقد نزول القرآن ، وتكشفها أبحاث

العلماء في شتى المجالات .

5- عدم الصدام بين نصوص الوحي القاطعة التي تصف الكون وأسراره ـ على كثرتها ـ والحقائق العلمية المكتشفة ـ على وفرتها ـ مع وجود الصدام الكثير بين ما يقوله علماء الكون من نظريات تتبدل مع تقدم الاكتشافات ، ووجود الصدام بين العلم ، وما قررته سائر الأديان المحرفة والمبدلة .

ضوابط البحث في الإعجاز العلمي في الكتاب والسنة :

1- أن تراعي معاني المفردات كما كانت في اللغة إبان نزول الوحي ، وأن تراعي القواعد النحوية ودلالاتها ، وأن تراعي القواعد البلاغية وخصائصها ، ولاسيما قاعدة ألا يخرج اللفظ من الحقيقة إلى المجاز إلا بقرينة كافية .

2- البعد عن التأويل من النصوص المتعلقة بالإعجاز العلمي في القرآن الكريم ، ودلالة نبوة النبي عليه الصلاة والسلام .

3- ألا تجعل حقائق القرآن موضع نظر ، بل أن تجعل الحقائق هي الأصل فما وافقها قبل ، وما عارضتها رفض .

4- ألا يفسر القرآن إلا باليقين الثابت من العلم ، لا بالفروض والنظريات التي ما تزال موضع فحص وتمحيص ، أما الحدسيات والظنيات فلا يجوز أن يفسر بها القرآن ، لأنها عرضه للتصحيح والتعديل ، بل للإبطال في أي وقت

وإذا كان النقص يعتري بعض الدراسات في مجال الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ، فلا يصح أن يكون ذلك حكماً ينسحب عليها جميعها وإن هذا ليوجب على القادرين من علماء الإسلام أن يسارعوا إلى خدمة القرآن والسنة في مجال العلوم الكونية ، كما خدمها السلف في مجال اللغة ، والأصول ، والفقه ، وغيرها من مجالات العلوم الشرعية ، فنحن أمام معجزة علمية كبرى تنحني أمامها جباه المنصفين من قادة العلوم الكونية في عصرنا .

والطرف الآخر من أعداء الإسلام اتخذوا من المقولات المترجلة والمتسرعة في موضوع الإعجاز العلمي في الكتاب والسنة ذريعة لا تقدر بثمن ـ بالنسبة إليهم ـ لنقض آيات القرآن وأحاديث النبي عليه الصلاة والسلام من خلال نقض النظرية العلمية الفجة التي لم تثبت ، فينبغي للباحث في الإعجاز العلمي في الكتاب والسنة أن يبالغ في التحقيق والتثبت والتريث قبل أن يربط آية في كتاب الله ، أو حديثاً لرسول الله عليه الصلاة والسلام مع مقولة تتوهم أنها تنتمي إلى العلم ، والعلم منا براءٌ .

ومجمل القول إن التفسير العلمي للقرآن والسنة مرفوض إذا اعتمد على النظريات العلمية التي لم تثبت ، ولم تستقر ، ولم تصل إلى درجة الحقيقة العلمية المقطوع بها ، ومرفوض إذا خرج بالقرآن عن قواعد اللغة العربية ، ومدلولات مفرداتها في زمن النبي عليه الصلاة والسلام ومرفوض إذا صدر عن خلفية تعتمد العلم أصلاً ، وتجعل القرآن تابعاً ، مرفوض إذا خالف ما دل عليه القرآن في موضع آخر ، أو دل عليه صحيح السنة ، وهو مرفوض ممن هب ودي من الذين لم يتحققوا في أخذهم ، ولم يثبتوا في إلقائهم ، وهم يزعمون أنهم على علم ، والعلم منهم براءٌ ؛ وهو مقبول بعد ذلك ممن التزم القواعد المعروفة في أصول التفسير والتزم ما تفرضه حدود اللغة ، وحدود الشريعة، وامتاز بالتحري ، والاحتياط ، والضغط الذي يلزم كل ناظر في كتاب الله ، وهو مقبول ممن رزقه الله علماً بالقرآن والسنة ، وعلماً بالسنن الكونية معاً ، فلا بد من أن يكون النص الذي موضوع الإعجاز قطعي الثبوت والدلالة ، وأن يكون الجانب العلمي مقطوعاً بصحته ، وأن يكون التطابق عفوياً وتاماً ، لا مفتعلاً أو متكلفاً .

أهمية أبحاث الإعجاز العلمي وثمارها :

إذا كان المعاصرون لرسول الله عليه الصلاة والسلام قد شاهدوا بأعينهم كثيراً من المعجزات ، فإن الله أرى أهل هذا النصر معجزة لرسوله تتناسب مع عصرهم ، ويتبين لهم بها أن القرآن حق ، وتلك البينة هي بينة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ، وأهل عصرنا لا يذعنون لشيء كإذعانهم للعلم ، على اختلاف أجناسهم وأديانهم .

لقد جعل الله النظر في ملكوت السماوات والأرض الذي تقوم عليه العلوم التجريبية طريقاً إلى الإيمان به ، وطريقاً إلى الإيمان برسوله ، وطريقاً إلى الإيمان بدينه الحق ،الذي يدعو إلى العلم ، والعلم يدعو إليه .

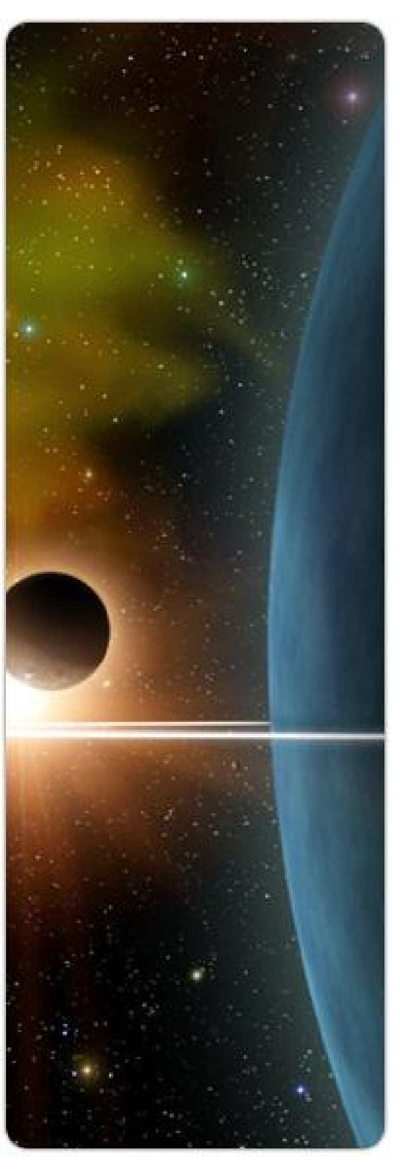
وإن بإمكان المسلمين أن يتقدموا لتصحيح مسار العلم في العالم ووضعه في مكانه الصحيح ، وجعله طريقاً إلى الإيمان بالله ورسوله ومصدقاً لما في القرآن ، ودليلاً على أحقية الإسلام

إن التفكر في خلق السماوات والأرض عبادة من أجل العبادات والتفكر في معاني الأحاديث عبادةٌ من أرفع المستويات ، وتقديمها للناس دعوة خالصة إلى الله خالق الأرض والسماوات ، وهذا كله متحقق في بحوث الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ، وهذا من شأنه أيضاً أن يحفز المسلمين إلى اكتشاف أسرار الكون ، بدوافع إيمانية تعبر بهم فترة التخلف التي عاشوها حقبة من الزمن في هذه المجالات ، وسيجد الباحثون المسلمون في كلام الخالق عن أسرار مخلوقاته أدلة تهديهم في أثناء سيرهم في أبحاثهم ، تقرب لهم النتائج ، وتوفر لهم الجهود .

إذا علمنا أهمية هذه الأبحاث في تقوية إيمان المؤمن ، ودفع الفتن التي ألبسها الإلحاد ثوب العلم عن قول المسلمين ، وفي دعوة غير المسلمين إلى هذا الدين القويم ، وفي فهم ما خوطبنا به في القرآن الكريم والسنة الصحيحة ، وفي حفز المسلمين إلى الأخذ بأسباب النهضة العلمية التي تتوافق مع الدين ؛ تبين من ذلك كله أن القيام بهذه الأبحاث من أهم فروض الكفايات *

*بعض أفكار مقدمة الكتاب والسنة مقتبسة من بحث في الإنترنيت عنوانه الإعجاز العلمي تأصيلاً ومنهجاً ، للدكتور زغلول النجار

الباب الثاني :الكون



1-الكون

2-السماء ذات الرجع

3-سبع سماوات

4-الظلام في الفضاء الخارجي

5-القوى الجاذبة

6-المرصد العملاق

7-المجرات والنجوم وسرعتنا

8-مواقع النجوم

9-أعداد النجوم

10-انشقاق السماء

11-النجم الثاقب

12-مدارات الكواكب

13-سرعة الضوء

14-معجزة الإسراء والمعراج

1-الكون:

في صحيح ابن حبان عن عطاء أن عائشة رضي الله عنها قالت: أتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلتي ، وقال:

((يا عائشة ، ذريني أتعبد لربي عز وجل))

فقام إلى القربة فتوضأ منها ، ثم قام يصلي ، فبكى حتى بل لحيته ، ثم سجد حتى بلّ الأرض ، ثم اضجع على جنبه ، حتى أتى بلال يؤذنه بصلاة الصبح ، فقال : يا رسول الله ما يبكيك ، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟! فقال عليه الصلاة والسلام :

((ويحك يا بلال ! وما يمنعني أن أبكي ، وقد أنزل الله علي في هذه الليلة

(إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ)

، ويل لمن قرأها ، ولم يتفكر فيها))

[صحيح ابن حيان 620]

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم:

((أمرني ربي أن يكون صمتي فكراً ، ونطقي ذكراً ، ونظري عبرة))

[رواه القضاعي في مسند الشهاب 1159]

وقال الحسن البصري رحمه الله تعالى :

((من لم يكن كلامه حكمة فهو لغو ، ومن لم يكن سكوته تفكراً فهو سهو ، ومن لم يكن نظره عبرةً فهو لهو))

يقول الحق جل وعلا ، الذي خلق السموات والأرض بالحق:

(سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ)

[فصلت: 53]

والحق هو القرار ، والثبات ، والسمو ، والعلو ، ونقيضه الباطل ، وهو الزوال ، والزهوق ، والتردي، والعبث ، سنريهم آياتنا في الآفاق ، فأين هي آيات الله في الآفاق ؟.

آيات الله في الآفاق :

ورد أن عدد النجوم في السماء بعدد ما في الأرض من مدر وحجر ، أي بعدد ذرات التراب والحجارة، فعلماء الفلك في الماضي كانوا يعدّون النجوم بالألوف ، وبعد أن ارتقت كفاءة مراصدهم صاروا يعدونها بالملايين ، ثم وصلوا إلى المليارات ، أي ألوف الملايين ، أما اليوم فإنهم يقدرون عدد

النجوم في مجرتنا درب التبانة ، من خلال المراصد العملاقة بثلاثين ملياراً ، علماً أنّ مجرتنا مجرة متوسطة في حجمها ، وهي واحدة من مئات ألوف الملايين من المجرات ، التي لا يعلم عددها إلا الله ، لقد صدق الله العظيم إذ يقول :

(أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ)

[ق6]

حجوم الكواكب :

هذا عن عدد النجوم ، فماذا عن حجومها ؟!

إذا علمنا أن حجم الأرض يساوي مليون مليون كيلومتر مكعب ، وأن الشمس تكبر الأرض بمليون وثلاثمئة ألف مرة ، وأن المسافة بينهما مئة وستة وخمسون مليون كيلومتر ، وأن نجماً من النجوم في برج العقرب يتسع للأرض والشمس مع المسافة بينهما ، وأن نجماً اسمه منكب الجوزاء يزيد حجمه على حجم الشمس بمئة مليون مرة ، لقد صدق الله العظيم إذ يقول :

(وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ)

[الذاريات: 47]

المسافات فيما بينها:

هذا عن أعدادها وأحجامها ، فماذا عن المسافات بينها ؟.

إن ما بينها من مسافات تقدر بالسنين الضوئية ، فالضوء يقطع في الثانية الواحدة ثلاثمئة آلاف كيلومتر، إذاً فهو يقطع في السنة عشرة آلاف مليار من الكيلومترات ، وكيف بنا إذا علمنا أن القمر يبعد عنا ثانية ضوئية واحدة ونيفاً ،وأن الشمس تبعد عنا ثماني دقائق ضوئية ، وأن المجموعة الشمسية لا يزيد قطرها على ثلاث عشرة ساعة ضوئية ، وأن أقرب نجم ملتهب إلى الأرض يبعد عنا أربع سنوات ضوئية ؟! ولكي نعلم ماذا تعني أربع سنوات ضوئية نقول : لو اتجهنا إلى هذا النجم بمركبة تساوي سرعة مركبة القمر لاستغرقت الرحلة أكثر من مئة ألف عام ، ولو ساوت سرعة هذه المركبة سرعة السيارة لاستغرقت الرحلة هذه قريباً من خمسين مليون عام !! هذا ما تعنيه أربع سنوات ضوئية !!.

فما القول في سديم المرأة المسلسلة ، التي تبعد عنا مليوني سنة ضوئية ؟ بل ما القول في مجرة اكتشفت حديثاً تبعد عنا عشرين ألف مليون من السنوات الضوئية ؟ لقد صدق الله العظيم إذ يقول :

(فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ)

[الواقعة:75-76]

هذا ولم نتحدث عن حركات النجوم ، وسرعتها العالية ، ولا عن مداراتها الواسعة ، ولا عن شدتها ، ولا قوة إضاءتها ، ولا عن قوى التجاذب التي تربطها ، ولا عن توازنها الحركي ، وعلى كل فالعجز عن الإدراك إدراك ، قال تعالى :

(وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ)

[الزمر: 67]

02-السماء ذات الرجع

ما هي الحقائق العلمية التي اكتشفت حول هذه الآية ؟

أيها الأخوة الأكارم يقول ربنا سبحانه وتعالى:

(وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ (11) وَالْأَرْض ذَاتِ الصَّدْعِ (12))

(سورة الطارق)

يصف خالق الكون السماء بكلمة واحدة:

(وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ (11))

كلَّما تقدَّم العلم اكتشفت حقائق جديدة تدعم هذا الوصف الموجز. فالقمر يسير في مدارٍ حول الأرض، يذهب ثم يرجع إلى مكانه الأول، والشمس تجري لمستقرٍ لها في مدارٍ حول نجمٍ أخر، وتعود إلى مكانها السابق، والمذنَّبات:

(وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ (11))

هذا المذنب ـ مذنَّب هالي ـ زار الأرض في عام ألفٍ وتسعمئةٍ واثني عشر بالضبط، وعاد إلينا في عام ألفٍ وتسعمئةٍ وستةٍ وثمانين، تستغرق دورته منذ ملايين السنين ستاً وسبعين عاماً.

فالأرض تدور وترجع، والقمر يدور ويرجع، والشمس تدور وترجع، والمذنَّبات ترجع، وكلُّ ما في السماء يدور في فلكٍ بيضوي أو دائري ويرجع، إذن حينما وصف ربنا سبحانه وتعالى السماء بكلمةٍ واحدة، إنه وصف خالقها:

(وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ (11))

ثم اتجه العلماء اتجاهاً آخر، هذه الغازات التي أودعها الله في الأجواء، يستنشق الإنسان الأوكسيجين، فيصبح غاز الفحم الذي يأخذه النبات، ويعيده أوكسوجيناً. حتى الغازات لها دورةٌ طبيعية، من أوكسجين إلى غاز فحم، إلى أوكسجين. وإذا أرسلت إلى السماء أمواجاً كهرطيسية إنها ترجع، ويقوم البث اليوم على هذا المبدأ. كما أن إذا صعد بخار الماء إلى السماء يرجع أمطاراً. عندما يقول ربنا عزَّ وجل:

(وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ (11))

ترجع السماء بخار الماء أمطاراً، وترجع الأمواج الكهرطيسية أصواتاً، وترجع الغازات في تقلباتها إلى ما كانت عليه، وكلُّ ما في السماء يرجع إلى مكانه الأول لأنه يدور، ويسير، ويتحرَّك، في مسارٍ كروي أو بيضوي، فعندما يقول ربنا عزَّ وجل بإيجازٍ عجيب:

(وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ (11))

يعني هذا أنه قرآنٌ من عند خالق الكون، وهذا وصف الله، وصف الخالق، وصف الصانع.

والشيء الآخر، لو أردت تصف أن الأرض بصفةٍ شاملةٍ جامعة مانعة، لكان قوله تعالى:

(وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ (12))

كانت القارَّات متصلة، تصدَّعت، الصخور تتصدَّع، الأحجار تتصدَّع، بل إن أدقَّ الجزئيات تتصدع، فإذا ذهبت لتصف الأرض بصفةٍ ثابتةٍ منذ أن خلقها الله وحتى نهاية الحياة، إنها التصدُّع:

(وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ (11) وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ (12))

كيف هو الصدع ؟ الأرض أيها الإخوة طبقات، أمسك بيضة ؛ هناك القشرة الكلسية، هناك القشرة الرقيقة، هناك بياض البيضة، هناك صفارها. الطبقات الخارجية أقسى هذه الطبقات، وكلَّما هبطنا نحو أعماق الأرض تصبح هذه الطبقات أقلَّ صلابةً، إلى أن تصبح لزجةً، إلى أن تصبح مائعةً مضطربة.

وهذه النظرية أصبحت حقيقةً. كلما اتجهنا نحو باطن الأرض ضعفت الصلابة، وارتفعت الحرارة، أما في مركز الأرض، فهو اضطراب عجيب لمائع ناري. القرآن أشار إلى ذلك، قال:

(أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ (16))

(سورة الملك)

تمور أي تضطرب، اضطراب المائع. أنتم تنعمون باستقرارٍ على ظهرها، أنتم تنعمون بصلابتها، بقوتها. تبني بناءً شامخاً على أساسٍ متين، ولكن لو أن هذه الأرض خسفت بكم لأصبحتم على مائعٍ ناري مضطربٍ يمور:

(أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ (16))

من أخبر النبي عليه الصلاة والسلام وهو الأمِّي، بأن في باطن هذه الأرض مائعاً نارياً مضطرباً ؟ أليس هذا القرآن كلام الله عزَّ وجل.

يا أيها الإخوة الأكارم... إذا وقفت عند الآيات الكونية في القرآن، وجدت أنه كلّما تقدّمت بك الدراسات، تلتقي مع وصف الله الموجز، مع وصف الله المعجز، مع وصف الله البليغ.

03-سبع سماوات

إليكم هذه التفاصيل الجزئية عن طبقات السماء :

قال تعالى:

1- الطبقة السفلى :

(الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقاً)

[سورة الملك الآية: 3]

أيها الأخوة المؤمنون، يقول الله سبحانه وتعالى في سورة تبارك:

(تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ * الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقاً مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ * ثُمَّ

(ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئاً وَهُوَ حَسِيرٌ)

[سورة الملك الآية: 1-4]

نقف عند ثلاث كلمات، قال تعالى:

(الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقاً)

[سورة الملك الآية: 3]

يقول علماء الفضاء: إن الطبقة الأولى هي طبقة الهواء السفلى التي تعيش فيها الأحياء من طيور، وما شاكل ذلك، وهذه الطبقة مؤلفة من عدة طبقات، وهي متقلبة من حالٍ إلى حال ، ومتحولة من مكانٍ إلى مكان، من حالة الحر، إلى حالة البرد، إلى حالة الغيوم، إلى حالة الأمطار، إلى حالة العواصف، إلى حالة الزعازع، من حالٍ إلى حال، ومن مكانٍ إلى مكان، تنتقل هذه المنخفضات، وهذه المرتفعات من مكان إلى مكان، وانتقالها أساس التنبؤات الجوية.

هذه الطبقة السفلى أيها الأخوة المؤمنون، لا يزيد ارتفاعها عن أول الأمر عن ستة عشر كيلو متر .

2- الطبقة الكبريتية بما فيها طبقة الأوزون أيضاً :

الطبقة الثانية: هي طبقةٌ فيها جزئياتٌ غازيةٌ كبريتية، هذه الجزئيات الغازية الكبريتية تلقّح السحاب، وتسهِّل عملية الأمطار، ولولا هذه الطبقة الكبريتية، لما هطلت الأمطار، ولما كانت الحياة على سطح الأرض
.

وفي الطبقة الثانية أيضاً: طبقة الأوزون، وهي غلافٌ من الأوكسجين الثلاثي الذي يمتصُّ الأشعة فوق البنفسجية القتَّالة، لأن هناك في الشمس أشعةً فوق البنفسجية قاتلة، تمتصُّ طبقةُ الأوزون، لا تسمح من هذه الأشعة القاتلة إلا بجزءٍ يسيرٍ يسير، يقتل الجراثيم الضارة بالكائنات الحية، فالتعرض للشمس مفيد ومطهِّر، وقد أصاب طبقة الأوزون بعض الخلل من كثرة رحلاتِ الفضاء، والأقمار الصناعية . وقد سمعت أن مؤتمراً سيعقد بعد قليل للبحث في طريقة وقاية هذه الطبقة، لأن سرطانات الجلد بدأت تنتشر بأعدادٍ وبائية في بعض الدول المتقدمة التي تُكْثِرُ من إرسال سفنِ الفضاء، والأقمار الصناعية، إن طبقة الأوزون في تلك الأماكن أصابها بعض الخلل .

3- طبقة الانصهار :

أما الطبقة الثالثة: فهي تشبه فرناً ذريًّا شديد اللهب، فيلتهب ويتشهَّب أي شيءٍ يدخل في هذه الطبقة، ولولا هذه الطبقة لكانت الأحجار الكونية، والكويكبات على الأرض، قد دمَّرت كل شيء، ولكن هذه الطبقة تصهر كل شيء؛ من نيازك، من معادن، من كويكبات، من أحجار، تصلُّ إلى الأرض بفعل الجاذبية، إنها تحترق في هذه المنطقة، وتتشهب، وتصبح رماداً لا يرى إلا بالمجاهر .

4- هذه الطبقة مجالها ضيق هنا :

الطبقة الرابعة: لها تفصيلاتٌ دقيقة لا يتسع لها المقام الآن .

5- طبقة انعدام الهواء :

أما الطبقة الخامسة: فهي تمتد من ألف كيلو متر إلى خمسة وستين ألف كيلو متر، يقلُّ الهواء تدريجياً في هذه الطبقة إلى أن ينعدم .

ماذا قال العلماء عن السقف المحفوظ كما أشارت إليه الآية ؟

أيها الأخوة، فطبقة الهواء المحيطة بالأرض يزيد سمكها عن خمسة وستين ألف كيلو متر نحو الأعلى، أما الشيءُ الذي لا يصدق، هو أن الله سبحانه وتعالى يقول:

(وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفاً مَحْفُوظاً وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ)

[سورة الأنبياء الآية: 32]

سقف محفوظ، أي به تحفظ الأرض، وقال بعض العلماء الأجانب بالحرف الواحد: إن الجو الأرضي حاجزٌ حقيقي، هو حقاً قليلُ الكثافة، ولكنه سميكٌ جداً، فهو يوقف الأشعة، ويحرق الشُهُب، إنه يحمي حياتنا الدنيوية، ويحافظ عليها، لأنه لا يسمح إلا لكلٍّ ما هو نافعٌ لنا بالوصول إلى سطح الأرض، وهذا مصداق قول الله عزَّ وجل:

(وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفاً مَحْفُوظاً وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ)

[سورة الأنبياء الآية: 32]

لا يسمح الجو الهواء للنيازك، ولا للشهب، ولا للمعادن، ولا للأحجار، ولا للكويكبات ، ولا للأشعة القاتلة، كل ما يؤذي الأرض، الهواء إما أن يحرقه، وإما أن يمنعه .

من خصائص القرآن الكريم :

يا أيها الأخوة المؤمنون، حينما يقول الله عزَّ وجل:

(الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقاً مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ)

[سورة الملك الآية: 3]

هذه آية كونية عظمى، لا يعرفها إلا من علم، لهذا يقول الله عزَّ وجل:

(إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ)

[سورة فاطر الآية: 28]

كل كلمة في القرآن تشير إلى علوم، وإلى تفصيلات، لو أن الإنسان أمضى حياته كلها في دراسة هذه الآيات لما انتهى .

04-الظلام في الفضاء الخارجي

علام تدل هذه الحقيقة ؟

يا أيها الأخوة الأكارم، عالمٌ من علماء الفلك كان في زيارةٍ مركزٍ من مراكز إطلاق المراكب الفضائيّة في بعض الدُّوَل المتقدِّمة، وهو في زيارة هذا المركز الذي كان على اتّصال مستمرّ بِمَركبةٍ فضائيّة كانت قد أُطلِقَت قبل قليل، إذا برائِدِ الفضاء يتَّصلُ بِمَركز انطلاق هذه المركبة، ويقول بالحَرْف الواحِد: لقد أصبحْنا عُمْيًا لا نرى شيئًا، المركبةُ أُطلِقَتْ في وضَح النّهار، وبعد وقتٍ قليل، بعد أن تجاوَزَتْ هذه المركبة الغِلاف الجويّ، ودخلَتْ في منطقةٍ لا هواء فيها، أصبَحَ الجوّ مُظْلمًا ظلامًا كليًّا، فصاحَ هذا الرائِدِ لقد أصبحْنا عُمْيًا لا نرى شيئًا، ما الذي حَصَل؟ .

الذي حصَل أنّ أشِعَّة الشّمس إذا وصَلَتْ إلى الغِلاف الجويّ تناثَرَ ضوءها، وتشتَّتَ بين ذرّات الهواء، وذرّات الغبار، وهذا ما يُعَبِّرُ عنه علماء الفيزياء بانتثار الضّوء، أو بِتَشَتُّت الضّوء، أشِعّة الشّمس تنعكسُ على ذرات الهواء، وذرات الغبار فَتَجْعلها مُتألّقة .

لو عُدنا إلى كتاب الله الذي نزلَ قبل أربعة عشر قرنًا ونيّفًا، ووقتها ما عرفَ أهل الأرض الصّعود إلى القمر، وما عرفوا غزْوَ الفضاء بهذه العِبارة الفجّة، وما عرفوا تجاوُزَ الغِلاف الجويّ، وما عرفوا كلّ ذلك، لو عُدنا إلى كتاب الله لوَجَدنا هذه الآية فيها إعجازٌ عِلْمي قال الله تعالى:

(وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَاباً مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ * لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ)

[سورة الحجر الآية: 14-15]

أليس هذا دليلاً قَطْعِيًّا على أنّ هذا الكلام كلامُ خالق البشر؟ قال تعالى:

(وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَاباً مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ * لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ)

[سورة الحجر الآية: 14-15]

من خصائص الوحي :

أيها الأخوة المؤمنون، ألَمْ أقل لكم قبل قليل: إنّ مِن خصائص الوحي إلى النبي عليه الصلاة والسلام أنَّ هذا الوَحي دليلهُ منه، تطابَق الدليل مع المدلول عليه، فالوَحْيُ الذي جاء النبي عليه الصلاة والسلام هو مِن عند الله تعالى بظَاهِرَةٍ صارخةٍ ألا وهي الإعجاز، أيْ أنّ هذا الكلام يَعْجزُ عن معرفتِهِ الإنسان

حينما نزلَ القرآن، والآن مع التقدُّم العلمي بدأ العلم يكشفُ جوانِبَ قليلة من إعجاز القرآن، يؤكّدُ هذا قول الله عز وجل:

(سَنُرِيهِمْ آَيَاتِنَا فِي الْآَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ)

[سورة فصّلت الآية: 53]

وهذه السِّينُ للاستقبال حتى يتبيّن للمعرضين، وللمنكرين، وللمُشَكّكين أنَّه الحقّ، أنَّه كلامُ الله عز وجل.

05- القوى الجاذبة في الكون

إليكم هذه الآية :

أيها الأخوة المؤمنون، كلكم يعلم أن هذا الكون العظيم لا نهاية له، وكلما كشف العلم مجرةً بعيدةً بعيدة، تبعد عنا عشرات، بل أضعاف العشرات من آلاف ملايين السنين الضوئية ، اكتشف أن هذا الكون لا نهاية له، ومع ذلك يحكمه قانونٌ واحد إنه: قانون الجاذبية، فكلُّ كتلةٍ في هذا الكون تجذب الكتلة الأخرى بقدر حجمها، وقدر المسافة فيما بينهما، لو أن هذا القانون وحده كان هو المسيطر، لا بد من أن يجتمع الكون كله في كتلةٍ واحدة، ما دامت كل كتلةٍ تجذب أختها، إذن لا بد من أن يصبح الكون كله كتلةً واحدة، ما الذي يحول بين تكتُّل الكون وبين تبعثره؟ إنها آية الجمعة السابقة، قال تعالى:

(وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ)

[سورة الطارق الآية: 11]

كل شيءٍ في السماء يدور، ويدور بمسارٍ إهليلجي، يدور ويرجع، هذه الحركة الدورانية المستمرة ينشأ عنها قوى نابذة، وهذه القِوى النابذة تكافئ القوى الجاذبة، ينشأ من هذه الحركة المستمرة ما يسمَّى: بالتوازن الحركي، وهذا من آيات الله الدالة على عظمته .

ما هو المقصود من هذه الآيات ؟

يا أيها الأخوة الأكارم، يقول الله عزَّ وجل:

(اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا)

[سورة الرعد الآية: 2]

هناك عمد، ولكنَّكم لا ترون هذا العمد، قال بعض العلماء: هذه إشارةٌ إلى قِوى الجذب فيما بين المجرَّات، وما بين الكواكب، وما بين الكتل .

أشار الله إلى الجاذبية الأرضية في قوله تعالى:

(أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَاراً)

[سورة النمل الآية: 61]

من جعل هذه الأشياء التي على سطح الأرض تستقرُّ عليها وتنجذب إليها؟ ما هو الوزن؟ الوزن في حقيقته جذب الأرض لما عليها، فالهواء منجذبٌ إلى الأرض، والبحر منجذبٌ إلى الأرض، وكل ما على الأرض منجذبٌ إليها، ولو أن الإنسان طار في الفضاء، فوصل إلى نقطة انعدام الجاذبية لانعدم وزنه، قال تعالى:

(أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَاراً)

[سورة النمل الآية: 61]

تشير آية أخرى إلى هذه الجاذبية، قال تعالى:

(وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ * وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ)

[سورة الإنشقاق الآية: 3-4]

إذا تعطّلت الجاذبية التي في الأرض، ألقت الأرض ما فيها وتخلّت، تبعثر ما فيها، خرج منها، خرج ولم يعد .

إليكم محور هذه الفقرة :

أيها الأخوة الأكارم، آية اليوم التي هي محور هذه الكلمة القصيرة: قول الله عز وجل:

(إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا)

[سورة فاطر الآية: 41]

زوال الشمس عن كبد السماء، انحرافها، يقول الله عزَّ وجل:

(وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ)

[سورة الطارق الآية: 11]

كل كوكبٍ في الكون يدور حول كوكبٍ آخر، وله مسارٌ كرويٌ أو إهليلجي، ويرجع إلى مكان انطلاقه، فعل من أن يكون هذا الكوكب على هذا المسار بشكلٍ دقيق؟ لو أن الأرض خرجت عن مسارها لانجذبت إلى كوكبٍ آخر، فانتهت الأرض، من الذي يجعل حركة هذه الكواكب على خط سيرها تماماً،

كما لو أن القطار خرج عن سكّته فتدهور؟ أن يبقى القطار على سكته، وأن تبقى المركَبة على الطريق، وأن تبقى الأرض في مسارها حول الشمس، هذا من تقدير عزيزٍ حكيم، ربنا عزَّ وجل يقول:

(إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا)

[سورة فاطر الآية: 41]

أي أن تخرج عن مسارها، قلت لكم في الخطبة السابقة: مذنَّب هالي زار الأرض، في عام ألفٍ وتسعمئة واثني عشر، وزارها ثانيةً في عام ألفٍ وتسعمئةٍ وستةٍ وثمانين، هذا المذنب منذ آلاف آلاف السنين له مسارٌ لا يحيدُ عنه، ولا يتخلّف عن وقته، لا يحيدُ عن مساره، ولا يتأخَّرُ عن وصوله، من جعله في هذا المسار، وفي هذه السرعة الدقيقة؟ هذا المذنب، وبقية المذنبات، الأرض والمجموعة الشمسية، قال تعالى:

(وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا)

[سورة يس الآية: 38]

كل الكون يسير في مساراتٍ لا يحيدُ عنها أبداً بقدرة قادر، إن الله هو وحده خالق الكون:

(إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ)

[سورة فاطر الآية: 41]

هل تستطيع قِوى الأرض كلها أن تعيد انحراف الأرض إذا خرجت عن مسارها، أو أن تعيد انحراف الشمس إذا خرجت عن مسارها؟

أيها الأخوة المؤمنون، هذه آيةٌ كبرى تدلُّ على عظمة الله عزَّ وجل .

06-المرصد العملاق وابعد المجرات الينا

إليكم مضمون هذا الخبر الذي ضجت به أخبار العالم :

نقلت إحدى محطات الأخبار العالمية قبل أيام الخبر التالي: أرسلت مركبةٌ فضائية، تحمل مرصداً عملاقاً، قطر عدسته ثمانية أمتار، هذه المركبة، أرسلت قبل أربع سنوات، ويغلب على ظني، أن سرعتها تزيد على أربعين ألف ميل في الساعة، مضى على انطلاقها من الأرض، أربع سنوات، وفيها مرصدٌ عملاق، من أجل أن يكتشف خبايا الكون وأسراره، لعلّه اقترب من المشتري، وقد التقط قبل يومين، صورة مجرةٍ جديدةٍ اكتشفت حديثاً .

أنا قلت قبل أيام: أن أبعد مجرةٍ اكتشفت، بعدها عنا، أربعة وعشرين ألف مليون سنة ضوئية، وكلُّكم يعلم أن أقرب نجمٍ ملتهبٍ يبعد عنا، أربع سنوات ضوئية، ولو أردت أن تعرف، ماذا تعني أربعة سنوات ضوئية؟ لو أردت أن تصل إلى هذا النجم الذي يبعد عنا أربع سنوات ضوئية، بمركبةٍ أرضية، تحتاج إلى خمسين مليون عام .

الخبر الذي أذيع قبل أيام من إحدى محطات الأخبار العالمية، عن تلك المركبة الفضائية، التي انطلقت قبل أربع سنوات، بسرعة أربعين ألف ميل في الساعة، والتي يظنُّ أنها قرب المشتري، أرسلت قبل أيام، صورةٍ لمجرةٍ تبعد عنا ثلاثمئة ألف بليون سنة ضوئية، والبليون ألف مليون، وهذه المجرة، كانت في هذا الموقع، قبل ثلاثمئة ألف بليون سنة، ثم تحوَّلت إلى موقع آخر، لأن سرعتها تزيد عن مئتين وأربعين ألف كيلو متر في الثانية، أين هي الآن؟ دققوا في قوله تعالى:

(فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ)

[سورة الواقعة الآية: 75-76]

هذا الإله العظيم، الذي خلق هذا الكون العظيم، أيعصى؟ أينصرف الإنسان عن أمره ونهيه، لا يعبأ بوعده ووعيده، يرجو غيره، يخاف غيره، يسعى لإرضاء غيره؟!، قال تعالى:

(فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ)

[سورة الواقعة الآية: 75-76]

ثلاثمئة ألف بليون سنةٍ ضوئية، تبعد عنا هذه المجرة، التي اكتشفت قبل يومين .

أهمية طلب العلم :

أيها الأخوة، إذا علمتم أن الضوء يقطع في الثانية الواحدة، ثلاثمئة ألف كيلو متر، كم قطع الضوء من أول هذه الخطبة حتى الآن؟ في الدقيقة ضرب ستين، في الساعة ضرب ستين ، في السنة ضرب ثلاثمئة وخمسة وستين، وفي اليوم ضرب أربعة وعشرين، قال تعالى:

(فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ)

[سورة الواقعة الآية: 75]

لذلك قال الله العظيم جلَّ جلاله:

(إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ)

[سورة فاطر الآية: 28]

إذا أردت أن تعرف الله فاطلب العلم، رتبة العلم أعلى الرتب، العلم لا يعطيك بعضه، إلا إذا أعطيته كلَّك .

حضور خطبة الجمعة، جيدٌ جداً، وهي فريضةٌ لا شكَّ فيها، ولكن لا يكفي أن تستمع من أسبوعٍ إلى أسبوع كلاماً يلقى في ساعةٍ إلا قليلاً، لا بدَّ من حضور مجالس العلم، لا بدَّ من أن تعرف كتاب الله على

ماذا ينطوي؟ أن تعرف أمره ونهيه، أن تعرف وعده ووعيده، أن تعرف حلاله وحرامه، لا بدَّ من أن تعرف سنة رسول الله، لا بدَّ من أن تعرف سيرة رسول الله، لا بدَّ من أن تعتقد العقيدة الصحيحة، لماذا أنت في الدنيا؟ أين كنت، ولماذا، وإلى أين ؟.

أيها الأخوة الكرام، طلبُ العلم فرض عين على كل مسلم، لا تقل: أنا لست مختصاً بشؤون الدين، أن أعمل في الحقل الفلاني، هذا كلامٌ لا يقبل، طلبُ العلم فريضة على كل مسلم.

07- المجرات والنجوم وسرعتها

إليكم هذه الموسوعة في الفضاء الخارجي :

أيها الأخوة المؤمنون، نسمع كثيراً كلمة المجرات، ونقرأ عنها الشيء الكثير، ولكن الحقائق التي اكتشفت حديثاً، تكادّ بعظمتها لا تصدق .

قالوا: المجرات جُزُرٌ كونيةٌ هائلة، تشكل وحدات الكون الأساسية، فالمجرات غبارٌ كوني، وسُدمٌ، ونجومٌ، وكواكبٌ، ومذنَّباتٌ، ونيازك، وشهب، ومجالاتٌ مغناطيسية كهربيةٌ عنيفة، كلُّ هذا في المجرة الواحدة .

والشيء الغريب، أن أكبر مرصدٍ على وجه الأرض، رصد ألف مليون مجرة، بينما لا نرى بالعين المجردة إلا ثلاث مجرات، إذا نظرنا إلى قبة السماء نرى درب التبَّان، ومجرة مجلان الصُغرى والكبرى، بينما رصدت المراصد الكبيرة ما يزيد عن ألف مليون مجرة؛ بل إن تقديرات العلماء، أن في السماء مليون مليون مجرة، وفي كل مجرة بالرقم الوَسَطيّ، ما يزيد عن ثلاثمئة ألف مليون نجم في كل مجرة، لذلك حينما قال ربنا سبحانه وتعالى:

(فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ)

[سورة الواقعة الآية: 75-76]

إليكم هذه المسافات الزمنية التي تقطعها الكواكب فيما بينها بالنسبة للمجرة :

لتوضيح هذه المجرة، لنأخذ على ذلك درب التبان، مجرتنا التي نحن جزءٌ صغيرٌ منها، يزيد طولها عن مئة وخمسين ألف سنة ضوئية، بينما نبعد عن القمر ثانية ضوئية واحدة ، نبعد عن الشمس ثماني

دقائق، لا تزيد المجموعة الشمسية من أقصاها إلى أقصاها عن ثلاثة عشرة ساعةً ضوئية، أما طول مجرتنا، مئة وخمسين ألف سنة ضوئية، وشكلها كالمغزل .

الشيء الغريب، أن هذه المجرات تدور حول نقطة موهومة في الفضاء الخارجي، تدور حول هذه النقطة بسرعاتٍ لا تصدق، إنها تدور بسرعاتٍ تعادل ثمانية أعشار سرعة الضوء، والضوء يقطع في الثانية الواحدة ثلاثمئة ألف كيلو متر .

تدور المجموعة الشمسية على سبيل المثال حول نقطةٍ في مجرتنا، تستغرق دورتها حول هذه النقطة، مئتين وخمسين مليون سنة، وسرعتها تزيد عن سبعة أعشار سرعة الضوء.

أيها الأخوة المؤمنون، الأرقام الفلكية، السرعات الفلكية، الأعداد الفلكية، المسافات الفلكية، شيءٌ لا يستطيع هذا العقل أن يتصوره .

تدور الأرض حول نفسها بسرعة ألف وستمئة كيلو متر في الساعة، والأرض تدور حول الشمس بسرعة ثلاثين كيلو متر في الثانية، والشمس تجري لمستقرٍ لها بسرعة مئتين كيلو متر في الثانية، والمجرة بسرعة مئتين وأربعمئة ألف كيلو متر في الثانية، سبعة أمثال الضوء، ومع ذلك تحتاج الشمس إلى مئتين وخمسين مليون سنة من أجل أن تدور حول نقطةٍ في المجرة، يقول الله عزَّ وجل:

(أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ)

[سورة الغاشية الآية: 17-20]

النتيجة التي ترصدها العلماء من هذا الانفجار الذي حدث في قلب المجرة :

حصل انفجار قبل وقتٌ من الزمن في قلب المجرة، مجرة لها رقم اثنين وثمانين (M 82)، امتدت ألسنة اللهب مئة وأربعين ألف مليون مليون كيلو متر لهذا الانفجار، وقد شعَّت من هذا الانفجار طاقة تدميرية، تعادل ألفين بليون بليون قنبلة هيدروجينية .

إذا قرأت في أسماء الله الحسنى القوي، أي انفجار في بعض المجرات، هذا الانفجار يساوي ألفين بليون بليون قنبلة هيدروجينية، مع أن هذه القنبلة الواحدة كافية لتدمير أكبر مدينة على وجه الأرض، ألفين بليون بليون .

الخاتمة :

أيها الأخوة المؤمنون، إنما يخشى الله من عباده العلماء:

(وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ)

[سورة فاطر الآية: 28]

كلما اتسعت معرفتك بالكون ازدادت خشيتك، نحن على وجه الأرض، كوكبٌ صغيرٌ ، الأرض حول الشمس تدور، والشمس حول نجمٍ في المجرة تدور، والمجرة حول نقطةٍ وهميةٍ في الفضاء تدور، وكلٌ يدور، قال تعالى:

(وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ)

[سورة الطارق الآية: 11]

أي أن كل جرمٍ في السماء يدور دورةً إهليليجية، بحيث يرجع إلى مكان انطلاقه، فكروا في خلق السموات والأرض، قال تعالى:

(إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ)

[سورة آل عمران الآية: 190-191]

08-مواقع النجوم

ما هي المعاني التي تلتف حول موضوع مواقع النجوم ؟

1- المسافة الشاسعة بين هذه المواقع :

أيها الأخوة الأكارم، في القرآن الكريم آية، هي قوله تعالى:

(فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ)

[سورة الواقعة الآية: 75-76]

ما مواقع النجوم؟ لهذه المواقع معانٍ ثلاث: المعنى الأول؛ أن بين النجوم مسافاتٍ يستحيل على العقل تصورها، بعض هذه المسافات ثمانية عشر ألف مليون سنة ضوئية بين الأرض وبين مجرة المرأة المسلسلة .

يسير الضوء في الثانية الواحدة ثلاثمئة ألف كيلو متر، كم يسير في الدقيقة؟ هذا العدد الكبير ثلاثمئة ألف مضروب بستين، كم يسير في الساعة؟ كم يسير في اليوم؟ كم يسير في الشهر ؟ كم يسير في السنة؟ قال تعالى:

(فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ)

[سورة الواقعة الآية: 75-76]

أيها الأخوة، بين الأرض والقمر ثانية ضوئية واحدة، أي ثلاثمئة وستين ألف كيلو متر بين الأرض، والشمس ثمانية دقائق، أي مئة وستة وخمسين مليون كيلو متر .

طول المجموعة الشمسية ثلاث عشرة ساعة، طول درب التبان مئة وخمسين ألف سنة ضوئية، قال تعالى:

(فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ)

[سورة الواقعة الآية: 75-76]

2- تعدد هذه المواقع :

المعنى الثاني؛ هو أن هذه النجوم ليس لها موقعٌ واحد بل لها مواقع، إذاً: هذه النجوم متحركة، كل شيءٍ يسبح في فلكٍ خاصٍ به، قال تعالى:

(وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ)

[سورة يس الآية: 40]

تدور الأرض حول الشمس في ثلاثمئةٍ وخمسةٍ وستين يوماً، بينما نجمٌ آخر في المجموعة الشمسية، يدور حول الشمس في سنتين أو ثلاثة، وبعضها في أقل من سنة، كل نجمٍ له مواقعه الخاصة، له مدارٌ طويلٌ أو قصيرٌ، له شكلٌ دائريٌ أو إهليلجي بحسب الدقة التامة، قال تعالى:

(فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ)

[سورة الواقعة الآية: 75-76]

كل نجمٍ له موقعٌ في كل ثانية، وتضبط أدق ساعات العالم، تضبط على بعض النجوم، قد يجد صانعوها أنها تأخرت أو قدمت في العام ثانية واحدة، ما الذي يضبطها؟ مرور نجمٍ لا يتقدم ولا يتأخر عن موعده الدقيق، فهذه المواقع وفق نظامٍ مدهش، المواقع جمع موقع، في كل ثانيةٍ للنجم موقعٌ جديد .

المذنب، الذي نحن بانتظار رؤيته، يقطع مساره في ستة وسبعين عاماً، رآه الناس في عام ألفٍ وتسعمئةٍ وعشر، ونراه نحن في عام ألفٍ وتسعمئةٍ وستةٍ وثمانين، وكان قد رؤي قبل الميلاد بألفي عام، هذه مواقع النجوم .

3- تنوع الكتل في هذه المواقع :

وأما المعنى الثالث، بين النجوم تجاذب، الكتلة الأكبر تجذب الكتلة الأصغر، وعاملٌ آخر، هو مربع المسافة بينهما، لو أن مواقع النجوم تغيرت، لاختل توازن الكون، ولارتطمت النجوم بعضها ببعض، وأصبح الكون كتلة واحدة، هذه المواقع مدروسة بعنايةٍ فائقة بحيث يكون محصلها دورانٌ واستقرار .
المعنى الأول؛ المسافات الشاسعة، والمعنى الثاني؛ حركي، تنقل النجم من موقع إلى آخر، والمعنى الثالث؛ أن هذه الكتل بعضها كبير، بعضها صغير، بعضها قريب، بعضها بعيد، وضعت هذه النجوم المتفاوتة في الأحجام، والمتفاوتة في الأبعاد في أماكن دقيقة، بحيث لو تجاذبت لكان محصلة ذلك النظام البديع الذي نراه بأعيننا .

ما معنى أن تزول في هذه الآية ؟

أيها الأخوة، قال تعالى:

(إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا)

[سورة فاطر الآية: 41]

ما معنى أن تزول؟ لا أن تفنى، أي أن تخرج عن مسارها إذا اقتربت الأرض من الشمس، زادت من سرعتها، لئلا تنجذب إلى الشمس، هذه السرعة الزائدة تعطيها قوة نابذة، تكافئ القوة الجاذبة فتبقى في مسارها، قال تعالى:

(فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ)

[سورة الواقعة الآية: 75-76]

فكروا في هذه الآية، دققوا، ابحثوا، تأمَّلوا، تصوَّروا، تعرَّفوا إلى الله، قال تعالى:

(وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ)

[سورة الذاريات الآية: 20]

(قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ)

[سورة يونس الآية: 101]

ما معنى القرآن قطعي الثبوت قطعي الدلالة ؟

أيها الأخوة، في السموات والأرض آيات لا تنتهي، ولا تقف عند حد، في السموات والأرض أدلة ليست مقنعة، ولكنها قاطعة، والدليل القاطع أبلغ من الدليل المقنع، يقولون القرآن قطعي الثبوت، قطعي الدلالة، إذا قال الله سبحانه تعالى:

(قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ)

[سورة النور الآية: 30]

هذه الآية، لو خالفها الإنسان لشقي، قطعي الثبوت، قطعي الدلالة، إذا قال الله عز وجل:

(وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ)

[سورة الأحزاب الآية: 33]

أيها الأخوة، لا يصلح المجتمع بالاختلاط، فالقرآن قطعي الثبوت، قطعي الدلالة .

09-اعداد النجوم

الإحصاءات الأخيرة التي توصل بها العلماء في عدد النجوم :

أيها الأخوة المؤمنون، تحدثنا في الخطبة السابقة عن مواقع النجوم، وكيف أن هناك مجراتٍ تبعد عن الأرض ستة عشر ألف مليون سنة ضوئية؟ وأن الله سبحانه وتعالى، قال:

(فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ)

[سورة الواقعة الآية: 75-76]

يا أيها الأخوة المؤمنون، كان علماء الفلك فيما مضى يعدّون النجوم بالألوف، وبعد حقبةٍ من الزمن أصبحوا يعدّونها بالملايين، وقبل سنواتٍ عديدة أصبح العلماء يعدُّونها بالمليارات، وفي تقديرٍ مبدئي عدَّ العلماء نجوم مجرتنا ـ مجرة درب التبان وهي مجرةٌ متوسطة- ثلاثين مليار نجم في درب التبأن التي نحن فيها، والمجموعة الشمسية أحد نجومها.

وفي مجرةٍ أخرى، وصل العلماء في عدّهم لهذه النجوم إلى رقمٍ خيالي، مليون مليون نجم، والتقدير الحديث أنه تم اكتشاف مليون مليون مجرة، وفي كل مجرةٍ رقمٌ تقديري قد يصل إلى مليون مليون نجم:

(وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ)

[سورة الذاريات الآية: 47]

ارتفع الرقم الذي أحصاه العلماء إلى خمسمئة ألف، ثم أصبح العدد مليون، وصار العدد الأخير مليون مليون، فما أعظم ما في السماء، والله سبحانه وتعالى يقول:

(وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ)

[سورة الذاريات الآية: 47]

انظروا فلعلكم تعرفون الله عزَّ وجل، ولعلكم إذا عرفتموه استقمتم على أمره، لأن الله سبحانه وتعالى يقول:

(إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ)

[سورة فاطر الآية: 28]

إليكم ما اكتشفه العلماء عن الشمس :

أيها الأخوة الأكارم، كان يظن إلى أمدٍ قريب أن في السماء نجوماً متحركة، ونجوماً ثابتة، ومعنى أنها ثابتة، أي لها مواقع ثابتة لا تتغيَّر ولا تتبدَّل مع كرِّ الدهور والعصور، وكانوا يعدُّون الشمس من هذه النجوم الثابتة، مع أن الله سبحانه وتعالى يقول:

(وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ)

[سورة يس الآية: 38]

ثم اكتشف أخيراً أن الشمس ومجموعتها تدور حول كوكبٍ في الفضاء بسرعةٍ تزيد عن مئتي كيلو متر في الثانية الواحدة، سرعة الأرض حول الشمس ثلاثين كيلو متر في الثانية ، والشمس تقطع مئتي كيلو متر في الثانية الواحدة، وتستغرق الشمس في دورتها ملايين السنين .

يا أيها الأخوة المؤمنون، وصل العلماء إلى أرقامٍ خيالية في سرعة بعض المجرات، إن بعض المجرات تقطع في الثانية الواحدة مئتين وأربعين ألف كيلومتر، أي بسرعةٍ قريبةٍ من سرعة الضوء، فما هو هذا الكون الواسع المترامي؟ الله سبحانه وتعالى خالق كل شيء، وهو على كل شيءٍ وكيل .

أيها الأخوة المؤمنون، يقول ربنا سبحانه وتعالى:

(وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ)

[سورة يس الآية: 40]

أي أن أيُ نجمٍ مهما صغر، ومهما كبر، له فلكٌ يسبح فيه، قال تعالى:

(لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ)

[سورة يس الآية: 40]

يا أيها الأخوة المؤمنون، القرآن الكريم كلام الله رب العالمين، وهذا الكون خلقه، ولا بد من انسجامٍ تامٍ بين خلقه وبين هذا الكتاب، يقول الله سبحانه وتعالى:

(الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ)

[سورة الأنعام الآية: 1]

وفي آيةٍ أخرى:

(الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ)

[سورة الكهف الآية: 1]

أيها الأخوة المؤمنون، حرارة سطح الشمس ستة آلاف درجة، وفي نواتها عشرين مليون درجة، ولها قوة إضاءةٍ تقدَّر بوحداتٍ إضائية، لكن الذي يحيِّر العقول أن هناك شموساً تزيد في إضاءتها عن الشمس بستٍ وعشرين مرة، وهناك نجوم تزيد إضاءتها عن إضاءة الشمس بمئة مرة، وهناك نجوم تزيد إضاءتها عن إضاءة الشمس بخمس مئة ألف مرة، فما شمسنا إلا شمسٌ متواضعةٌ متوسطة بين شموسٍ كثيرة .

المرتبة التي حازها العلماء عند الله :

يا أيها الأخوة المؤمنون، هذا كله مصداق قول الله عزَّ وجل:

(سَنُرِيهِمْ آَيَاتِنَا فِي الْآَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ)

[سورة فصلت الآية: 53]

(إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ)

[سورة فاطر الآية: 28]

العلماء وحدهم ولا أحد سواهم يخشون الله عزَّ وجل .

10-انشقاق السماء

يوقن الباحث في العلم ويشعر المتأمّل في الكون، حينما يقرأ آيات القرآن المتعلّقة بخلْق الأكوان والإنسان، يوقن ويشعر بكلّ خليّة في جسمه، وبكلّ قطرةٍ في دمه، أنّ هذا القرآن كلام الله المنزّل على نبيّه محمّد رسول الله، وأنّه مستحيلٌ، وألف ألف مستحيل أن يأتيَ به بشرٌ فرادى أو مجتمعين، فمن خلال المؤتمرات العالميّة التي عُقِدَت في عواصم متعدّدة في أنحاء العالم حول الإعجاز العلمي في الكتاب والسنّة، يتّضِحُ أنّ أبحاثًا علميّة جادّة ورصينة، قام بها علماء ليسوا مسلمين، ولا تعنيهم آيات القرآن الكريم، استغرقتْ عشر سنوات، وكلّفتْ ملايين الدولارات، تأتي نتائجُ بحوثهم مطابقة مطابقة عفويّة وتامّة من دون تكلّف، ولا تعنّت، ومن دون تأويلٍ بعيد عن الآية أو تعديلٍ مفتعلٍ لحقيقة، تأتي نتائج بحوثهم تلك مطابقة لآية أو لكلمة في آية، بل لحرفٍ واحدٍ في آية، وهذا مصداق قوله تعالى:

(سَنُرِيهِمْ آَيَاتِنَا فِي الْآَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ)

[سورة فصلت الآية: 53]

إليكم ما اكتشفه العلماء عام 1990:

أيها الأخوة، ففي الواحد والثلاثين من تشرين الأوّل من عام ألفٍ وتسعمئة وتسعين، عرضَت إحدى أقوى وكالات الفضاء في العالم من خلال مرصَدٍ عملاق عبر موقعها المعلوماتي، صورةً لا يشكّ الناظر إليها لحظة: أنّها وردة جوريّة ذات أوراق حمراء قانية، مُحاطةٌ بوُرَيقاتٍ خضراء زاهية، وفي الوسد كأس أزرق اللّون، أما حقيقة هذه الصورة، فهي صورة لانفجار نجمٍ عملاق اسمه: عين القِطّ، يبعدُ عنّا ثلاثة آلاف سنة ضوئيّة، وفي هذا الموقع المعلوماتي آلاف الصّوَر الملوّنة التي رفضتها المراصد العملاقة لِعَجائب الفضاء، ولكن ما علاقة هذه الصورة بإعجاز القرآن؟ في القرآن الكريم آيةٌ في سورة الرحمن، وهي قوله تعالى:

(فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ)

[سورة الرحمن الآية: 37]

لو تتبَّعْت أيها المستمع الكريم، تفسير هذه الآية في معظم التفاسير قبل نشْر الصورة، ما تجدُ فيها ما يُشفي غليلك، ذلك لأنّ في القرآن آياتٌ لمّا تفسَّر بعدُ، كما قال الإمام عليّ كرّم وجهه، إنّ انشقاق هذا النّجم يُشبه ورْدةً متألّقة، بل إنّ صورة هذا النجم عند انفجاره هو تفسير هذه الآية بشكلٍ أو بآخر، هذا لونٌ من ألوان الإعجاز.

بعض النجوم تبعد عنّا عشرين مليار من السنوات الضوئيّة، أي أنّ ضوءها بقيَ يسير في الفضاء الكوني عشرين مليار سنةٍ حتى وصل إلينا، علمًا أنّ الضوء يقطع في الثانية الواحدة ثلاثمئة ألف كيلو متر، فكم يقطع في السّنة؟ وكم يقطع في عشرين مليار سنة؟ فهذا النّجم الذي وصل إلينا ضوؤُه بعد عشرين مليار سنة أين هو الآن؟ إنّه يسير بسُرعةٍ تقتربُ من سرعة الضّوء، لذلك جاءتْ الآية الكريم:

(فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ)

[سورة الواقعة الآية: 75-76]

إنّ كلمة مواقع في هذه الآية هي سرّ إعجازها، فالموقع لا يعني أنّ صاحب الموقع موجود فيه، فالله جلّ جلاله لم يقسم بالمسافات التي بين النجوم، ولكنّه أقسَم بالمسافات التي بين مواقع النجوم، ذلك لأنّ النجوم متحرّكة وليْسَت ثابتة، ولو قرأ عالم الفلك هذه الآية لخرَّ ساجدًا لله عز وجل، فقد قال الله عز وجل:

(وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ)

[سورة الواقعة الآية: 76]

أي أنّ العلماء وحدهم يقدّرون عظمة هذه الآية، قال تعالى:

(إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ)

[سورة فاطر الآية: 28]

11-النجم الثاقب:

إليكم تفسير هاتين الآيتين:

أيها الأخوة الكرام، من سور القرآن الكريم القصيرة، قوله تعالى:

(وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ * النَّجْمُ الثَّاقِبُ * إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ)

[سورة الطارق الآية: 1 - 4]

ثم إن هناك آية كريمة:

(وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى)

[سورة النجم الآية: 1]

الحقيقة؛ أن علماء التفسير وقفوا وقفات متأنية عند تفسير: النجم الثاقب، حتى استقر رأيهم أن هذا النجم ضوءه شديد ثاقب، يخترق طبقات الجو، وصلوا إلى هنا ولم يتحدثوا إطلاقاً عن كلمة الطارق، وقد قلت لكم أن في القرآن آيات كونية لم يفسرها النبي عليه الصلاة والسلام لحكمة بالغةٍ بالغة، لو فسرها تفسيراً قريباً من بيئته لأنكرنا عليه، ولو فسرها تفسيراً عميقاً من رؤيته لأنكر عليه أصحابه، تركت هذه الآيات ليكشفها العلم.

أيها الأخوة الكرام، (والنجم إذا هوى) غير الشهاب الذي يسقط، هذا ذكره الله عز وجل في آيات كثيرة، قال تعالى:

(إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ)

[سورة الصافات الآية: 10]

(وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيداً وَشُهُباً)

[سورة الجن الآية: 8]

إذاً: (السماء والطارق، وما أدراك ما الطارق؟ النجم الثاقب)، فالنجم الطارق والنجم الثاقب، والنجم إذا هوى، لا علاقة لهذه الآيات بالشهب المتساقطة، والتي نراها رأي العين كل يوم.

أيها الأخوة الكرام، الموضوع معقد جداً لكن على سبيل التبسيط؛ النجوم حينما تكبر تنكمش، وتزول الفراغات البينية بين ذراتها، إلى أن تصبح بحجم صغير جداً، ووزن ثقيل جداً، فقال: كرة ككرة القدم من هذه النجوم النيترونية المنكمشة، يعدل وزنها خمسين ألف بليون من الأطنان، فإذا وضعت هذه الكرة على الأرض ثقبتها ووصلت إلى طرفها الآخر، كما لو تأتي بقطن أو بسائل هلامي تضع به كرة حديد، هذه تسقط إلى الأسفل فوراً، هذا هو النجم الثاقب، لو أن الأرض شاخت سوف تصبح بحجم البيضة، بالوزن نفسه، وزن الأرض هو هو يصبح بحجم بيضة، هذا هو النجم الثاقب كم يرى بعض العلماء؟ القرآن حمال أوجه.

أيها الأخوة الكرام، ثم إن هناك تلسكوبات لاسلكية تلقت ومضات لاسلكية من هذه النجوم نبضات نوبية، وكأن هذا النجم يطرق باب الفضاء، نبضات نوبية يتزايد تواترها بشباب، ويقل تواترها في شيخوخته، ونعرف من هذه النبضات التي تأتي عن طريق التلسكوبات اللاسلكية نعرف عمر هذا النجم من تواتر النبضات، فنجم يطرق، ونجم يثقب، وهذا شيء من أحدث البحوث الفلكية.

أيها الأخوة الكرام، قال تعالى: (والسماء والطارق، وما أدراك ما الطارق؟ النجم الثاقب -جواب القسم- إن كل نفس لما عليها حافظ) كل حركاتك، وسكناتك، وكل أقوالك، وأفعالك، وكل تمنياتك، وكل بواعثك، وكل آمالك، وكل ما أخفيته عن الناس هو يحفظه الله لك، وسيحاسبك عنه، لأن الذي خلق النجم الثاقب، والنجم الطارق، والنجم إذا هوى، هو الذي سيحاسبك على عملك.

12-مدارات الكواكب

كيف نفسر معنى هاتين الآيتين ؟

أيها الأخوة المؤمنون، في سورة يس، آيةٌ كونية، وهي قوله تعالى:

(لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ)

[سورة يس الآية: 40]

هذه الآية، على ظاهرها، أن للشمس مداراً، وللقمر مداراً، ومدار الشمس لا يتصل بمدار القمر، ولن تصطدم الشمس بالقمر، بل كل في فلك يسبحون، يؤيِّد هذا المعنى، قوله تعالى:

(إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً)

[سورة فاطر الآية: 41]

أن تزول، بمعنى تنحرف، والزوال في وقت الظهيرة، انحراف الشمس عن كبد السماء، فهم من هذه الآية، أن كل كوكبٍ في الفضاء، له مدارٌ يدور فيه، حتى إن بعضهم، حينما تلا قوله تعالى:

(وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ)

[سورة الطارق الآية: 11]

رأى أن هذه الآية، فيها أدقُّ وصفٍ للسماء، ما من كوكبٍ أو نجمٍ في السماء إلا وله مدارٌ يدور فيه، ويعود إلى ما كان بعد حين .

هل يمكن أن يخرج مذنب هالي عن مساره ، وما دليل ذلك ؟

فهذا المذنَّب، الذي يرصده الناس كلَّ يوم، والذي كما يقول العلماء: سوف يظهر بعد أسابيع في الأفق الجنوبي، مذنَّب هالي، يدور في مدار منذ أن خلق الله السموات والأرض لا يحيد عنه قيد أنمُله، يصل إلى نقطةٍ تقترب من الأرض، ثلاثمئة مليون كيلو متر، له ذيلٌ يزيد طوله عن ثلاثٍ وتسعين مليون كيلو متر، ويخاف الناس أن يبقى في سيره مستقيماً فيصطدم بالأرض.

أما الآية الكريمة: (إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا) يعني بقاء هذا المذنَّب في مداره، ملايين السنين، بقاء الأرض في مدارها، ملايين السنين، بقاء الشمس في مدارها، بقاء القمر في مداره، هذا بحدِّ ذاته آية، قال تعالى :

(لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ)

[سورة يس الآية: 40]

هل يجري على كواكب الكون متغيرات عشوائية بأن يسبق كل واحد الآخر، وما الدليل ؟

كلُّ كوكبٌ له مدار، لا يزيد، لا ينقص، لا يسرع، لا يبطئ، لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر، ولا الليل سابق النهار، يعني الشمس، لن ترتطم بالقمر، ودورة الأرض حول نفسها ثابتة، طول الليل لا يتغيَّر؛ يعني التقاويم بعد مئة عام، يقال لك: في يوم سبعة عشر نيسان مثلاً، تشرق الشمس الساعة السادسة ودقيقتين، ما معنى ذلك؟ ولا الليل سابق النهار، دورة الأرض ثابتة حول نفسها، وحول الشمس ثابتة، وكل في فلك يسبحون، لكن علماء الذرة، دهشوا من هذه الآية:

(لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ)

[سورة يس الآية: 40]

على من تعود (كلٌ)؟ قال: هذه الآية تعود على كل شيءٍ خلقه الله عزَّ وجل .

هذا المنبر الذي أقف عليه، فيه ذراتٌ، نترونات، وإليكترونات تدور حول نفسها، نظام الذرة كنظام المجرة .

قطعة المعدن هذه، كلٌّ شيءٍ تقع عليه عينك، مؤلّفٌ من جزيئات، والجزيء، مؤلّفٌ من ذرات، والذرة، مؤلّفةٌ من نواة، ومن كهارب لها مدارات، ولها سرعاتٌ ثابتة، هذه الآية التي تشير إلى الذرة: (لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر، ولا الليل سابق النهار) يعني كل شيءٍ خلقه الله في فلك يسبحون .

ذرات الصخر، حجر، قطعة خشب، كأس الماء، لوح البللور، الطاولة، كلُّ شيءٍ تقع عينك عليه، إنما هو جسمٌ مؤلّفٌ من جزيئات، والجزيء من ذرات، والذرة من نواة، ومن كهارب.

13-سرعة الضوء

يقول الله تعالى في كتابه العزيز:

(يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ (5))

[سورة السجدة]

القرآن يخاطب أناساً يعتمدون السَنة القمرية، فالقمر يدور حول الأرض كلَّ شهر دورةً، فلو قِسنا بُعدَ مركزِه عن مركزِ الأرض أي نصفَ قطر الدائرةِ التي هي مسارُ القمرِ حولَ الأرض، وحسبْنا محيطَ هذه الدائرة بعد معرفةِ نصفِ قُطرها، لعرفنا كمْ من الكيلو مترات يقطع القمرُ في دورته حولَ الأرض كلَّ شهر، لو أخذنا طولَ محيطِ هذه الدائرة، وضربناه باثني عشر شهراً، لعرفنا كم يقطعُ القمرُ من الكيلومترات في رحلته حول الأرض في عامٍ، هذه الكيلو مترات التي يقطعها القمرُ في رحلته حول الأرض في العام، لو ضربناها بألف ، لعرفنا كم يقطع القمر في رحلته حول الأرض في ألفِ عام، هذا الرقم يساوي المسافة مقدرةً بالكيلو مترات التي يقطعها القمر في رحلته حول الأرض في ألف عام

(فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ)

فما يقطعه القمر في ألفِ عام، يقطعه الضوءُ في يوم، بدليل أننا لو قسمنا ما يقطعه القمر في رحلته حول الأرض في ألف عام وهي المسافة على ثواني اليوم، وهي اربعةٌ وعشرون ساعةً ضرب ستينْ ضرب ستين وهي الزمن، لو قسمنا المسافة على الزمن لظهر معنا الرقم التالي وهو مئتانْ وتسعٌ وتسعونَ ألفاً وسبعُمئةٍ واثنان وتسعونَ كيلومترٍ ونصفٌ وهذه النتيجة تتفقُ تماماً مع سرعة الضوءْ المعلنةِ دولياً طبقاً لبيان المؤتمر الدولي المنعقدِ في باريسَ وسرعةُ الضوء هي أهمُّ قانون عرفتهُ البشرية في القرن العشرينْ وهذه السرعةُ أعلى سرعةٍ في الكون، فالشيءُ إذا سار بسرعة الضوءِ

أصبح ضوءاً، وأصبحت كتلتُه صفراً وحجمُه لا نهائياً، وعندئذ يتوقف الزمنُ، فإذا سار الجسمُ أسرع من الضوء تراجع الزمنُ فإذا قصَّر عن الضوء تراخى الزمن.

فالمسافة التي يقطعها القمرُ في مداره الخاص حول الأرض في ألف سنةٍ قمريةٍ تساوي المسافة التي يقطعها الضوءُ في يوم أرضي واحد

وهذه هي النظرية النسبية التي يتيه الغرب بها

14-معجزة الاسراء والمعراج

التفسير الشرعي لمعنى المعجزة :

أيها الأخوة المؤمنون، موضوعٌ دقيقٌ جداً متعلقٌ بالإسراء والمعراج، أَلِفَ الناس لكل شيءٍ خاصَّة أو طبيعة، أَلِفُوا القوانين التي قنن الله بها ملكوتَ السموات والأرض، للماء خواص، للنار خواص، هناك قوانين تضبط الانتقال من مكان إلى مكان، الجسم له ظروف تتوافق معه، وله ظروف تتناقض معه، أسوق لكم الحقائق التالية كي نفرِّق بين ما هو مستحيلٌ عادةً، وبين ما هو مستحيلٌ عقلاً:

إن الله سبحانه وتعالى حينما جعل النار تحرق بمشيئته، قادر في أية لحظة أن يجعلها لا تُحْرِق، هناك طبيعةٌ خاصة لكل شيء، وأيُّ قانونٍ مادي، أيُّ علاقةٍ ثابتة بين شيئين، هذه من خلق الله عزَّ وجل، والله يخلق ما يشاء، فإذا خلقها على شاكلةٍ يمكن أن يخلقها على شاكلةٍ أخرى، فحينما تأتي في القرآن الكريم بعض خوارق العادات، كالإسراء والمعراج وهي معجزة، هذا لا ينبغي أن نفهمه في ضوء القوانين التي قننها الله سبحانه وتعالى، إن الإسراء والمعراج خرقٌ لهذه القوانين، لأن الإنسان أحياناً يتوهَّمُ أن السبب وحده هو الذي يخلق النتيجة، فإذا اعتقد ذلك اعتقاداً جازماً وقع في الشرك، إن الذي يخلق النتيجة ليس هو السبب، ولكنه الله سبحانه وتعالى، والسببُ في أيةِ لحظةٍ يعطَّل أو يلغى .

فحينما تأتي بعض المعجزات على يدِ الأنبياء صلوات الله عليهم، أو حينما تكون بعض المعجزات لنبينا عليه الصلاة والسلام، فهذه ليست مستحيلة عقلاً، ولكنها مستحيلة عادةً، فَرَّقَ علماء العقيدة بين ما هو مستحيلٌ عادةً، وبين ما هو مستحيلٌ عقلاً، مثلاً: جعل الله البحر الذي بين مصرَ و سيناء يبساً، قال تعالى:

(قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ)

[سورة الشعراء الآية: 61]

فرعون من ورائهم، والبحر من أمامهم، قال:

(قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ)

[سورة الشعراء الآية: 62]

حينما خلق الله سبحانه وتعالى طبيعة الماء سائلة بقدرته، هو قادرٌ في كل لحظةٍ أن يجعلها جامدة، فما هي إلا إشارة من سيدنا موسى بعصاه حتى أصبح البحر يبساً .

هذا إذا فكرت في آلاء الله، وعرفت عظمة الله سبحانه وتعالى، لا ترى في خوارق العادات شيئاً مستحيلاً عقلاً، بل ربما كان مستحيلاً عادةً كما أَلِفَ الناس، ألف الناس أن النار تُحرق، وأن الماء سائل، ولكن ربنا سبحانه وتعالى هو خالق القوانين، هو خالق طبائع الأشياء ، هو خالق العلاقات الثابتة التي تظنها ثابتة، إنها ليست ثابتة، ثابتة إذا شاءً لها الله أن تكون ثابتة، فإذا شاءً أن تكون غير ثابتة، تكون غير ثابتة، هو الذي خلق قوانين المكان، هو الذي خلق قوانين الزمان .

من دلائل صدق النبي حينما أسري إلى بيت المقدس :

فإذا قرأت في كتب السيرة، أن النبي عليه الصلاة والسلام خرج من بيته في مكة إلى بيت المقدس وعاد إليه، فهذا من خرق الله سبحانه وتعالى لقوانين المكان .

كذَّبته قريش، ولكنهم حينما طالبوه أن يصف لهم المسجد الأقصى، وصفه وكأنه يشاهده، لعلهم ظنوا أن النبي عليه الصلاة والسلام سمع هذا الوصف من غيره فنقله إليهم، طالبوه بأن يصف لهم ما رآه في الطريق، وصف لهم قافلةً، وسمَّى أسماء أصحابها، ولما جاءت القافلة إلى مكة، وسألوا: مَنْ أفرادها؟ جاءت إجابتهم مطابقة تماماً لوصف النبي عليه الصلاة والسلام .

لذلك حدث الإسراء والمعراج نُصَّ عليه بآياتٍ محكمةٍ صريحةُ الدلالة، من أنكره فقد كفر، لأنه أنكر حقيقة وردت في القرآن الكريم .

الباب الثالث:الشمس

01-شموس الكون

02-البعد بين الكواكب

03-الشمس والأرض

04-المسافات بيننا وبين الشمس

05-شمس الأرض

06-السنة الشمسية والسنة القمرية

01-شموس الكون

سؤال ورد:

أيها الأخوة الكرام، سئل رئيس أكبر وكالة فضاء في العالم عن السديم، وعن كتله المتوهجة الحمراء والبيضاء والسوداء، أجاب هذا العالم الكبير، وهو أكبر علماء الأرض في علم الفلك، أن الشموس المشتعلة أنواع ثلاثة؛ شموس مشتعلة باللون الأحمر كشمسنا، وهي في منتصف عمرها هكذا قال بعض العلماء، مضى على اتقادها خمسون مليار سنة، وستبقى كما يقولون خمسين مليار سنة أخرى، فهي في منتصف عمرها، وهناك شموس يزداد حجمها زيادة كبيرة، بعد أن تمر بمرحلة الاحمرار إلى درجة أنها تنتفخ زيادة عن الحد المعقول، ثم تنكمش انكماشاً عظيماً فجأةً، بواقع واحد من مئة من حجمها الأصلي، وعندئذ تصبح بيضاء اللون، وتُشع نوراً أبيض، ولكنه أشد حرارة بكثير من اللون الأحمر، وبعد ذلك تمر هذه الشمس في مرحلة أخرى هي مرحلة التكدس كما يتكدس المتر المكعب من الحديد بحجم ذرة، لا تُرى بالعين ولا بالمجهر.

قال: ومعنى ذلك أن كثافة هذه الشمس تصبح عالية جداً، ويصبح جذبها شديداً جداً لدرجة أن النور لا يسطع منها، ولا يخرج.

سماها العلماء الآن الثقوب السوداء، هذه لها قوة جذب مخيفة، لو أنها جذبت الأرض لأصبحت الأرض بحجم بيضة مع وزنها نفسه.

تصور الأرض بقاراتها الخمسة، والبحار التي تشكل أربع أخماس اليابسة، هذه الكتلة الضخمة كلها لو جذبها ثقب أسود لأصبحت بحجم البيضة.

ما علاقة هذا السؤال بحديث النبي، وعلام يدل ؟

أيها الإخوة الكرام، يقول عليه الصلاة والسلام فيما رواه الترمذي وابن ماجة عن أبي هريرة، والحديث في الجامع الصغير، يقول النبي عليه الصلاة والسلام:

((أوقد على النار ألف سنة حتى احمرت، ثم أحمي عليها ألف سنة حتى ابيضت، ثم أحمي عليها ألف سنة حتى اسودت، فهي سوداء مظلمة كالليل المظلم))

هذه من دلائل نبوة النبي عليه الصلاة والسلام، كيف عرف أن النار أوقد عليها ألف عام حتى احمرت؟.

قال الإمام المناوي في فيض القدير في شرح هذا الحديث، ليس الألف عام رقماً يعني العدد، ولكنه زمناً طويلاً للتكثير والمبالغة، نص الحديث بالضبط:

((أوقد على النار ألف سنة حتى احمرت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت فهي سوداء كالليل المظلم))

02-البعد بين الكواكب

إليكم هذا البعد الزمني بين الكواكب في المجموعة الشمسية:

من الحقائق المقطوع بها؛ أن في الكون مائة ألف مليون مجرة إلى الآن، هذا المنظور الحالي، مجرتنا درب التبانة إحدى هذه المجرات، وهي مجرة متوسطة، فيها مائة ألف بليون نجم وكوكب، طولها مائة ألف سنة ضوئية، عرضها خمس وعشرون ألف سنة ضوئية، القمر بعده عنا ثانية ضوئية واحدة، الشمس ثماني دقائق، المجموعة الشمسية ثلاث عشرة ساعة، أما هذه المجرة درب التبانة طولها مائة ألف سنة ضوئية، عرضها خمس وعشرون ألف سنة ضوئية، الضوء ماذا يقطع في السنة؟ يقطع عشر مليون مليون كيلو متر، يعني ثلاثة عشر صفر.

الآن المجموعة الشمسية التي نحن فيها، طولها ثلاثة عشر ساعة ضوئية، لاحظ فلكي ألماني؛ أن المسافات مسافات الكواكب في المجموعة الشمسية تخضع بتتابع رياضي عجيب!

نشر ورقة كتب عليها صفر، ثلاثة، ستة، ضعف ثلاثة، اثنا عشر، أربع وعشرون، ثمانية وأربعون، ستة وتسعون، مائة واثنان وتسعون كل رقم ضعف الذي قبله، وأعطى عطارد أول رقم صفر، والزهرة ثلاثة، والأرض ستة، والمريخ اثنا عشر، وتوقف هنا، ثم أضاف رقم أربعة إلى كل هذه الأرقام، ثم قسمها على عشرة، فإذا الناتج هو بعد كل كوكب عن الشمس، هذا القانون ظهر في القرن التاسع عشر، وقام حوله ضجة كبيرة، وعليه مأخذان، رقم أربع وعشرون غير موجود، لا يوجد نجم بهذا المكان، ورقم مائة واثنان وتسعون ليس هناك نجم بهذا المكان، واتهم هذا القانون بأنه غير صحيح، ثم اكتُشف في الرقم أربع وعشرين هناك مجموعة كويكبات، وفي موقع مائة واثنين وتسعين هناك كوكب أورانوس، فهذه المجموعة الشمسية تخضع لقانون دقيق جداً، يعني كل نجم رتبه بسلسلة هندسية أو حسابية، وأضاف رقم أربعة، وقسم على اثني عشر، الناتج بعد كل كوكب عن الشمس، كان يوجد فراغان الأربع وعشرين، والمائة واثنين وتسعين، ثم اكتشف الكويكبات في المكان الأول، وأورانوس في المكان الآخر.

الخاتمة:

أيها الأخوة، هذا الكون الذي تبدو فيه عظمة الله عز وجل، هذا الكون الذي هو تجسيد لأسماء الله الحسنى، هذا الكون الذي هو مظهر لعظمة الله عز وجل، قال تعالى:

(قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ)

[سورة يونس الآية: 101]

وحذرنا من أن نمر على هذه الآيات، ونحن عنها غافلون.

03-الشمس والارض

عن أبو الدرداء رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : ' ألا أخْبِرُكم بخير أعمالِكم ، وأرفَعِها في درجاتكم ، وأزكاها عند مليكِكم ، وخير لكم من الوَرِق والذهب ، وخير لكم من أن تَلْقَوا عَدُوَّكم ، فتضربوا أعناقهم ، ويضربوا أعناقكم ؟ قالوا : بلى ، قال : ذِكْرُ الله '

[أخرجه مالك والترمذي]

شأن الذكر:

يبدو من خلال هذا الحديث الشريف ، أن الذكر له شأن كبير في حياة المؤمن ، كيف لا وقد ورد الذكر في القرآن الكريم في أكثر من ثلاثمائة آية تؤكد هذه الآيات في مجموعها أن الذكر ينبغي أن يدور مع الإنسان في كل شؤونه وأحواله وأطواره ؛ لأنه عبادة القلب ، والكفر واللسان فمن الذكر ؛ أن تذكر الله في آياته الكونية ، وفي آياته القرآنية ، وفي آياته التكوينية وأن تذكره من خلال نعمه الظاهرة ، والباطنة ، وأن تذكره في أمره ونهيه ، وأن تذكره لعباده معرفاً به ، وأن تذكره في قلبك وعلى لسانك مُسبحاً وحامداً وموحداً ومكبراً ، وأن تذكر ربوبيته لك فتدعوه وحده ، في أحوالك كلها ، وأطوارك جميعها ، وأن تذكره ذكراً كثيراً ؛ ليطمئن قلبك ولينجلي همك ، ولينشرح صدرك ، وليتسع رزقك ولتنتصر على عدوك .

التفكر في آيات الله :

فمن الذكر التفكر في آيات الله في الآفاق ، وفي الأنفس ، وهذا التفكُّر من أجل أن نعرف الله جل وعلا، وأن نقدره حق قدره ، قال تعالى :

(إنَّ فِي خَلْق السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْض وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَار لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَاب ، الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْق السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْض رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّار)

[سورة آل عمران]

من آيات الله في الآفاق التجاذب الحركي :

فمن هذه الآيات التي بثها الله في الآفاق ، التجاذب الحركي فيما بين الكواكب والنجوم ، قال تعالى :

(اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْر عَمَدٍ تَرَوْنَهَا)

[سورة الرعد الآية 2]

فكلمة تَرَوْنَهَا تفيد ـ فيما تفيد ـ أن الله جل وعلا رفع السماوات بعمد لا نراها إنها قوى التجاذب التي تنظم الكون كله ، بدءاً من الذرة ، وانتهاءً بالمجرة .

الشمس والأرض :

فالشمس مثلاً تجذب إليها الأرض بقوة هائلة ، بحيث تجري الأرض في مسار مُغلق حول الشمس ، ولو أنعدم جذب الشمس للأرض ، لخرجت الأرض عن مسارها حول الشمس ولاندفعت في متاهات الفضاء الكوني ، حيث الظلمة والتجمد ، وبزوالها عن مسارها (أي بغنحرافها عنه) تزول الحياة فيها ، إذ تصل درجة حرارتها إلى مئتين وسبعين درجة تحت الصفر . وهي درجة الصفر المطلق ، التي تنعدم فيه حركة الذرات . قال تعالى :

(يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا)

[سورة فاطر الآية 41]

ولكي ندرك قوة جذب الشمس للأرض ، نفترض أن هذه القوة انعدمت لسبب أو لآخر ، ومن أجل أن تبقى الأرض مرتبطة بالشمس ، تجري في مسار حولها ، لابد من أن نربطها إلى الشمس بأعمدة مرئية من الفولاذ ، والفولاذ من أمتن المعادن ، ومن أعظمها تحملاً لقوى الشد فالسلك الفولاذي الذي قطره ميلمتر واحد ، يتحمل من قوى الشد ما يعادل مئة كيلو غرام ، إننا بحاجة إلى مليون مليون حبل

فولاذي، طول كل حبل مئة وستة وخمسون مليون كيلو متر ، وقطر الحبل الواحد خمسة أمتار والبل الواحد ن هذه الحبال يتحمل من قوى الشد ما يزيد عن مليوني طن ، فكم هي قوة جذب الشمس للأرض؟ .. إنها مليونا طن مضروبة بمليون مليون ثم إذا زرعنا هذه الحبال على سطح الأرض المقابل للشمس ، لفوجئنا أننا أمام غابة من الحبال الفولاذية ، بحيث تقلُّ المسافة بين الحبلين عن قطر حبل ثالث ، هذه الغابة تحجب عنا أشعة الشمس ، وتُعيق كل حركة وبناء ونشاط . كل هذه القوى الهائلة من أجل أن تحرف الأرض في مسارها حول الشمس ثلاثة ميلمتارت كل ثانية . لقد صدق الله العظيم إذ يقول :

(اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا)

[سورة الرعد الآية 2]

(يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا)

[سورة فاطر الآية 41]

من آيات الله في الأنفس :

هذه آية من آيات الآفاق ، فماذا عن آيات النفس ؟ .. قال تعالى :

(وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ)

[سورة الذاريات]

لو أن رجلاً كان يتنزه في بستان ، ولمح فجأة كائناً مؤذياً قاتلاً ، فما الذي يحدث في جسمه ؟!.. ينطبع خيال هذا الكائن على شبكية العين ، إحساساً ، وينتقل هذا الإحساس الضوئي إلى المُخِّ ، فيصبح إدراكاً للخطر ، وعندها يأمر المخ ـ وهو ملك الجهاز العصبي ـ الغدة النخامية ـ وهي ملكة الجهاز الهرموني ـ بأن تواجه هذا الخطر .. هذه الملكة تصدر أوامر لغدة الكظر لكي تعطي الجسم الجاهزية القصوى لمواجهة الخطر ، والكظر بدوره يعطي أمراً هرمونياً إلى القلب ، ليُسرِّع نبضاته ، (فالخائف تزداد ضربات قلبه) والكظر يعطي أمراً هرمونياً ثانياً للرئتين ، ليتوافق وجيبها مع ازدياد نبضات القلب (فالخائف يزداد وجيب رئتيه فيلهث) والكظر يعطي أمراً ثالثاً للأوعية الدموية فتضيق لمعتها ، ليتحول الدم إلى العضلات (فالخائف يصفرُّ لونه) والكظر يعطي أمراً هرمونياً رابعاً للكبد ، ليطرح في الدم كمية من السكر إضافية ، والسكر مادة الوقود في العضلات ، والكظر يعطي أمراً هرمونياً خامساً للكبد ليزيد من هرمون التجلط منعاً من نزيف الدم ، كل هذا في ثوان معدودة ؟!.

(هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ)

[سورة لقمان الآية 11]

وقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخاري ومسلم :

((مَثَل الذي يذكر ربَّه ، والذي لا يذكر ربه : مَثَلُ الحيِّ والميت))

04-المسافة بيننا وبين الشمس

أيهما أكبر الشمس أم الأرض، وكم عمرها، وماهو النجم الذي يتسع للشمس والأرض ؟

أيها الأخوة المؤمنون، يقول ربنا سبحانه وتعالى:

(قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ)

[سورة يونس الآية: 101]

قال العلماء: إن الشمس تكبر الأرض بمليونٍ وثلاثمئة ألف مرة، وأن لسان اللهب الذي يخرج من الشمس يزيد طوله عن مليون كيلو متر، وأن الأرض إذا ألقيت في الشمس تبخّرت في ثانيةٍ واحدة .

يقدر بعض العلماء أن عمر الشمس يزيد عن خمسة آلاف مليون سنة، وأن بين الشمس والأرض مئةً وستة وخمسين مليون كيلو متر، وأن في برج العقرب نجماً متألقاً يرى من الأرض ، اسمه قلب العقرب، هذا النجم المتألِّق الذي يقع في الوسط الهندسي لبرج العقرب، وهو أشدُّ تألُّقاً ، إن هذا النجم يتسع للشمس والأرض مع المسافة بينهما .

كم هي المسافة الزمنية بين مواقع النجوم ؟

قال تعالى:

(فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ)

[سورة الواقعة الآية: 75-76]

أيها الأخوة، بيننا وبين القمر ثانيةٌ ضوئيةٌ واحدة، يقع القمر على بعد ثانيةٍ ضوئية، يعني ثلاثمئة وستين ألف كيلو متر، يقطعها الضوء في ثانيةٍ واحدة، وبيننا وبين الشمس ثماني دقائق ضوئية، يعني ضوء الشمس يقطع المسافة بين الشمس والأرض في ثماني دقائق، وبيننا وبين أبعد نجمٍ في المجموعة الشمسية، ثلاث عشرة ساعةً ضوئية، وأن أقرب نجمٍ إلى الأرض من غير المجموعة الشمسية، وهو نجم القطب، بعده عنا أربعة آلاف سنةٍ ضوئية .

قالوا: إننا نتحدى السماء بهذه المركبة تشالنجر، اسمه المتحدي، فقبل الله التحدي، وجعلها كتلة من اللهب في سبعين ثانية، وبين الأرض وبين أقصى نجمٍ في درب التبان، مئة وخمسين ألف سنةٍ ضوئية، وأن بعض المجرات تَبعد عنا ثمانية عشر ألف مليون سنة ضوئية.

إليكم مواضع هذه الآيات للتفكير :

أيها الأخوة، كان عليه الصلاة والسلام، كلما نهض من فراشه ليلاً، كان يتلو قوله تعالى:

(إِنّ فِي خَلْقِ السّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللّيْلِ وَالنّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ * الّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكّرُونَ فِي خَلْقِ السّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النّارِ)

[سورة آل عمران الآية: 190-191]

أيها الأخوة المؤمنون، تفكّر ساعة خيرٌ من عباده ستين عام، قال تعالى:

(وَمَا قَدَرُوا اللّهَ حَقّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسّموَاتُ مَطْوِيّاتٌ بِيَمِينِهِ)

(سورة الزمر الآية: 67]

أيها الأخوة المؤمنون، التفكر فريضة بعد الفريضة، قال تعالى:

(فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ * أَنّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبّاً)

[سورة عبس الآية: 24-25]

(فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمّ خُلِقَ * خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتّرَائِبِ)

[سورة الطارق الآية: 5-7]

(لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ * ثُمّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ)

[سورة التين الآية: 4-5]

05-شمس الارض

ما هو الطريق الذي فتحه الخالق حتى يصل الإنسان إلى معرفته ؟

أيها الأخوة الأكارم، كأني بأحد الحاضرين أو المستمعين، يسألني هذا السؤال: قلت في مطلع الخطبة: إن الإنسان لا يسعد في دنياه وأخراه إلا إذا اتصل بربه، وأقبل عليه، وقد بيَّنت لنا صوراً من آثار انعقاد

الصلة بالله، وقلت: إن هذه الصلة لا تكون إلا إذا استقامت جوارح الإنسان، وصلُح عمله، وهذه الاستقامة الخالصة، وذاك العمل الصالح، لا يكونان إلا إذا عرف الإنسان ربّه، وصحَّت عقيدته، أما السؤال: فكيف يعرف المرء ربَّه، وهو لا يراه؟ وفي الجواب عن هذا السؤال، أقول:

أيها الأخوة، السموات، بمجراتها، وكازاراتها، ونجومها، وكواكبها، ببروجها، ومذنباتها، بشموسها، وأقمارها، والأرض، بجبالها، وسهولها، ببحارها، وأنهارها، بأسماكها، وأطيارها، بنباتاتها، وأزهارها، بحيواناتها، ومخلوقاتها، بليلها، ونهارها، وشمسها، وقمرها، والإنسان، بخلقه، وطباعه، وبنيته، وأعضائه، وزوجته، وأولاده، كلها آياتٌ دالّة على الله، مشيرةٌ إليه، ناطقة بكمالاته، مجسدةٌ لأسمائه وصفاته، فالخلق يدل على الخالق، والصنعة تدل على الصانع، والنظام يدل على المنظم، والتسيير يدل على المُسَيِّر، والأقدام تدل على المسير ، والماء يدل على الغدير، أفسماءٌ ذات أبراج، وأرضٌ ذات فجاج، ألا تدلان على الحكيم الخبير؟!، صدق القائل:

سل الواحة الخضراء والماء جارياً ..

وهذه الصحارى والجبال الرواسياً

سل الروض مزداناً سل الزهر والندى

..سل الليل والإصباح والطير شادياً

وسل هذه الأنسام والأرض والسما ..

..وسل كلَّ شيءٍ تسمع الحمد سارياً

* * *

الشمس والبدر من أنوار حكمته

والبرُّ والبحر فيضٌ من عطاياه

الطير سبَّحه والزرع قدَّسه

.. والموج كبَّره والحوت ناجاه

والنمل تحت الصخور الصمِّ مجَّده

..والنحل يهتف حمداً في خلاياه

* * *

ربُّ السماء وربُّ الأرض ..

قد خضعت إنسٌ وجنٌ وأملاكٌ لعلياه

الناس يعصونه جهراً فيسترهم

...... العبد ينسى وربي ليس ينساه

الشمس آية من آيات الله الدالة على معرفته :

أيها الأخوة، قال تعالى:

(قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ * مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ * مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ * ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ * ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ * ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ * كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ * فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ * أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبّاً * ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقّاً * فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبّاً * وَعِنَباً وَقَضْباً * وَزَيْتُوناً وَنَخْلاً * وَحَدَائِقَ غُلْباً * وَفَاكِهَةً وَأَبّاً * مَتَاعاً لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ)

[سورة عبس الآية: 17-32]

وقال تعالى:

(قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)

[سورة يونس الآية: 101]

وها نحن يا رب، ننظر كما أمرتنا، في آيةٍ من آيات السموات والأرض، ألا وهي الشمس: فالشمس آيةٌ ساطعة دالة على الله، وهي نجمٌ متوسِّط الحجم، إذا قيست بالنجوم الأخرى، ومع أنها تكبر الأرض بمليون وثلاثمئة ألف مرةٍ حجماً، وتبعد عنها مئة وخمسين مليون كيلو متر وسطياً، ويقطع ضوء الشمس هذه المسافة في ثماني دقائق، فهناك نجومٌ يزيد حجم أحدها عن حجم الشمس والأرض مع المسافة بينهما .

أما عن حرارتها، فهي تصل إلى عشرين مليون درجة في مركزها، فلو ألقيت الأرض في جوف الشمس، لتبخَّرت في زمنٍ قصير، ويزيد طول ألسنة اللهب المنطلقةٍ من سطحها عن نصف مليون كيلو متر، وتنتج الشمس من الطاقة، في كلِّ ثانية، ما يعادل إحراق ألفي مليار طن من الفحم الحجري، في كلِّ ثانية، وتفقد الشمس في كلِّ يومٍ من كتلتها، ما يعادل ثلاثمئةٍ وستين ألف مليون طن .

يظنُّ علماء الفلك، أنه مضى على اتقادها ما يزيد عن خمسة آلاف مليون عام، وهم يطمئنون الناس إلى أن الشمس لن تنطفئ قبل خمسة آلاف مليون عام أخرى، ولو انطفأت الشمس فجأةً لغرقت الأرض في ظلامٍ دامس، ولهبطت درجة الحرارة فيها إلى ثلاثمئةٍ وخمسين درجة تحت الصفر، ولتحوَّلت الأرض إلى قبرٍ جليدي هائل، وانعدام الدفء والنور كافيان لقتل كلِّ مظهرٍ من مظاهر الحياة على سطح الأرض .

سل الشمس: من رفعها ناراً؟ من نصبها مناراً، وضربها ديناراً؟ من علَّقها في الجوِّ ساعة، يدبُّ عقرباها إلى قيام الساعة؟ من الذي آتاها معراجها، وهداها أدراجها، وأحلَّها أبراجها، ونقَّل في سماء الدنيا سراجها؟ قال تعالى:

(وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ)

[سورة فصلت الآية: 37]

وقال تعالى:

(وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ)

[سورة إبراهيم الآية: 33]

وقال تعالى:

(وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ * لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ)

[سورة يس الآية: 38-40]

(لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ)

[سورة فصلت الآية: 37]

ها نحن يا رب، نسبِّح بحمدك، ونقدِّس لك، ونسجد لعظمتك، اللهم أخرجنا من ظلمات الوهم والجهل إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن جفوة البعد إلى جنة القرب، لقد صدق الله العظيم ، حينما قال:

(وَكَأَيِّنْ مِنْ آَيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ * وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ)

[سورة يوسف الآية: 105- 106]

ولقد صدق الله العظيم أيضاً، حينما قال:

(إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ)

[سورة فاطر الآية: 28]

06 ـالسنة الشمسية والسنة القمرية

من إعجاز القرآن العلمي أن السنة الشمسية التي تسمى السنة الانقلابية هي مدة تنقضي بين مرورين متتاليين للشمس في نقطة اعتدال واحد ، ومقدار هذه السنة ثلاثمئة وخمسة وستون يوماً ، وألف وأربعمئة واثنان وعشرون بعد الفاصلة ، هذه السنة الشمسية بالدقة ، وبمرورها يحدث الصيف ، والخريف ، والشتاء ، والربيع ، أما السنة القمرية فتتكون من ثلاثمئة وأربعة وخمسين يوماً ، وبعد الفاصلة ستة وثلاثون ألفاً وسبعمئة وثمانون ، وهي المدة بين كسوفين متوالين مقسومة على عدد الحركات القمرية الدائرية ، والفرق بين السنة الشمسية والقمرية عشرة أيام ، وبعد الفاصلة ثمانمئة وخمسة وسبعون ألفاً ، ومئة وسبعة وثلاثون ، وبذلك يقع في كل ثلاث وثلاثين سنة فرق قدره ثلاثمئة وثمانية وخمسون يوماً ، أو نحو سنة تقريباً ، وعلى ذلك فإن كل مئة سنة تزيد ثلاث سنوات ، وتكون

الثلاثمئة سنة الشمسية يقابلها ثلاثمئة وتسع سنوات قمرية ، هذا حساب الفلكيين الدقيق ، ستة أرقام بعد الفاصلة ، وهذه الحقيقة الكونية ثابتة ، والتي اطمأن إليها العلم الحديث ، واستقر عليها ، وقد سبق إليها القرآن الكريم في سرده لقصة أصحاب الكهف في قوله تعالى :

(وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِئَةٍ سِنِينَ)

(سورة الكهف : 25) .

هذه سنوات شمسية

(وَازْدَادُوا تِسْعاً)

هذه سنوات قمرية إنه شيء دقيق جداً ، وبحسابات دقيقة في مراصد عملاقة ، بحسابات فلكية بالغة الدقة بستة أرقام بعد الفاصلة ، وبعد الحساب الدقيق فإن ثلاثمئة سنة شمسية تساوي ثلاثمئة وتسع سنوات قمرية.

قال ابن كثير في تفسيره لقوله تعالى :

(وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِئَةٍ سِنِينَ)

هذا خبرٌ من الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم بمقدار ما لبث أصحاب الكهف في كهفهم منذ أرقدهم إلى أن بعثهم الله ، وأعثر عليهم أهل ذلك الزمان ، وأنه كان مقداره ثلاثمئة سنة تزيد تسع سنين بالهلالية – أي بالقمرية – وهي ثلاثمئة سنة بالشمسية ، فإن تفاوت ما بين كل ثلاثمئة سنة بالقمرية إلى الشمسية ثلاث سنين ، فلهذا قال بعد الثلاثمئة :

(وازدادوا تسعاً)

[تفسير ابن كثير 80/3]

وفي تفسير الجلالين :قوله :

(وَازْدَادُوا تِسْعاً)

أي تسع سنين ، فالثلاثمئة الشمسية ثلاثمئة وتسع قمرية

[تفسير الجلالين [384/1] ولقد صدق الله إذ يقول :

(إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ)

[ق: 37]

الباب الرابع:الارض

01-الخسوف والكسوف

إليكم بيان هذه الحقيقة التي وضحها النبي :

أيها الأخوة المؤمنون، توفي سيدنا إبراهيم بن رسول الله عليه الصلاة والسلام، فوقف النبي موقف الأب الرحيم،المؤمن بقضاء الله وقدره، الصابر لحكمه، الراضي بمشيئته، فقال: إنما أنا بشر، تدمع العين، ويخشع القلب، ولا نقول ما يسخط الرب، والله يا إبراهيم، إنا بك لمحزونون

وقد رافق موت سيدنا إبراهيم كسوف الشمس، فظن الصحابة الكرام أن الشمس كسفت لموت إبراهيم، فوقف النبي خطيباً بأصحابه، وهو أمين وحي السماء، فرفض أن تختلط حقائق العلم بمشاعر المسلمين، فقال: إن الشمس والقمر لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته، ولكنهما آيتان من آيات الله تعالى، فإذا رأيتموهما فصلوا .

الخسوف: هو اختفاء القمر أو بعضه في أثناء مرور الأرض بينه وبين الشمس

أما الكسوف هو اختفاء الشمس أو بعضها في أثناء مرور القمر بينها وبين الأرض، إن الكسوف والخسوف إشارتان إلى نعمة الشمس والقمر، فهما آيتان دالتان على عظمة الله ورحمته، قال تعالى:

(وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ)

[سورة فصلت الآية:37]

(قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ)

[سورة القصص الآية: 71]

وقد يسأل سائل: كيف يغطي القمر قرص الشمس مع أنه أصغر منها بأربعمئة مرة؟ والجواب: إن الشمس أبعد عن الأرض من القمر بأربعمئة مرة، وهذا ما يجعلهما يظهران بالحجم نفسه، لذلك يمكن للقمر أن يحجب أشعة الشمس كلياً إذا مرّ بينها وبين الأرض

ويجب ألا يشغلنا جمال منظر الكسوف عن خطر الأشعة الشمسية على أعيننا، إذ أن النظر إلى الشمس في أثناء الكسوف من دون نظارة سوداء خاصة بالكسوف، يتسبب بأضرار بليغة للعين دون أن يشعر الإنسان، لأن شبكية العين لا تحوي أي مستقبل للألم، وهنا يجب الانتباه بشكل خاص للأطفال الذين لا يقدرون الخطر، ولأن شبكيات أعينهم أكثر حساسية من الكبار، لذلك سنّ لنا رسول الله صلاة الكسوف، وندب أن نطيل القراءة فيها، وأن نطيل السجود، ليغطي سجودنا وقت الكسوف

سيكون الكسوف استناداً للحسابات الفلكية في الحادي عشر من شهر آب مرئياً في جميع أنحاء الوطن العربي، لكنه لن يكون كلياً إلا في أقصى الشمال الشرقي منه، ففي الشمال الشرقي من سورية سيبدأ ذلك العرض الفلكي بعد ظهر ذلك اليوم بمرحلة الكسوف الجزئي الذي يستمر ساعة تقريباً، ومن ثم تغرب الشمس وتختفي كلياً، ويحلّ الظلام التام مدة دقيقتين، وفي هاتين الدقيقتين يتاح لنا أن نشاهد الانفجارات التي تحدث على سطح الشمس، وقد يمكننا أن نرى ألسنة اللهب التي يقترب طولها من مليون كيلو متر، وسيكون بالإمكان رؤية الكواكب الخمسة : عطارد والزهرة والمريخ والمشتري وزحل

02- الضغط الجوي

ما هي أعراض نقص الأوكسجين عند الإنسان ؟

أيها الأخوة، في سورة الأنعام الآية الخامسة والعشرون بعد المئة، وهي قوله تعالى:

(فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ)

[سورة الأنعام الآية: 125]

هذه الآية من دلائل الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، ومن دلائل نبوة النبي عليه الصلاة والسلام، لقد أثبت علم طب الطيران والفضاء، أن تعرض الإنسان للارتفاعات العالية عندما يصعد من سطح الأرض إلى الطبقات العلوية في السماء، فإنه تحدث له أعراض عضوية تتدرج من الشعور الضيق الذي يتركز في منطقة الصدر، وذلك أنه كلما استمر في الارتفاع انخفض الضغط الجوي، ونقص الأوكسجين حتى يصل إلى المرحلة الحرجة التي ذكرها القرآن الكريم، قال تعالى:

(يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ)

[سورة الأنعام الآية: 125]

إذا ارتفع الإنسان عن مستوى سطح البحر إلى ارتفاع عشرة آلاف قدم لا يشعر بشيء من أعراض نقص الأوكسجين وخفض الضغط، أما إذا تجاوز العشرة آلاف قدم إلى الستة عشر ألف قدم، عندئذ زود الله الجسم بأجهزة تتكافأ مع هذا التبدل في الضغط وفي نقص الأوكسجين، فإذا بقي في هذا المكان بين عشرة آلاف قدم وستة عشر ألف قدم يزداد نبض قلبه، ووجيب رئتيه، ويرتفع ضغطه من أجل أن تؤمن

هذه الأجهزة للجسم حاجتها للأوكسجين ومن الضغط، أما إذا تجاوز الإنسان الستة عشر ألف قدم إلى الخمسة والعشرين عندئذ لا تفي أجهزة الجسم في هذا الارتفاع المفاجئ، فما الذي يحصل؟ تظهر أعراض وفي مقدمتها ضيق الصدر، قال تعالى:

(يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ)

[سورة الأنعام الآية: 125]

أما إذا ارتفع بعد الخمسة والعشرين ألف قدم فأعلى، عندئذ يفقد الوعي تماماً، لذلك ركاب الطائرات الذين يحلقون على ارتفاع أربعين ألف قدم، إن هذه الطائرة مضغوطة ثمانية أمثال الهواء الذي عليها في سطح الأرض، من أجل أن يكون الضغط الجوي في الطائرة، وتوافر الأوكسجين موافقاً لسطح الأرض، وإلا يغيب الركاب عن الوعي تماماً وهذه الآية من أدلة الأعجاز العلمي في القرآن الكريم، ومن أدلة نبوة النبي عليه الصلاة والسلام، هذه أعراض نقص الأوكسجين .

ما هي أعراض انخفاض الضغط عند الإنسان ؟

أيها الأخوة الكرام:

فما أعراض انخفاض الضغط؟ قال العلماء: إن كل الغازات في الجسم تتمدد مع انخفاض الضغط، ومع تمددها تتمزق الأنسجة والأجهزة، تتهتك الرئتين، يتهتك القولون، تتهتك الأذن الوسطى، إن انخفاض الضغط له آثار خطيرة، فكل ما في الجسم من غازات تتمدد، فتمزق الأجهزة والأنسجة .

لذلك آلام البطن التي لا تحتمل، آلام القولون، آلام الرئتين، آلام الأذن، آلام المفاصل، هذه كلها من أعراض نقص الضغط، بربكم هل صعد النبي إلى السماء، فقال هذا الكلام؟ هل صعد أحد في حياته؟ هل ركبوا الطائرة في حياته حتى وصفوا هذه الأعراض؟ يقول الله عز وجل:

(يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ)

[سورة الأنعام الآية: 125]

لذلك قال الإمام علي كرم الله وجهه:

((في القرآن الكريم آيات لما تفسر بعد))

بعد أن تقدم العلم، وركب الإنسان الطائرة والمنطاد وصعد بهما في طبقات الجو العليا كشفوا هذه الحقائق، وأنت حينما تركب الطائرة لا تشعر بشيء من هذا؛ لأن أجهزة الطائرة قد ضغطت ثمانية أمثال ليكون الضغط الجوي ونسبة الأوكسجين موافقة لما هي عليها في سطح الأرض، فلو تعطلت أجهزة الضغط فجأة في الجو، لا بد للطيار أن يهبط اضطراراً لئلا يموت الركاب، هذا معنى قوله تعالى:

((يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء))

03- كروية الارض

إليكم هذه الحقيقة التي تدل على أن القرآن الكريم كلام الله :

أيها الأخوة المؤمنون، يحوي القرآن الكريم إشاراتٍ تلفت النظر، قال تعالى:

(وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فجٍّ عَمِيقٍ)

[سورة الحج الآية: 27]

قد يسأل سائل: لمَ لم يقل الله عزَّ وجل: وعلى كل ضامرٍ يأتين من كل فج بعيد، لمَ قال: من كل فجٍ عميق، ولم يقل: من كل فجٍ بعيد؟ .

قال العلماء: إن في استعمال كلمة عميق مكان كلمة بعيد، إشارةً إلى كروية الأرض، فالخطوط على سطح الأرض ليست مستقيمة ولكنها منحنية، والخط المنحني يحتاج إلى بعدٍ ثالث، يحتاج إلى سطحٍ، وإلى عمقٍ .

لذلك أشار ربنا سبحانه وتعالى في هذه الآية إلى أن هذه الأرض التي نحن عليها، هي أرضٌ كرويةُ الشكل، ولكن الشيء الذي يلفت النظر هو أن حكمة القرآن الكريم، أنها وفَّقت بين معطيات العصر الذي أنزل فيه القرآن، وبين معطيات العصور اللاحقة .

04-الأرض كفاتا

إليكم مقصود هذه الآية :

قال تعالى:

(أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتاً)

[سورة المرسلات الآية: 25]

أيها الإخوة المؤمنون، يقول ربنا سبحانه وتعالى في سورة المرسلات:

(أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتاً * أَحْيَاءً وَأَمْوَاتاً)

[سورة المرسلات الآية: 25-26]

كفاتا: مأخوذةٌ من فعل كَفَتَ، وكَفَتَ يَكْفِتُ كَفْتاً، أي جذبه، وقبضه، وضمَّه، فالأرض من صفاتها أنها كفت، أي تجذب، وتضم، وتقبض، وهذه الآية فيها إشارةٌ واضحة جليَّة إلى الجاذبية، فكلُّ شيءٍ على سطح الأرض ينجذب إليها، وما وزن الأشياء في حقيقة الأمر إلا قوة انجذابها نحو الأرض، ووزن الشيء يتناسب مع حجم الأرض .

فالشيء الذي يزن مئة كيلو غرام على وجه الأرض، يزن على القمر سدس هذا الرقم، الإنسان الذي وزنه على سطح الأرض ستون كيلو غرام، يزن على القمر عشر كيلو غرامات، فوزن الشيء هو قوة انجذابه نحو الأرض، وزن الشيء على سطح القمر هو قوة انجذابه إلى مركز القمر، وزن الشيء على سطح الأرض هو قوة انجذابه إليها، يقول الله سبحانه وتعالى:

(أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتاً)

[سورة المرسلات الآية: 25]

كيف تكون الحياة لو لا قوة الجذب؟ كيف يستقرُّ الماء على سطح الأرض لولا جذب الأرض له؟ كيف يبقى الهواء مرتبطاً بالأرض لولا جذب الأرض له؟ لولا أن الأرض تجذب الهواء لأصبح الهواء ثابتاً والأرض متحركة، ومع حركة الأرض وسكون الهواء، تنشأ تياراتٌ من الأعاصير، تزيد سرعتها عن ألفٍ وستمئة من الكيلو مترات في الساعة، وهذه السرعة كافيةٌ لتدمير كل شيءٍ على سطح الأرض، من جعل الهواء مرتبطاً بالأرض؟ إن ذلك بفعل الجاذبية، من جعل البحار مرتبطة بالأرض؟ إنه بفعل الجاذبية، من جعل كلَّ شيءٍ على سطح الأرض، وفي جوِّ الأرض ينجذب إليها؟ إنه بفعل الجاذبية، وينعدم الوزن إذا انعدمت الجاذبية، وانعدام الوزن حالة يعرفها رواد الفضاء فيما بين الأرض والقمر، إنَّ انعدام الوزن حالةٌ لا تطاق، قال تعالى:

(أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَاراً)

[سورة النمل الآية: 61]

جعل الله الأرض تدور، وهي مستقرة، وجعل الأشياء تستقرُّ عليها، وما الأوزان إلا قوةٌ للجذب، قال تعالى:

(أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتاً)

[سورة المرسلات الآية: 25]

وقد توهَّم بعضهم، أن الأرض في النهاية تجذب الإنسان إليها ليقبر فيها، لكن الله سبحانه وتعالى يقول:

(أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتاً * أَحْيَاءً وَأَمْوَاتاً)

[سورة المرسلات الآية: 25-26]

الإنسان الحيّ مرتبطٌ بالأرض منجذبٌ إليها، وهذا هو وزنه، ما معنى أن هذا الإنسان يزن ثمانين كيلو غرام؟ أي أن قوة انجذابه للأرض تعادل هذا الرقم، قال تعالى:

(أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتاً * أَحْيَاءً وَأَمْوَاتاً)

[سورة المرسلات الآية: 25-26]

أليس هذا كلام الله عزَّ وجل؟ هذه النظريات العلمية، أو هذه الحقائق العلمية التي قُطع بها، إنما وردت الإشارة إليها في القرآن الكريم .

05-استقرار الأرض

من معاني استقرار الأرض كما وضحتها الآية:

1- القرار:

أيها الأخوة الكرام، آية في القرآن الكريم، هي قوله تعالى:

(أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَاراً)

[سورة النمل الآية: 61]

من هذا الذي جعلها مستقرةً؟ يستقرُّ عليها البناءُ و لا يتداعى، من هذا الذي جعلها مستقرَّة؟ الأرض تتحرَّك، تسير في الثاني الواحدة ثلاثون كيلو متر، نحن بدأنا الساعة الواحدة الآن قطعنا أربعة وخمسون ألف كيلو متر، منذ أن بدأت فقلت: الحمد لله رب العالمين، ومع ذلك مستقرةٌ استقرارا مطلقا، فلو اهتزَّت ما بقي عليها بناءٌ، قال تعالى:

(وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ)

[سورة النمل الآية: 88]

تظن أن هذا الجبل ثابت، يمرُّ مرَّ السحاب لأنه يدور مع الأرض.

الدليل على استقرارية الأرض:

أيها الأخوة الكرام، الدليل: أن الزلازل هي اهتزاز للأرض، ماذا يحدث؟ الحلف الذي قصف دولة من دول البلقان ستَّة أشهر بأكملها، بأشدِّ أنواع الأسلحة تطوُّرا، بطائرات الشبح، وباستخدام أشعَّة الليزر،

وباستخدام الحواسيب، وباستخدام الـأقمار الصناعية، أحدث أسلحة تمَّ القصفُ بها ليلا و نهارا، في اليوم الواحد أربعمئة طلعة للطائرات، إحكام القصف مُتقن إلى درجة مذهلة، تنزل القنبلة في غرفة النوم، وفي مدخنة المصنع، وفي ستة أشهر من القصف المستمر، والكلفة تزيد تقريبا عن ثلاثمئة ألف مليون دولار، ما فعل هذا القصفُ في ستة أشهر ما بنفقة فلكية ما فعله زلزال في خمس و أربعين ثانية، قال تعالى:

(إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيد)

[سورة البروج الآية: 12]

قال تعالى:

(أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَاراً)

[سورة النمل الآية: 61]

إننا لا نملك شيئا، من يدري أنها إذا اهتزت الأرضُ ثمانيَ هزَّات بقياس ريختر، لا يبقى بناءٌ، بل إن الإنسان يصبح تحت الأنقاض يئِنُّ، ولا أحد يستمع له.

يا أيها الأخوة الكرام، قال تعالى:

(قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ)

[سورة الأنعام الآية: 65]

الزلازل، الألغام، الصواريخ، والصواعق، قال تعالى:

(أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ)

[سورة الأنعام الآية: 65]

وقال تعالى:

(وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آَمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ)

[سورة النحل الآية: 112]

2- التسارع والتباطؤ عند مسيرها حول الشمس:

أيها الأخوة الكرام، الأرض في مسيرها حول الشمس، مسارها إهليلجي، و القطران الأصغري والأعظمي لهذا الشكل معروفان عندكم، فإذا وصلت إلى القطر الأصغر، المسافة قلَّت بينها و بين الشمس، هناك احتمال إن تنجذب إلى الشمس، تتبخَّر في ثانية واحدة، الأرضُ هنا تزيد سرعتها، أما إذا وصلت إلى القطر الأعظم هناك خطر أن تتفلّت من مسارها حول الشمس، هناك تخفض من سرعتها،

وليس هذا هو الذي يعنينا في هذه الخطبة، الذي يعنينا أن رفعَ السرعة هو التسارع، وأن خفض السرعة هو التباطؤ، ولولا التسارع والتباطؤ، لانهدم كلُّ ما على الأرض، قال تعالى:

(أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَاراً)

[سورة النمل الآية: 61]

هذا هو المعنى الثاني.

3- نظام الجاذبية:

أيها الأخوة الكرام، المعنى الثالث: من خلق نظام الجاذبية؟ وإن كل شيء على سطح الأرض ينجذب إليها، هذا هو الوزن، روادُ الفضاء ينامون على فُرشهم، فإذا وصلوا إلى نقطة انعدام الجاذبية يستيقظون، وهو في سقف المركبة، ليس له وزن، و الحياة بلا وزن لا تُطاق أبدا، أيُّ شيء يذهب من بين يديك، من جعل هذا الشيء يستقرُّ على سطح الأرض، ومن خلق نظام الجاذبية؟ اللهُ عزوجل، قال تعالى:

(أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَاراً)

[سورة النمل الآية: 61]

من جعل في الأرض كلَّ حاجاتك حتى أنت مستقرٌّ بها؟ هل تستقرُّ في مكان ليس فيه ماء؟ أنت لا تستقرُّ إلا في مكان فيه بناء، وماء، وفيه غذاء، وفيه لحم، وفيه خضروات، و فواكه، وطبيب، وكل مرافق الحياة، وقد عدَّ بعض العلماء أن في الأرض مئتين وخمسين و ثمانين ألف مادة غذائية يأكلها الإنسان منوَّعة.

وظيفة المصائب في الكون:

فيا أيها الأخوة الكرام، آيات الله بين أيدينا، ولكن السعيد من يتَّعظ بغيره، و الشقيُّ من اتَّعظ بنفسه، إذا هان أمرُ الله على الناس هانوا على الله، فكانوا تحت الأنقاض، قال تعالى:

(وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ)

[سورة السجدة الآية: 21]

يا أيها الأخوة الكرام، قال تعالى:

(ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ)

[سورة الروم الآية: 41]

وقف رجلٌ و ألقى محاضرةً عن أحداث تركيا، قال: حاربنا الله ورسوله، وحاربنا الحجاب، واتَّفقنا مع اليهود ضدَّ المسلمين، وأبحنا لهذه المحطّات الفضائية أن تبثَّ سمومها بين الناس، فعاقبنا اللهُ عزوجل، هذا كلام قاله أحد زعماءهم في محطة فضائية.

أيها الأخوة الكرام، اللهُ عزوجل رحيم بنا، ولكن إن لم نرحم أنفسنا فاللهُ عزوجل لا بدَّ أن يعالجنا، لأنه طبيب، إن تابوا فأنا حبيبهم، وإن لم يتوبوا فأنا طبيبهم، أبتليهم بالمصائب لأطهِّرهم من الذنوب والمعايب، الحسنة بعشرة أمثالها وأزيد، والسيئة بمثلها وأعفو، وأنا أرأف بالعبد من الأم بولدها.

06- الأرض مهادا

إليكم السبب في عدم صلاحية هذه الكواكب بأن تكون مهداً للحياة :

قال تعالى:

(الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْداً)

[سورة طه الآية: 53]

أيها الأخوة المؤمنون، نحن على كوكبٍ اسمه: الأرض، وهو أحد أفراد المجموعة الشمسية التي تتألف من كواكب؛ عطارد، والزهرة، والمريخ، والمشتري، وزحل، وأورانوس ، ونبتون، وبلوتو، هذه الكواكب السيارة حول الشمس ليست صالحةً للحياة، لماذا كانت الأرض وحدها صالحةً للحياة؟ .

كوكب عطارد؛ يومه ثمانٌ وثمانون يوماً، أي أربعٌ وأربعون يوماً ليلاً، وأربعٌ وأربعون يوماً نهاراً، فهل يصلح للحياة؟ تنام وتستيقظ، تنام وتستيقظ، ولا يزال الليل طويلاً، أربعةٌ وأربعون يوماً ليلاً، وأربعة وأربعون يوماً نهاراً، والسنة ثمانيةٌ وثمانون يوماً أيضاً، أي أربعة فصول في ثمانٍ وثمانين يوماً، يعني يدور هذا النجم حول الشمس في ثمانيةٍ وثمانون يوماً، وليس في هذا النجم هواء، إذاً: هو ليس صالحاً للحياة، فما سرُّ أن الأرض وحدها صالحةٌ للحياة؟ .

شيءٌ آخر، كوكب الزهرة؛ يومه مئتان وخمسٌ وعشرون يوماً، يعني مئةٌ وزيادة نهاراً ، ومئةٌ وزيادة ليلاً، وسنته أيضاً مئتان وخمسٌ وعشرون يوماً، وحرارة هذا الكوكب في النهار تصل إلى تسعين درجة، نستمع أحياناً إلى أن الحرارة في الأرض المقدسة قد بلغت أربعين، خمسين، شيءٌ لا يحتمل، تصل في الزهرة الحرارة إلى تسعين درجة، وأما في الليل فعشرون تحت الصفر، فهل يصلح هذا الكوكب للحياة، ولا هواء فيه، ولا ماء؟ .

أما كوكب المريخ؛ فنهاره كنهار الأرض، أربعٌ وعشرون ساعة، ولكن سنته ستمئةٌ وسبعةٌ وثمانون سنة، أي يعيش الإنسان، ويعيش أولاده، وأولاد أولاده، ولا يرون جميعاً الصيف، يعيش الإنسان، ويعيش أولاده، وأولاد أولاده في الشتاء، فهل هذا الكوكب صالحٌ للحياة؟ .

من أين يأتي النبات؟ من تبدُّل الفصول، سنته ستمئة وسبعة وثمانون عاماً ، أي يدور هذا الكوكب حول الشمس في هذه المسافة، وحرارته سبعون درجة تحت الصفر، ولا ماء، ولا هواء، وهو لا يصلح للحياة .

المشتري؛ نهاره عشر ساعات، خمس ساعات انتهى النهار، ما إن تفتح محلَّك التجاري، وتنظِّف هذا المحل، انتهى النهار، وسنته اثنتا عشرة سنة، وحرارته مئةٌ وثلاثون درجة تحت الصفر، وكثافته ربع كثافة الأرض، إذن هو كوكبٌ من الغازات، وهو لا يصلح للحياة .

زحل؛ سنته تسعٌ وعشرون عاماً، وبعده عن الشمس مليار وأربعمئة ألف كيلو متر .

أورانوس؛ سنته ثمانيةٌ وأربعون عاماً، ونبتون؛ سنته مئةٌ وتسعة وستون عاماً، وبلوتو؛ سنته مئتان وسبعٌ وأربعون عاماً .

إليكم الخصوصية التي اشتملت عليها الأرض بأن جعلها الله صالحة للحياة :

يقول الله عزَّ وجل:

(الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْداً)

[سورة طه الآية: 53]

كيف أنك تجعل الصغير في مهدٍ مريح، مهدٍ ليِّن، في حرارةٍ معتدلة؟ كيف أن مهد الصغير يناسبه من كل الجهات؟ ربنا سبحانه وتعالى تفضَّل علينا وجعل الأرض مهدا، أي جعل قربها من الشمس معتدلاً، وجعل حرارتها معتدلة بين الأربعين وبين الصفر، وجعل كثافتها معتدلة، وجعل شمسها معتدلة، وجعل جاذبيتها معتدلة، وجعل دورتها اليومية معتدلة، وجعل دورتها السنوية معتدلة، هذا من نعم الله .

يشير ربنا سبحانه وتعالى إلى ذلك، فيقول:

(اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَاراً)

[سورة غافر الآية: 64]

أي صلبة ليست غازية، صخرية لتقف عليها، وتبقى واقفاً، قال تعالى:

(اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَاراً)

[سورة غافر الآية: 64]

بمعنى أن الأرض تجذب كلَّ شيءٍ عليها إلى مركزها، هذا هو الثقل، لولا الجاذبية لطارت الأشياء منك، تضع هذه الأداة على الطاولة فتبقى على الطاولة، السرُّ في ذلك الجاذبية، قال تعالى:

(اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَاراً)

[سورة غافر الآية: 64]

جعلها بكثافةٍ تحتمل وجود الأشياء عليها، وجعلها تجذب الأشياء التي عليها، ومن معاني قراراً جعلها ساكنة، قال تعالى:

(وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ)

[سورة النمل الآية: 88]

هل استطاع الإنسان أن يصنع مركبة تسير دون أن تتحرك؟ اركب الطائرة، لا بدَّ من الاهتزاز، أي اهتزازٍ لو أنه على سطح الأرض لتهدم كل ما عليها، ما هذا الاستقرار؟ مسجدٌ يبنى قبل خمسمئة عام، يبقى كما هو، بفضل الاستقرار .

يبيِّن لنا ربنا سبحانه وتعالى أنه قد تحدث الزلازل، فإذا كلُّ ما على الأرض ركامٍ، قرأت قبل يومين أن زلزالاً جعل بناءً من أربعين طابقاً يصبح أنقاضاً، قال تعالى:

(أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَاراً)

[سورة النمل الآية: 61]

جعل الله سبحانه وتعالى الأرض ساكنة مع أنها تتحرك بسرعةٍ هائلة في الثانية ثلاثين كيلو متراً، قال تعالى:

(وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ)

[سورة النمل الآية: 88]

(الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْداً وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ)

[سورة الزخرف الآية: 10]

أيها الأخوة الأكارم، قال تعالى:

(إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ)

[سورة آل عمران الآية: 190-191]

07- سرعة الأرض

كم عدد الدورات التي تدورها الأرض، وهل الأرض ثابتة أم متحركة، وما دليل ذلك ؟

في القرآن الكريم آيتان على سبيل الحصر، الأولى تقول:

(أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَاراً وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَاراً وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزاً أَإِله مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ)

[سورة النمل الآية: 61]

والآية الثانية:

(اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَاراً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ)

[سورة غافر الآية: 64]

آية كبيرة غفل عنها الناس، آية عظيمة أعرض الناس عن التأمل فيها، تدور هذه الأرض حول نفسها بسرعةٍ، تبلغ في خط الاستواء ألفاً وستمئة كيلو متر في الساعة، وتدور هذه الأرض حول الشمس بسرعةٍ، قدَّرها العلماء بثلاثين كيلو متراً في الثانية الواحدة، ومع ذلك الأرض مستقرةٌ استقراراً تاماً، بدليل أنه لو اهتزت قيد أنْمُلةٍ لتصدَّعت الأبنية وانهارت، من الذي يملك أن يجعلها مستقرة؟ حينما اهتزت في بعض البلاد، جعلت مدينة بأكملها قاعاً صفصفا، هل تملكون دفع اهتزازها أو هل تملكون استقرارها؟ .

هذا البيت الذي تدفع ثمنه عشرات الملايين في بعض الأحياء، ما قيمته لو اهتزت الأرض قليلاً، وتصدَّع البناء؟ هذه الثروة التي تملكها، لو اشتريت بها بيوتاً، واهتزت الأرض هزاً يسيراً فتصدعت، ماذا تفعل؟ قال تعالى:

(وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ)

[سورة النمل الآية: 88]

(أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَاراً)

[سورة النمل الآية: 61]

من جعلها مستقرة استقراراً ثابتاً، وهي تدور حول نفسها، وحول الشمس، ومع الشمس ، والشمس مع المجرة؟ قال تعالى:

(لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ)

[سورة يس الآية: 40]

ما هي القوة التي تتمتع بها الأرض وجعلتها متماسكة وذات قرار، وماذا يحدث لو اختلت تلك القوة في عالم الفضاء الخارجي ؟

لو أن إنساناً ركب مركبةً فضائية، وتخطى بها نطاق الجاذبية الأرضية، ينعدم الوزن هناك، الحياة في المركبة لا تطاق بلا وزن، إذا أفلت منه شيءٌ طار في السماء، واستقر في السقف، إذا تحرك حركةً صار في سقف المركبة، من جعل الأشياء ترتبط بالأرض؟ من جعل الأشياء على الأرض؟ .

لو أن الأرض أسرعت في دورانها، لطار الناس من عليها، لو تضاعفت سرعتها سبعة عشر ضعفاً، لطرنا جميعاً من على سطحها، من جعلنا مستقرين عليها؟ إذا أمسكت كأس الماء، ووضعته على الطاولة، لماذا يبقى على الطاولة؟ بقوة الجاذبية، كل شيءٍ ينجذب إلى مركز الأرض .

من الذي جعل البحار في قسم الكرة الجنوبي مرتبطة بالأرض، لو أن إنساناً ذهب إلى نصف الكرة الجنوبي، إلى أستراليا، إلى الأرجنتين، ماذا يرى؟ يرى الأرض أرضاً، والسماء سماءً، انظر إلى أستراليا على الكرة الأرضية، تراها في القسم الجنوبي، ما تعريف السماء إذاً؟ هي الجهة المقابلة لمركز الأرض، ولو ذهبت إلى القسم الجنوبي منها، أم من جعل الأرض قرارا.

من جعل البحار ترتبط بالأرض في قسمها الشمالي، وقسمها الجنوبي؟ من جعل كتلة الهواء ترتبط بالأرض؟ لو أن الهواء لا يرتبط بالأرض لنشأت عواصف، وزلازل، وأعاصير، تدمر كل شيء، ولكن الغلاف الهوائي مرتبطٌ بالأرض، أم من جعل الأرض قرارا .

إذا وضعت شيئاً على الأرض يبقى مكانه بقدرة قادر عن طريق نظام الجاذبية، إن كل شيءٍ ينجذب إلى الأرض .

أيها الأخوة المؤمنون، آيتان في القرآن الكريم على سبيل الحصر، قال تعالى:

(أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَاراً وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَاراً وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزاً أَإِله مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ)

[سورة النمل الآية: 61]

(اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَاراً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ)

[سورة غافر الآية: 64]

ارتباطك بالأرض، لو صعدت إلى سطح القمر، لهبط وزنك إلى السدس، لو أن وزنك في الأرض ستون كيلو غرام، لصار وزنك في القمر عشرة كيلو غرامات، هذا نظام الجاذبية .

فيا أيها الأخوة المؤمنون، في هاتين الآيتين، الله سبحانه وتعالى يلفت نظرنا إليهما، السعيد من تأمل فيهما .

التفكير في مخلوقات الكون عبادة :

أيها الأخوة، تفكر ساعةٍ خيرٌ من عبادة ستين عاماً، قال تعالى:

(إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ)

[سورة القدر الآية: 1-3]

(وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ)

[سورة الزمر الآية: 67]

(قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ)

[سورة يونس الآية: 101]

(وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ)

[سورة يوسف الآية: 106]

08-الإعجاز اللغوي في القران

المعاني التي تجتمع حول الإعجاز في هذه الآية :

أيها الأخوة الأكارم، من دلائل إعجاز القرآن الكريم: أنه أنبأ عن المستقبل، وقد وقع ما أنبأ الله به، فقال تعالى:

(غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ)

[سورة الروم الآية: 2-4]

يعنينا من هذه الآية كلمة:

(فِي أَدْنَى الْأَرْضِ)

[سورة الروم الآية: 3]

ماذا يريد الله بها؟ وأي مكانٍ هو أدنى الأرض؟ الأرض كرة، وبما أنها كرة خطوطها متصلة، لو أن لها حوافاً كالمكعب، أدنى، أي أدنى إلى حافة المكعب، ولكن الكرة خطوطها متصلة ومستمرة، وهي الشكل الهندسي الوحيد الذي إذا سرت بخطٍ عليه امتدَّ إلى ما لا نهاية ، ليس لهذا الشكل حواف ولا حدود، وقد أشار القرآن الكريم في آياتٍ أخرى إلى كروية الأرض ، حيث قال:

(وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا)

[سورة الحجر الآية: 19]

أي لا تنقطع الخطوط على الأرض، ولا تقف عند حد، بل إنها تتصل، فلو اتجهت نحو الشمال نظرياً إلى أن وصلت إلى القطب، وعدت بعدها في نصف الكرة الآخر، تعود إلى النقطة التي بدأت منها، هذا معنى قول الله عزَّ وجل:

(وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا)

[سورة الحجر الآية: 19]

ولكن ما معنى:

(فِي أَدْنَى الْأَرْضِ)

[سورة الروم الآية: 3]

أدنى تعني شيئين: تعنى أنه الأسفل، وتعني أنه الأقرب، فإذا استبعدنا معنى الأقرب لكون الأرض كرةً، بقي المعنى هو الأسفل، وقد أشارت كتب التاريخ، وأجمع المفسرون على أن المعركة التي انتصر بها الروم على الفرس تحقيقاً لوعد الله عزَّ وجل في بضع سنين، كانت في أغوار فلسطين، وحيث إن بعض علماء المسلمين اتجه إلى أكبر علماء الجيولوجيا في العالم الغربي، وسأله هذا السؤال: أي مكانٍ في الأرض هو أشدها انخفاضاً؟ .

لو قلنا: أي مكانٍ على سطح الأرض بما فيها البحر، لأجاب هذا العالم: إنه خليج مريانا، أو إنه وادي مريانا، أعمق نقطةٍ في قعر البحار، يزيد انخفاضها عن اثنتي عشر ألف متر، ولكن أدنى الأرض اليابسة تقع في أغوار فلسطين، لم يكن بوسع الإنسان وقت نزول هذه الآية أن يمسح القارَّات الخمس، وأن يعرف ارتفاع أعلى نقطةٍ فيها، وأخفض نقطةٍ فيها، ولكن القرآن أشار إلى أن الروم كما قال تعالى:

(غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ)

[سورة الروم الآية: 2-3]

وأدنى الأرض يعني أخفض نقطةٍ في الأرض، وقد توافقت كتب التاريخ مع قول الله عزَّ وجل، في أن أخفض نقطةٍ في الأرض هي غور فلسطين، وكما قال الإمام عليٌ كرم الله وجهه: في القرآن آياتٌ لمَّا تفسَّر بعد، هذا مصداق قول الله عزَّ وجل:

(سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ)

[سورة فصلت الآية: 53]

حتى يتبيَّن أنه كتاب الله، وأن خالق الكون يعرف أية نقطةٍ في الأرض هي أخفض من غيرها .

إليك هذه الآية التي تؤكد في جزئية المعنى بالنسبة للآية الأولى وتصب في مجراها :

أيها الأخوة، بل إن هناك آية أخرى تؤدِّي بعض المعنى، قال:

(وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ)

[سورة الحج الآية: 27]

لم يقل الله عزَّ وجل: وعلى كل ضامرٍ يأتينَ من كل فجٍ بعيد، لو أن الأرض مسطحة لكانت كلمة بعيد أنسب من كلمة عميق، بما أن الأرض كرة، وأنك كلما ابتعدت عن سطح الأرض، نزلت نحو خطٍ منحنٍ، إذن إذا ابتعدت عن مكة، لا بدَّ أن يسير الخط على شكلٍ منحنٍ ، فيصبح هذا الفجُّ عميقاً، وهو أصح من وصفه بأنه بعيد .

(وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ)

[سورة الحج الآية: 27]

09-الجبال

دعوة لك من القرآن الكريم :

أيها الأخوة المؤمنون، يقول ربنا سبحانه وتعالى في القرآن الكريم:

(أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ)

[سورة الغاشية الآية: 17-19]

نحن مدعوون بنصِّ الآية الكريمة إلى أن ننظر إلى الجبال، كيف نصبت؟ .

تفاصيل هذه الدعوة :

تشير مجموعةٌ من آيات الله في القرآن الكريم، إلى تفصيل هذه الآية، يقول الله تعالى :

(أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَاداً * وَالْجِبَالَ أَوْتَاداً)

[سورة النبأ الآية: 6-7]

الجبل وتد، ثلثا الجبل مغروسٌ في الأرض عبر طبقاتها المتعددة، ولا تنزاح الطبقات المتباينة عن بعضها في أثناء الدوران، بسبب أن وتداً وهو الجبل يربطها جميعها، قال تعالى:

(أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَاداً * وَالْجِبَالَ أَوْتَاداً)

[سورة النبأ الآية: 6-7]

معنىً آخر: يقول الله سبحانه وتعالى: مشيراً إلى أن هذا الجبل الذي تراه عينك، إنما الذي تراه منه، الثلث الظاهر، وله ثلثان تحت الأرض، فجبال هيمالايا التي يزيد ارتفاعها عن اثني عشر ألف متر، هذا هو الثلث الظاهر، بينما ضعف هذه المسافة مغروسة تحت الأرض كالوتد، من هنا قال الله عزَّ وجل:

(وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا * مَتَاعاً لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ)

[سورة النازعات الآية: 32-33]

معنىً ثالث:

(وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالاً وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَاناً)

[سورة النحل الآية: 81]

السلاسل الجبلية التي على السواحل، تجعل المنطقة التي خلفها منطقة جاقة، وليست رطبة، ليست منطقة رياح عاتية، لو ذهبت إلى حلب عن طريق حمص، لرأيت أن الأشجار كلّها مائلة، لوجود فتحةٍ بين سلسلتي الجبال المنصوبة على السواحل، فالجبل في هذه الآية جعله الله أكناناً:

(وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالاً وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَاناً)

[سورة النحل الآية: 81]

تبدُّل الطقس والمُناخ متعلّقٌ بالجبال بفتحاتها، وكيف أنها مصدّاتٌ للرياح؟ .

معنىً رابع:

(وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَاراً)

[سورة الرعد الآية: 3]

العلاقة بين الأنهار والجبال، هي: أن الجبال مستودعاتٌ للأنهار، قال تعالى:

(وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَاراً)

[سورة الرعد الآية: 3]

معنى خامس:

(وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ)

[سورة النحل الآية: 15]

هذه الكرة مع دورانها السريع، لا بدَّ من أن تضطرب، أما إذا وزِّعت الجبال توزيعاً دقيقاً دقيقاً على سطحها، بحيث يؤدي هذا التوزُّع إلى استقرارها مع دورانها، فهذا مما تعنيه هذه الآية:

(أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَاراً)

[سورة النمل الآية: 61]

لئلا تضطرب الأرض في أثناء الدوران .

معنىً سادس:

(أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَاراً وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَاراً وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ)

[سورة النمل الآية: 61]

من جعلها مستقرة؟ من جعلها ساكنة سكوناً تاماً مع أنها متحرِّكة؟ تقطع الأرض في الثانية الواحدة ثلاثين كيلو متراً، تدور حول نفسها بسرعة ألفٍ وستمئة كيلو متر في الساعة، وحول الشمس بسرعة ثلاثين كيلو متر في الثانية، ومع ذلك تبني البناء فلا يتشقق، لو أنها اضطربت بأقل وحدة بميزان الزلازل، لتهدَّمت الأبنية:

(أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَاراً وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَاراً وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ)

[سورة النمل الآية: 61]

شيءٌ آخر:

(وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتاً)

[سورة المرسلات الآية: 27]

قال العلماء: تضاعف الجبال مساحة الأرض أربعة أضعاف، لو أخذت المساحة التي يشغلها الجبل، لكانت أقلَّ من مجموع سُطِحِه بخمسة أجزاء، فهذه الجبال تضاعف المساحات، وتلطِّف الأجواء، ولها وظائف لا يعلمها إلا الله، لذلك يقول ربنا سبحانه وتعالى:

(أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ)

[سورة الغاشية الآية: 17-19]

10-معدن الفضة

ما هي المنافع الموجودة في معدن الفضة، وما هي الآية التي أشيرت على ذلك ، وعلام يدل هذا ؟

أيها الأخوة الأكارم، حدثني أخٌ كريم من روَّاد هذا المسجد قبل سنةٍ أو أكثر حديثاً شفهياً، أن الفضة من شأنها أن تعقم المياه، وأن تطهرها، وأن معظم معامل تكرير المياه، يجعلون في آخر مرحلة أنابيب من الفضة، يجري الماء فيها من أجل التعقيم من الجراثيم .

هذا كلامٌ طيب، ولأنه كلامٌ شفهي، ما جرأت على إعلانه، على منبر رسول الله، لأن الكلمة أمانة، لكن وقعت يدي قبل يومين على كتاب يتحدث عن الفلزات، وعن المعادن، ففتحت على عنوان الفضة، وقرأت عنها، فإذا في هذا الكتاب، وهو كتاب مترجم ولا يعرف مؤلفو الكتاب شيئاً عن كتاب الله، ولا عن الإسلام إطلاقاً، بل ربما كانوا لا يقيمون قيمة لكل الأديان، يقول مؤلفو الكتاب والعبارة منقولة بدقة

كما وردت: إن للفضة خاصةً هامة وهي: أنها تقضي على الجراثيم الموجودة في الماء، لخاصةٍ إشعاعية، فإما أن يمرَّ الماء في الأنابيب ، وإما أن توضع فيه بعض قطع الفضة .

وفي مكانٍ آخر، يقولون: هذا الفلز قاتلٌ للبكتريات .

وفي مكانٍ ثالث، يقولون: إن مجرَّد التماسِّ الماء مع معدن الفضة يطهر مما به من جراثيم .

وفي مكانٍ آخر، يقول مؤلف الكتاب: من أجل تعقيم لترٍ من الماء يكفي أن توضع فيه بضعة أجزاء من المليار من الغرام .

وشيءٌ خامس، أن لون الفضة لا يتغير، إلا إذا كان الجو غير نقيٍ، لو أن في الجو غازات غير صحية، لتغيَّر لون الفضة، فكأن معدن الفضة صار مقياساً لنقاوة الجو، فضلاً عن الميزات الكثيرة للفضة التي تستخدم في الصناعة، وفي التصوير، وفي التوصيلات، وما شاكل ذلك، وفضلاً عن قيمة الفضة كمعدنٍ لتقييم السلع، يقول الله سبحانه وتعالى في سورة الإنسان:

(وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَ * قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيراً)

[سورة الإنسان الآية: 15-16]

لِمَ ذكر الله عزَّ وجل الفضة، ولم يذكر الذهب، والذهب أثمن، والذهب آنيةٌ من أواني أهل الجنة؟ هذه إشارةٌ قرآنيةٌ إلى خواص الفضة، حينما قال الله عزَّ وجل: ما فرطنا في الكتاب من شيء، قال تعالى:

(وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ)

[سورة الأنعام الآية: 38]

هذه الآية تؤكد أن الأصول العلمية موجودةٌ في كتاب الله سبحانه وتعالى .

11-الحديد

إليكم وجه الإعجاز في هذه الآية :

قال الله تعالى:

(لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ)

[سورة الحديد الآية: 25]

فالبينات هي المعجزات التي تؤكد صدق الرسل، والكتاب هو المنهج، والميزان هو العقل الذي هو مناط التكليف، والهدف إقامة العدل في الأرض، وقوة الردع الحديد الذي فيه بأس شديد، ومنافع للناس، وجه الإعجاز في الآية القرآنية الكريمة هو دلالة لفظ، قال تعالى: أنزلنا الحديد، الذي يفيد إنزال الحديد من السماء، ولم يكن موجوداً على كوكب الأرض، وهذا ما كشفت عنه الدراسات الفضائية والجيولوجية في النصف الثاني من القرن العشرين، حيث وجد علماء الفضاء أن أصل معدن الحديد ليس من كوكب الأرض بل من الفضاء الخارجي، وأنه من مُخلفات الشهب والنيازك .

وكشف علماء الفضاء مؤخراً: أن عنصر الحديد لا يمكن له أن يتكون داخل المجموعة الشمسية، فالشمس نجم ذو حرارة، وطاقة غير كافية لدمج عنصر الحديد، وهذا ما دفع بالعلماء إلى القول: بأن معدن الحديد قد تم دمجه خارج مجموعتنا الشمسية، ثم نزل إلى الأرض عن طريق النيازك والشهب، ويعتقد علماء الفلك حالياً: أن النيازك والشهب ما هي إلا مقذوفات فلكية مختلفة الأحجام، وتتألف في معظمها من معدن الحديد، ولذلك كان معدن الحديد من أول المعادن التي عرفها الإنسان على وجه الأرض، لأنه يتساقط بصورة نقية من السماء على شكل نيازك .

يتساقط في كل عام آلاف النيازك والشهب على كوكب الأرض التي قد يزن بعضها أحياناً عشرات الأطنان، وقد عثر على نيزك في أمريكا، بلغ وزنه اثنين وستين طناً، مكوّناً من سبائك الحديد والنيكل، أما في ولاية أريزونا، فقد أحدث نيزك فوهة ضخمة، عمقها مئتا متر، وقطرها ألف متر، وقد بلغت كميات الحديد المستخرجة من شظاياه الممزوجة بالنيكل عشرات الأطنان .

ومن هذا الشرح العلمي تتبين لنا دقة الوصف القرآني، قال تعالى:

(أنزلنا الحديد)

[سورة الحديد الآية: 25]

إليكم منافع الحديد كما أشارت إليها الآية :

أيها الأخوة، ولكن ما البأس الشديد، وما هي المنافع التي أشار إليها القرآن، بقوله:

(فيه بأس شديد ومنافع للناس)

لقد وجد علماء الكيمياء: أن معدن الحديد هو أكثر المعادن ثباتاً وقوة ومرونة وتحملاً للضغط، وهو أيضاً أكثر المعادن كثافة، وهذا يفيد الأرض في حفظ توازنها، كما يعد معدن الحديد الذي يشكل ثلث مكونات الأرض، أكثر العناصر مغناطيسية، وذلك لحفظ جاذبيتها .

ولا بد أن نذكر أيضاً: أن الحديد عنصر أساسي في كثير من الكائنات الحية، كما في بناء النباتات التي تمتص مركباته من التربة، وتدخل أملاحه في تركيب خلايا الدم عند الكائنات الحية، وهنا محلُّ الإشارة

إلى أنّ هناك توافقاً عددياً عجيباً بين رقم آية الحديد في سورة الحديد وهو ستة وعشرون ، ووزنه الذري وهو ستة وعشرون ، هذا يؤكد أن الذي خلق الأكوان وأنزل النيازك والشهب هو الذي أنزل هذا القرآن.

12- التربة

ما هي المخلوقات التي تحويها التربة الزراعية، وهل لها أهمية في هذا الكوكب ؟

أيها الأخوة المؤمنون، شيءٌ لا يصدق، أن متراً مكعباً من التربة الزراعية يحوي ما يزيد عن مئتي ألف من الديدان العنكبية، وعن مئة ألفٍ من الحشرات، وعن ثلاثمئة من ديدان التربة العادية، وعن آلاف الملايين من الجراثيم، والكائنات المتناهية في الدقة، وإن غراماً واحداً من هذه التربة، يحتوي على عدة ملياراتٍ من البكتريات، مخلوقاتٌ متناهيةٌ في الدقة، على شكل عصيَّات، وعلى شكل كريات، وعلى شكل لوالب، بعضها يحتاج إلى الأوكسجين، وبعضها لا يحتاج، بعضها عارٍ، وبعضها له أهدابٌ تمكنه من الحركة عدة مليارات من البكتريات بالغرام الواحد .

قال: هذا المصنع ذو حركةٍ دائمةٍ يقوم بمهماتٍ، هي من أكثر المهمات غموضاً واستغلاقاً حتى اليوم، هذه الكائنات ما وظيفتها؟ يعرف العلماء بعض الوظيفة، أما ما وظيفتها بالضبط؟ لا يزال هذا سراً، وهذا المصنع ذو الحركة الدائمة، يقوم بمهماتٍ من أكثر المهمات أهميةً ونفعاً للإنسان .

أي لو أن الجنس البشري كله أبيد عن آخره، تبقى الحياة مستمرة، أما لو أبيدت هذه الكائنات لانتهت الحياة من على سطح الأرض كلياً، أي ربما كان وجود هذه الكائنات أخطر من وجود الإنسان .

كيف فسر العلماء كلمة الأخضر في النبات ؟

أيها الأخوة، فكل شيءٍ نأكله بشكلٍ مباشر، أو غير مباشر، إنما أصله من النبات الأخضر، يعني إذا أكلت اللحم، فاللحم نبت من العشب، هذا الخروف، أكل العشب، فنما جسمه ، فأكلت أنت لحمه، فغذائك بشكلٍ أو بآخر، أساسه النبات، والنبات الأخضر، قال تعالى:

(الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَاراً فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ)

[سورة يس الآية: 80]

احتار العلماء في كلمة الأخضر هنا، كيف يكون الشجر أخضراً، وكيف يجعل وقوداً ؟ لا يكون الشجر وقوداً إلا إذا كان يابساً، فلماذا قال الله عزَّ وجل:

(مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ)

[سورة يس الآية: 80]

قال بعض العلماء: إن كلمة الأخضر، إشارةٌ علمية إلى أن هذا الشجر، ما كان له أن يكون شجراً، لولا أوراقه الخضراء، فالأوراق الخضراء أساس وجوده، بل إن نمو النبات يعتمد على حادثة، اسمها: التحليل، والتمثيل الضوئي، فلا نبات بلا ضوء، ولا نبات بلا شمس ، ولا نبات بلا ماء، الماء، والشمس، وغاز الفحم، الذي أودعه الله في الكون، هو سبب نمو النبات، وما أوراق الأشجار إلا معامل تصنع مواد النبات الأساسية، والمواد العضوية .

يا أيها الأخوة المؤمنون، تتساقط الأوراق ثم تأتي الرياح، وتوزِّع الأوراق المتساقطة ، على أنحاء التربة كلها، تأتي مليارات الكائنات المجهرية فتلتهمها، فإذا التهمتها تصبح غذاءً صالحاً لكائناتٍ أكبر منها، هي وحيد الخلية، فإذا التهمها تصبح غذاءً صالحاً لكائناتٍ أرقى منها، هي البكتريات على ثلاث مراحل .

هذه العمليات الحيوية، تحتاج إلى الهواء، من أين يأتي الهواء داخل التربة؟ وظيفة الديدان أن تفتح أنفاقاً في التربة، الديدان، والقوارض، والأفاعي، والخلد، وكل الكائنات التي تعيش تحت التربة، وظيفتها تهوية التربة، فلو ألغيت لانعدم الإنبات على سطح الأرض .

أيها الأخوة المؤمنون، هذه الديدان تلتهم التراب، وتفرز السماد، ولا أدري كم من الأطنان، تنتجها الديدان، في الهكتار الواحد؟ .

ما هو الهدف من هذا الخلق ؟

أيها الأخوة المؤمنون، كونٌ عظيم، وخالق، وشرعٌ حكيم، فأين أنتم؟ فأين تذهبون؟ ما الذي يصرفنا عن الله سبحانه وتعالى؟ ما الذي يصرفنا عن تطبيق أمره؟ هذه بعض الحقائق، قال تعالى:

(وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً)

[سورة الإسراء الآية: 85]

(وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ)

[سورة البقرة الآية: 255]

عدة مليارات من البكتريا بالغرام الواحد، ماذا يجري تحت التراب؟ لا يعلمه إلا الله، معامل، كائنات، عمليات تحوُّل، معادلات، ونحن لا ندري، ليس لنا إلا أن نقطف الثمار ونأكلها، أن نقطف الخضار ونأكلها، أن نجني المحاصيل ونأكلها، وعلى الله الباقي .

أيها الأخوة المؤمنون، وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها، خلق الله الأرض، وما فيها، وما تحتها، وما عليها، من أجل أن نعرفه، فإذا عرفناه، فقد حققنا الهدف من خلقنا، وإن لم نعرفه، فيا حسرةً على حياتنا، قال تعالى:

(يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُونَ)

[سورة يس الآية: 30]

(رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ)

[سورة المؤمنون الآية: 99-100]

(يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي * فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ * وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ)

[سورة الفجر الآية: 24-26]

(وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً * يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَاناً خَلِيلاً * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولاً)

[سورة الفرقان الآية: 27-29]

هذه الآيات الكونية، بابٌ مفتوح، لمعرفة الله سبحانه وتعالى .

13- الرياح

كيف يصرف ربنا جل جلاله الرياح لحياة الإنسان ؟

في آيات قرآنيةٍ كثيرة، تتحدث عن بعض الآيات الكونية، ترد كلمة (وتصريف الرياح)، فهذه الرياح التي هي سببٌ من أسباب حياتنا، إنها روح الأحياء، كيف يصرفها الله عزَّ وجل؟.

قال بعض العلماء: إن الماء أبطأ في اكتسابه للحرارة من الجسم الصلب عندما يتعرض للحرارة، فلو وضعت كميةً من الماء بحجمٍ يساوي جسماً صلباً، ووضعتهما تحت أشعة الشمس ساعة كاملة، فإن حرارة الماء ترتفع ستة درجات، وترتفع حرارة الجسم الصلب عشر درجات، فالماء بطيءٌ في اكتساب الحرارة، بطيءٌ في طرحها، في التخلي عنها، لذلك حينما تكون أشعة الشمس مسلطة على المناطق

الساحلية، يسخن البر بأسرع مما يسخن البحر، إذا سخن البر بسرعةٍ أسرع، يتمدد الهواء، يصعد نحو الأعلى، يتخلخل، يقلُّ الضغط هناك، فإذا كان هواء البحر أكثر كثافةً، وأكثر برودةً، وأكثر ضغطاً، فإنه ينتقل إلى البر، لذلك في أي مكانٍ من أماكن السواحل، ترى نسيم البحر ينتقل بعد الظهر من البحر إلى البر .

14- الهواء والبيئة

الأخطار التي تنجم من تلوث الهواء نتيجة فساد البيئة على صحة الإنسان:

أيها الأخوة الأكارم، أردت في هذه الخطبة الثانية، أن أقرأ لكم صفحةً واحدة من مقالةٍ علميةٍ موثقةٍ، منشورةٍ في كتابٍ مدرسي، يدرّس حالياً، المقالة حول تلوث الهواء، يمكن أن تستنبطوا منها أشياء كثيرة، يمكن أن تستنبطوا منها، أن ما يفعله الإنسان في البيئة، يؤثِّر تأثيراً سلبياً على صحته، يقول المقال:

إن تلوّث الهواء بأول أوكسيد الكربون قائمٌ ما بقيت السيارة، والطيارة، والآلة، في أي مصنع، أو مزرعة، ماذا يفعل هذا الغاز؟ يختلط ويتحد بخضاب الدم غاز ثاني أوكسيد الكربون، الذي تنفثه السيارات، والطائرات، وكل أجهزة الاحتراق، احتراق الوقود السائل غاز ثاني أوكسيد الكربون يتحد بخضاب الدم، وخضاب الدم هو المادة الحمراء في الدم المادة الحديدية في الدم، يتفاعل هذا الحديد مع غاز ثاني أوكسيد الكربون، مما يؤذي إلى طرد الأوكسجين من الدم، لأن اتحاد هذا الغاز بالخضاب أقوى من اتحاد الخضاب بالأوكسجين، مما يسبب نقصاً في نصيب الخلايا من الأكسجين.

ما الذي يحدث؟ يرتفع معدّل خفقان القلب، يزداد تعب الجهاز التنفسي، وكلُّ هذا يسبب توتراتٍ، وإجهاداتٍ، تؤدّي إلى كثيرٍ من أمراض القلب والصدر، وعندما يتنفس الإنسان هواءً يحتوي على ثمانين جزءاً من المليون من غاز أول أوكسيد الكربون، مدة ثماني ساعات، ما الذي يحدث؟ سرعة نقل الدم تقل للأوكسجين بنسبة خمسة عشر بالمئة، مما يُفْقِدُ الدم خواصه الأساسية، وعندما تشتد حركة المرور، وتزدحم الشوارع بوسائط النقل المختلفة في أوقات الذروة، فإن محتوى الهواء من أول أوكسيد الكربون يبلغ أربعين جزءاً في المليون، لذلك كثيراً ما يصاب سكان المناطق المزدحمة بالمرور بأعراض التسمم الحاد، والصداع، وضعف الرؤية، ونقصٍ في تناسق العضلات والغثيان، وكثيرٍ من الآلام الباطنية، وفي الأحوال الأكثر حدةً، تكون هذه الأعراض مصحوبةً بفقدان الوعي، والموت

المفاجئ أحياناً، هذا الهواء الملوّث بغاز ثاني أوكسيد الكربون، هذا من محصّلِ الحضارة الحديثة، رقي الإنسان أنه يركب سيارة، ويمشي في طرقاتٍ فخمة، مزدحمة بالسيارات.

ويعدُّ غاز ثاني أوكسيد الكربون مسؤولاً عن زيادة الإصابة بأمراض الربو المزمن، والالتهاب الرئوي الحاد، إلى ما هنالك من أعراض لأمراضٍ كثيرة.

الخاتمة:

يا أيها الأخوة الأكارم، الحياة مصممة تصميماً نظيفاً، ونحن لوثناها، لوثناها بآلاتنا ولوثناها بأخلاقنا، والتلوث واسعٌ جداً، هناك جو ملوث بالصوت، هذا الضجيج الدائم تلوث للبيئة، هذا الغاز السام تلوث للبيئة، كل شيءٍ صنعه الإنسان، يبتغي به الرفاهية، إنما حقق هدفاً، وخسر أهدافاً كثيرة، خسر صحته، خسر سلامته، خسر صفاءه، لا أدعوكم إلى ترك ركب السيارة؟ لا، لكن أقول لكم: أردت من هذا الكلام، أن أبين لكم أثر الحضارة الغربية في البيئة الإنسانية.

15- القوانين الفيزيائية والكيميائية

ما هي القوانين التي لولاها لما كانت الأرض صالحة للحياة، وما هي الغاية منها ؟

1- قانونا الانصهار والتجمد :

المؤمن إذا قرأ العلوم يربطها بخالق الكون، ويكشف الحكمة البالغة من هذه القوانين التي قننها الله عزَّ وجل، كلُّنا يعلم أن هناك ظاهرةً من خصائص المعادن هي الانصهار، فالمواد الصُلبة تتحوَّل إلى حالةٍ سائلة بالانصهار، كيف يمكن أن نستخرج المعادن من مظانِّها لولا خصيصة الانصهار؟ وكيف يمكن أن نعيد تشكيلها لولا خصيصة التجمُّد؟.

الانصهار والتجمُّد بهما نأخذ المعادن من أعماق الأرض، وبهما نشكّل المعادن كما نريد، هذا قانونٌ أراده الله عزَّ وجل .

2- قانونا التبخر والتكثيف :

شيءٌ آخر؛ التبخُّر والتكثيف، لولا هذان القانونان هل من الممكن أن تنزل الأمطار؟ البحر ملحٌ أجاج، أشعة الشمس تبخِّره، من الذي قنن أن المواد المترسِّبة بالسائل لا تتبخَّر؟ تبقى في السائل، ويتبخَّر الماء الصرف، ومن قنن قانون التكثيف، يتحوَّل البخار إلى ماء، والماء إلى بخار دون أن تعلق المواد الراسبة في السائل في البخار؟ .

لولا قانونا التبخير والتكثيف لما كانت أمطار، ولما كانت مياهٌ عذبة نشربها ونتذوَّقها .

3- قانون الترسب :

شيءٌ آخر؛ ظاهرة الترسُّب، الإنسان خُلِقَ من ماءٍ مهين، له عظام، عظم، عنق، الفخذ يتحمَّل من الوزن ما يزيد عن مئتين وخمسين كيلو غرام، أي أن الإنسان الشديد العتيد يمكن أن يتحمَّل خمسمئة كيلو فوقه، فهذه الصلابة التي اكتسبتها العظام، أنّى لها أن تكون لولا ظاهرة الترسُّب، مواد ذائبة في سائل، تنفصل عنه وتترسَّب، وتشكّل هذا العظم .

يقول الأطباء: إن ميناء الأسنان تأتي بعد الألماس في قساوته، لولا الترسُّب لما كانت الأسنان بهذا القِوام، ولما كانت العظام، ولما كنا .

4- قانون الذوبان :

ظاهرةٌ أخرى هي الذوبان؛ لولا ذوبان المعادن في الماء لما أمكن للنبات أن يأخذ كلّ المعادن في التربة، كلُّ أملاح المعادن تذوب في التربة مع الماء، ويصعد الماء مع هذه المعادن المذابة، فتأخذ الأوراق حاجتها .

لولا ظاهرة الذوبان لما ذابت الأطعمة في سائل الكيلوس، وانتقل هذا السائل إلى الدم، والدم نقل كل هذه المواد الغذائية إلى الخلايا .

أيها الأخوة الأكارم، المؤمن إذا أرد أن يعرف الله، كلُّ شيءٍ يدلُّه عليه، كل قانون يقرأه حتى في الكتب العلمية المحضة، يجد أن هذا القانون يشير إلى عظمة الله عز وجل، لولا ترسب الأجسام الصلبة والمعادن في السوائل لما كنا في هذا المكان، إنك تمشي على قدمين لأن هناك هيكلاً عظمياً يحمل هذه العضلات، ولولا ظاهرة الترسيب لما كان هناك إنسانٌ يمشي على قدمين، ولولا ظاهرة الذوبان لما

أمكنك أن تأخذ كل الغذاء، إنك تأكل مركبات الحديد وأنت لا تشعر، أملاح المعادن كلها ذائبة في دمك، لولا ظاهرة الذوبان لما أمكن أن تستفيد من المعادن، ولما أمكن أن تستفيد من الغذاء .

دققوا في هذه القوانين الستة، الذوبان والترسيب، والتبخر والتكثيف، والانصهار والتجمد، هذه ستة قوانين لولاها لما قامت الحياة على سطح الأرض .

16- زلزال الدنيا

إليكم تطابق قول رسول الله مع الواقع بشأن الزلازل :

أخرج البخاري في صحيحه عن أبي هريرة قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم:

((لا تقوم الساعة حتى يُقبض العلم، وتكثرَ الزلازل، ويتقاربَ الزمان، وتظهرَ الفتن، ويكثرَ الهرج، وهو القتل، وحتى يكثرَ فيكم المال فيفيض))

ففي كل حين نسمع في الأخبار؛ أن زلزالاً وقع في بلد، وزلزالاً وقع في بلد آخر، وأن هذه الأخبار تتقارب، وتتعاظم درجات هذه الزلازل، وتودي بحياة بضع عشرات من الألوف، وأن كثرتها وشدتها مصداق حديث رسول الله، الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، إن هذه الزلازل من وظائفها: أنها تعطينا معنى الزلزلة الكبرى التي أوعد الله بها .

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ)

[سورة الحج الآية: 1]

إليكم تفسير كلمة الزلزلة تفسيراً علمياً :

أيها الأخوة، الأرض من أكثرُ الكواكب في المجموعة الشمسية كثافة، فكثافة الأرض تزيد عن كثافة الماء بخمسة أضعاف، ويفسِّر العلماء الزلزلة: بأنها حركةٌ في باطن الأرض، بحيث ينشأ عنها ضغطٌ هائل، لا تحتمله قشرة الأرض، عندئذٍ تتصدَّع هذه القشرة .

هذا التصدُّع في قشرة الأرض، هو الزلزال الذي نستمع إلى أخباره من حينٍ إلى آخر، علماً بأن هذه القشرة يزيد سمكها عن تسعين كيلو متراً، وهي من صخور البازلت، وهذه الصخور من أقسى أنواع الصخور، ومع ذلك تتصدع، فما هذا الضغط من باطن الأرض الذي يصدع قشرة من البازلت، يزيد سمكها عن تسعين كيلو متر، هذا طرفٌ من معنى أن الله قوي، قال تعالى:

(إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ)

[سورة الذاريات الآية: 58]

الزلازل التي حدثت عبر التاريخ :

يقول بعض العلماء الزلازل: هناك زلازل حدث في الصين، في عام ألف وخمسمئة وستة وخمسين، أودى بحياة ثمانمئة وثلاثين ألفاً في ثوانٍ، وفي عام ألف وسبعمئة وسبعة وثلاثين، حدث زلزال في الهند، أودى بحياة مئة وثمانين ألفاً، وفي عام ألف وتسعمئة وثلاثة وعشرين، حدث زلزال في اليابان، أودى بحياة مئة ألف، وفي عام ألف وتسعمئة وستة وسبعين، حدث زلزال في الصين، أودى بحياة مئة ألف، وحدث زلزال بإيطاليا، أودى بحياة خمسة وثلاثين ألفاً في ثوانٍ معدودة، قال تعالى:

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ)

[سورة الحج الآية: 1]

سألوا عالماً كبيراً من علماء الزلازل: هل يمكن بما أوتينا من علم متقدم، أن نتنبأ بالزلزال قبل وقوعه ولو بربع ساعة؟ قال: لا، إلا أن حيوانات كثيرة في مقدمتها من يضرب المثل بغبائه، يشعر بالزلزال قبل وقوعه بربع ساعة، ذلك لأن هذه الحيوانات ليست مكلفة كالإنسان، وليست مقصودة بالزلزال .

إليكم تفسير سورة الزلزلة :

(إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا)

زلزلت: تحركت تحريكا شديدا واضطربت، زلزالها العظيم، والكبير، والأخير، الذي ليس بعده زلزال، وذلك عند قيام الساعة، وما هذه الزلازل في الأرض إلا نماذج مصغرة ومحدودة،

(وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا)

وهو الإنسان: المخلوق الأول الذي خلق لجنة عرضها السموات والأرض، لأنه قبل حمل الأمانة، فسخر الله له ما في السموات وما في الأرض جميعا منه، وجعله خليفته في الأرض، فإن سما عقله على شهوته كان فوق الملائكة، وإن سمت شهوته على عقله كان دون الحيوان،

(وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا)

تعجباً وخوفاً،

(يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا)

ما عمله الإنسان على وجه الأرض من خير أو شر، بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا، أقدرها على الكلام، وأذن لها فيه، وأمرها به،

(يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا)

فرادى متفرقين، فلا تجمعات، ولا تكتلات، ولا تناصر على باطل، ولا هيمنة، ولا غطرسة ولا تعالي،

(فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ: -مقدار- ذَرَّةٍ: -الجزء الذي لا يتجزأ- خَيْرًا يَرَهُ)

(وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَه)

يجد جزاءه وعاقبته .

من حديث عبد الله بن عمرو، الذي أخرجه أبو داود، والنسائي، وابن حبان، والحاكم وصححه،

((جاء رجل إلى النبي، ليتعلم القرآن، فانتهى إلى قوله تعالى:

(فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره)

فقال: يكفني هذا وانصرف، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: انصرف الرجل وهو فقيه))

وفي رواية:

((فقه الرجل))

أي صار فقيهاً، وفي رواية:

((والذي بعثك بالحق لا أزيد عليها أبدا، ثم أدبر الرجل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أفلح الرويجل أفلح))

ما هي الأشياء الضائعة التي لا ينتفع بها الإنسان، وما هو أصل هذا الضياع ؟

عشرة أشياء ضائعة لا ينتفع بها: علم لا يعمل به، وعمل لا إخلاص فيه ولا اقتداء، ومال لا ينفق منه، فلا يستمتع به جامعه في الدنيا، ولا يقدمه أمامه إلى الآخرة، وقلب فارغ من محبة الله، والشوق إليه، والأنس به، وبدن معطل عن طاعته وخدمته، ومحبة لا تتقيد برضاء المحبوب، وامتثال أوامره، ووقت معطل عن استدراك فارط، أو اغتنام بر وقربة، وفكر يجول فيما لا ينفع، وخدمة من لا تقربك خدمته إلى الله، ولا تعود عليك بصلاح دنياك، وخوفك ورجاؤك لمن ناصيته بيد الله، وهو أسير في قبضته، ولا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً، ولا موتاً ولا حياة، ولا نشوراً .

وأعظم هذه الإضاعات إضاعتان، هما أصل كل إضاعة: إضاعة القلب وإضاعة الوقت، فإضاعة القلب من إيثار الدنيا على الآخرة، وإضاعة الوقت من طول الأمل، فاجتمع الفساد كله في اتباع الهوى وطول الأمل، والصلاح كله في اتباع الهدى والاستعداد للقاء، والله المستعان .

العجب ممن تعرض له حاجة، فيصرف رغبته وهمته فيها إلى الله ليقضيها له، ولا يتصدى للسؤال لحياة قلبه من موت الجهل والإعراض، وشفائه عن داء الشهوات والشبهات، ولكن إذا مات القلب لم يشعر بمعصيته .

17-زلزال القاهرة

إليكم هذه الموعظة :

أيها الأخوة الأكارم، قد يركب الإنسان طائرةً، فيشعر بالقلق، ولا يطمئن قلبه إلا إذا درجت عجلاتها على أرض المطار، يقول لزميله: حمداً لله على السلامة، قد يركب الإنسان البحر، ويهوج الموج فتضطرب نفسه، لا يطمئن الإنسان إلا إذا كان على الأرض، لكن المؤمن لا يطمئن إلا إذا أراد الله له السلامة، فهذه الأرض الثابتة، المستقرة، الساكنة، قد تتحرك من تحت أقدامنا، قال تعالى:

(أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ)

[سورة الملك الآية: 16]

قال بعض علماء الزلازل: لو استمر زلزال القاهرة عشر ثوانٍ فقط، لدمَّر نصف بيوت القاهرة، ولمات أكثر من خمسة ملايين إنسان، لكن الله لطف بهم لطفاً شديداً، ماذا يمنعنا من عذاب الله؟ بيتٌ إسمنتي، عميق الأسس، شامخ البنيان، ليس هناك ضمانةٌ من أي خطر، إلا أن يشاء الله لك السلامة، فإن لم يشأ زلزل الأرض من تحت الأقدام .

عمارةٌ تزيد عن أربعة عشر طابقاً، أصبحت ركاماً، وكأنها إسمنتٌ مطحون، بأساسها وبأشخاصها، وبآلاتها الكهربائية، وبتزييناتها، وبفروشها، إنها موعظةٌ بليغة .

علاقة الترابط والتكامل للتفسير العلمي والديني للزلزال :

أيها الأخوة، آياتٌ كثيرة يجب أن نقف عندها، يمكن أن يفسر الزلزال تفسيراً علمياً، يقول علماء الزلازل: تتحرك القشرة الأرضية، تتصادم، تنضغط، وفي بعض حالات الضغط الشديد تنزاح القشرة عن مثيلتها، فيحدث الزلزال، هل يلغي هذا التفسير العلمي للزلزال التفسير الديني؟ لا والله، إنهما يتكاملان، من هو مسبب الأسباب؟ هو الله عزَّ وجل، هذا الذي يرفض التفسير الديني للزلزال، تنطبق عليه الآية الكريمة:

(إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ)

[سورة الصافات الآية: 35]

الزلزال له تفسير علمي، جغرافي، لا مجال لتفصيله هنا، حركةٌ في باطن الأرض، تموجاتٌ في القشرة الأرضية، انضغاطٌ شديد، تصدعٌ في السطوح، زلزالٌ أفقي، زلزال عمودي، زلزال له موجاتٌ واسعة، تقاس بمقياس ريختر كما تسمعون، لا مجال هنا لهذه التفصيلات، ولكن التفسير العلمي للزلزال لا ينفي التفسير الديني لها، دققوا في هذه الآية:

(قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ)

[سورة الأنعام الآية: 65]

(وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آَمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ)

[سورة النحل الآية: 112]

لطفٌ شديد من الله عزَّ وجل لطف بأهل مصر .

إليكم سبب حدوث الزلزال في بلاد الصين والهند :

وقع زلزال في الصين في عام ألفٍ وخمسمئةٍ وستةٍ وخمسين، أودى بحياة ثمانمئة وثلاثين ألف قتيل، وذهب ضحيته زلزال في الهند ثلاثمئة ألف قتيل، أعدادٌ كبيرةٌ جداً، لكن الله سبحانه وتعالى لطف ونبَّهنا، ولوَّح لنا العصا، لأن الله عزَّ وجل يقول:

(وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَاباً شَدِيداً كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُوراً)

[سورة الإسراء الآية: 58]

كل قريةٍ فسدت، وخرجت نساؤها كاسياتٍ عارياتٍ، وانتشرت فيها أكل الربا، وضُيِّعت فيها الحقوق، وفسد زمانها، إذا كان أمراؤكم خياركم، وأمركم شورى بينكم، وأغنياؤكم سمحاءكم، فظهر الأرض خيرٌ لكم من بطنها، وإذا كان أمراؤكم شراركم، وأمركم إلى نسائكم، وأغنياؤكم بخلاءكم، فبطن الأرض خيرٌ لكم من ظهرها، لذلك يقول ربنا عزَّ وجل:

(وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ)

[سورة هود الآية: 117]

أي ليس هذا من شأنه، هذا مستحيلٌ عليه، قال تعالى:

(وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِداً)

[سورة الكهف الآية: 59]

أين موطن السلامة ؟

أيها الأخوة الأكارم، إذن لن يسلم الإنسان إلا في حالةٍ واحدة، أن يشاء الله له السلامة، ولن يطمئن الإنسان إلا في حالةٍ واحدة، أن يشاء الله له الأمن والسلامة، لذلك لنلذ بالله عزَّ وجل، لنعد إليه، السعيد من اتعظ بغيره، هذا الذي وقع ليس من خسائر تُذكر أمام الزلازل الكبيرة، بل هو كما قلت قبل قليل تلويحٌ بالعصا، قال تعالى:

(قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ)

[سورة الزمر الآية: 53-54]

هل يتنبأ الإنسان بالزلزال قبل وقوعه، وما الدليل ؟

أيها الأخوة، سألوا عالم زلزال كبير: هل يمكن بما أُوتينا من علمٍ، أعلى درجات العلم في الأرض، هل بإمكان الإنسان في هذا العصر أن يتنبَّأ بالزلزال قبل وقوعه، ولو بساعة؟ قال: لا، قال تعالى:

(فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ)

[سورة الشعراء الآية: 202]

أيها الأخوة الأكارم، قال تعالى:

(قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ)

[سورة الزمر الآية: 53-54]

يأتي العذاب بغتة، لذلك لو قرأ الإنسان عن تاريخ الزلازل في العالم، أمر وقع كثيراً، ولكن علينا أن نتعظ، وأن نعود إلى الله، وأن نضبط أُمورنا، وأن نقيم بيوتنا على منهج الله عزَّ وجل، فلعل الله سبحانه وتعالى يحفظنا .

إليكم هذا الخطأ :

أيها الأخوة، ما من بلدةٍ إلا ويمكن أن تتعرض لزلزال، وقد وقع في هذه البلدة زلزال قبل خمسين عاماً، هذا شيءٌ يقع في أي مكان، أما القول: إنا منطقتنا ليست منطقة زلازل، هذا كلام مغلوط، حيث لا يذكر أحد قديماً أن زلزالاً وقع في القاهرة، ومع ذلك جاء فجأةً، ولو أنه استمر عشر ثوانٍ أخرى،

لانهدمت نصف أبنية القاهرة، ولمات أكثر من خمسة ملايين إنسان، ولكن الله لطف، وأكرم، وعطف علينا .

18- الكعبة

المكانة التي تحتلها الكعبة المشرفة في العالم من حيث الموقع، ومن حيث التضاريس الجغرافية :

أيها الأخوة الكرام، بيت الله الحرام مركزٌ لدائرةٍ تمرُّ بأطراف قارات العالمَيْن القديم والجديد، والأرض اليابسة موزَّعةٌ حول بيت الله الحرام بصورةٍ منتظمة، هذه الحقيقة أكَّدتها أحدث الدراسات العلميَّة لمركز البحوث الفلكيَّة في أحد الأقطار العربيَّة الشقيقة، وذلك باستخدام الحاسب الآلي في حساب المسافات بين مكَّة وعددٍ من المدن التي تقع في أطراف العالمَين القديم والحديث .

وقد ثبت بعد الحسابات التي أجريت على الحاسب الآلي، أن أقصى أطراف الأرض في إفريقيا وأوروبا وآسيا،وهذا هو العالَم القديم، تقع على مسافة ثمانية آلاف كيلو متر من مكَّة المكرَّمة .

أيها الأخوة، وتقع على مسافة ثلاث عشرَ ألف كيلو متر من مكَّة المكرَّمة للعالَم الجديد أستراليا والأمريكتين، إذاً: هي مركز العالَم القديم والجديد معاً، أطراف العالَم الجديد ثلاثة عشر ألف كيلو متر، أي مدينة في طرف هذا العالَم تبعد عن مكَّة المكرَّمة، والعالَم القديم ثمانية آلاف .

بحسب هذه الدراسة تبيَّن أن بيت الله الحرام هو المركز الهندسي لليابسة، وهذه من آيات الله الدالَّة على عظمته، قال تعالى:

(إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ * فِيهِ آَيَاتٌ بَيِّنَاتٌ)

[سورة آل عمران الآية: 96-97]

19- ارض العرب

ما هي المناقشة العلمية التي دارت بين العالم المسلم والعالم المتخصص في الجيولوجيا ؟

أيها الأخوة المؤمنون، التقى عالمٌ من أشهر علماء الجيولوجيا متخصصٌ في المنطقة الواقعة بين أفريقيا وبين الجزيرة العربية بعالمٍ مسلم، سأله هذا العالم المسلم: هل عندك دليلٌ على أن أرض العرب كانت بساتيناً وأنهاراً؟ .

قال: هذا معروف عندنا، هذا شيءٌ يعرفه العلماء المتخصصون، قال له: ما الدليل؟ قال: في الجزيرة العربية رواسب نهرية تلاحظ في أماكن عدة، وقد عثر على قريةٍ مدفونةٍ تحت الرمال في الربع الخالي، وفيها مناطق متحجرة، وقد عثر على مناطق أخرى متحجرة، فلما فحصت فإذا هي جذوعٌ لأشجار كبيرة، وهذا كله يؤكّد أن هذه البلاد كانت بساتين وأنهاراً .

منطقة الربع الخالي، هذه الصحراء الجرداء، كانت مفعمةً بالبساتين والأنهار، وهذا شيءٌ ثابت عند علماء الجيولوجيا الذين وجدوا من المستحاثَّات ما يؤكّد ذلك .

هذا العالم المسلم، سأله سؤلاً آخر: وهل عندك دليلٌ على أن بلاد العرب ستعود بساتين وأنهاراً؟ فقال: هذا شيءٌ أيضاً معروفٌ عندنا، قال: ما الدليل؟ .

قال: إن كتل الجليد الضخمة تتجه نحو الجنوب، وهذا الذي سبب قبل أعوام شتاءً قارصاً جداً في أوربا وأمريكا، وإن اتجاه هذه الكتل الجليدية نحو الجنوب، سوف يغيِّر مناخ الأرض، وبتغيير مناخ الأرض، سوف تتحرك خطوط المطر، ولا بدَّ من أن يأتي يوم تعود بلاد العرب كما كانت مروجاً وأنهاراً .

ما موقف عالم الجيولوجيا حينما سمع بأن النبي قد أنبأ بحقيقة أرض العرب قبل ألف وأربعمئة عام ؟

قال هذا العالم المسلم لهذا العالم الجيولوجي: فما قولك أن رجلاً قبل ألفٍ وأربعمئة عام، قال:

((لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَعُودَ أَرْضُ الْعَرَبِ مُرُوجًا وَأَنْهَارًا))

[أخرجه أحمد في المسند]

دقة الحديث، كلمة (تعود)، يعني أنها كانت، وكلمة (تعود)، يعني أنها ستكون، تعود أي كانت مروجاً وأنهاراً، وستعود مروجاً وأنهاراً .

صُعق هذا العالم الأجنبي، هذه الحقائق عرفناها في هذه السنوات، في هذه السنوات العشر، فما بال هذا الرجل، عرف هذه الحقيقة، التي تحتاج إلى بحثٍ طويل، وإلى درسٍ طويل، وإلى رحلاتٍ شاقة في أعماق الصحراء، وإلى تنقيب، وإلى دراسة لطبيعة المناخ في الأرض، وما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحيٌ يوحى .

بلاغة النبي في كلمة (تعود) لو قال: حتى تصبح، معنى هذا أن الماضي لم يدخل في هذا الحديث، وإذا قال: كانت، المستقبل لا يدخل، أما كلمة تعود وحدها، يعني الماضي والمستقبل.

الباب الخامس : الماء



01-الماء

02-الماء والهواء

03-خاصية الماء

04-خزائن الله

05-قانون الدفع

06-لون الصخور

07-البحر المسجور

08-البرزخ بين البحرين

09-التوافق العددي في القرآن

10-تيار الخليج البحري

11-ماء زمزم

1-الماء

أهمية الماء في حياة المخلوقات :

أيها الأخوة المؤمنون، يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز:

(وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ)

[سورة الأنبياء الآية: 30]

الحياة على وجه الأرض، حياة الإنسان، وحياة الحيوان، وحياة النبات، قوامها الماء، فالماء هو الوسيط الوحيد الذي يحمل الأملاح، والمواد الغذائية منحلة فيه إلى الكائن الحي، ولولا الماء لما كان على وجه الأرض حياة .

من منا يصدق، أنني وقفت عند رقمٍ أذهلني، أنه في كل ثانيةٍ حصراً، في كل ثانيةٍ تمضي، يهطل من السماء إلى الأرض على مستوى الكرة الأرضية، ستة عشر مليون طن من الماء، قال تعالى:

(وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ)

[سورة الذاريات الآية: 22]

من أجل قوام الحياة، ولكن هذا السقوط يتبدَّى فيه اسم اللطيف، لو أن هذا الماء هوى على الأرض، بشكلٍ متصل مجمَّع لأتلف كلَّ شيء، ولحطَّم كل شيء، ولأنهى الحياة، ولكنه ينزل على شكل قطراتٍ صغيرةٍ فيها لطفٌ، وفيها رحمةٌ، وفيها حكمة .

هذا العطاء الرباني الذي ينزل من علياء السماء ، علام يدل ؟

رقم قرأته هذا الأسبوع، ترك في نفسي أثراً بليغاً، هو أن المناطق الرعوية في بلدنا الحبيب، بفضل الأمطار الغزيرة التي انهمرت هذا العام، أنبتت هذه المناطق من العشب الرعوي الذي تأكله الماشية، ما لو أردنا أن نستورده لكلَّف عشرة آلاف مليون ليرة، بالأمطارِ الغزيرة التي تفضَّل الله بها علينا هذا العام، ووفَّرت علينا دفع هذه المبالغ الطائلة ثمناً للأعلاف، حينما يقول الله سبحانه وتعالى:

(وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ)

[سورة الذاريات الآية: 22]

إن الطعام الذي نأكله ما كان ليكون، لولا تلك الأمطار التي تنزل من السماء .

حدثني أحد الأخوة الأكارم، أن هناك محصولاً من الفواكه والثمار في هذا العام، ما لا يمكن تصوُّره، قلت: سبحان اللهُ! الله سبحانه وتعالى هو المسعِّر، تتضاعف الكميات بأمطارٍ غزيرة، فتصبح وفيرة، فتهبط الأسعار، قال تعالى:

(وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ)

[سورة الذاريات الآية: 22]

(وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ)

[سورة الحجر الآية: 21]

إن الله سبحانه وتعالى هو الرزاق ذو القوة المتين، فمن ستة عشر مليون طن من الماء في الثانية الواحدة، إلى أمطارٍ وفَّرت عشرة ألاف مليون من الليرات ثمناً للأعلاف، هذه الأرقام لها دلالاتٍ عند المؤمنين، هذا عطاؤنا:

(كُلّاً نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً)

[سورة الإسراء الآية: 20]

(فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ * أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبّاً * ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقّاً * فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبّاً * وَعِنَباً وَقَضْباً * وَزَيْتُوناً وَنَخْلاً * وَحَدَائِقَ غُلْباً * وَفَاكِهَةً وَأَبّاً * مَتَاعاً لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ)

[سورة عبس الآية: 24-32]

02-الماء والهواء

هل هذه العلاقة بين الماء والهواء لها أهمية ضرورية ؟ لنرى ذلك :

أيها الأخوة المؤمنون، لنذكر نعمة الهواء ونعمة الماء، لنذكر العلاقة بينهم، إذ لولا هذه العلاقة لما كنا في هذا المسجد، ولما كان البشر على وجه الأرض .

العلاقة بين الماء والهواء، أن الهواء يتحمَّل بخار الماء، والآية العُظمى أن الهواء يتحمَّل بخار الماء بنسبٍ متفاوتةٍ مع درجات الحرارة، فإن متراً مكعباً مثلاً من الهواء في درجة صفر، يتحمَّل خمسة غرامات من بخار الماء، بينما إذا سُخِّن هذا الهواء إلى درجة عشرين، أو ثلاثين، قد يتحمَّل مئة وثلاثين غراماً من بخار الماء .

إن تفاوت نسب تحمل الهواء لبخار الماء حسب درجات الحرارة، هذه الآية لولاها لما كانت الأمطار، وإذا لم تكن الأمطار لم تكن النباتات، وإذا لم تكن النباتات لم يكن الحيوان، وإذا لم يكن الحيوان لم يكن الإنسان، لأن الماء أساس الحياة، قال تعالى:

(وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ)

[سورة الأنبياء الآية: 30]

أما كيف يسوق الله سبحانه وتعالى الماء من البحار إلى كل القارَّات عن طريق الأمطار؟ فبفضلِّ هذه الخاصة، وهي خاصة تحمل الهواء لبخار الماء بنسبٍ تتفاوت مع درجات الحرارة، فإذا حمَّلت متراً مكعباً من الهواء مئة وثلاثين غراماً من بخار الماء عن طريق التسخين والتبخير، ثم نقلت هذا الهواء المشْبع ببخار الماء إلى مكانٍ بارد، فإنه يتخلَّى فوراً عن بخار الماء، ويطرح هذا البخار الذي يزيد عن حاجته، بفعل انخفاض درجات الحرارة، وهذا هو مبدأ الأمطار .

تسلَّط أشعة الشمس على مساحاتٍ واسعةٍ جداً من الكرة الأرضية، وهي البحار، لأن البحر يشمل أربعة أخماس الأرض، هذا الماء يتبخَّر، والهواء يحمل البخار، واختلاف درجات الحرارة بين الصحارى والمناطق الساحلية، وبين خط الاستواء وبين القطب، هذا التفاوت الكبير في درجات الحرارة يسوق الرياح، والرياح تحمل معها بخار الماء، فإذا واجه الهواء المشبع ببخار الماء جبهاتٍ باردة، طرح منه الماء الذي يزيد عن حاجته، فكانت الأمطار .

من قنن هذا القانون؟ من أعطى الماء هذه الخاصة؟ من أعطى الهواء هذه الخاصة، وهي خاصة تحمل بخار الماء؟ من جعل لكل درجةٍ كميةٍ محددة لا تزيد عنها؟ .

خاتمة الدرس ؟

يا أيها الأخوة المؤمنون، هذه الحقائق مبسطة جداً تبسيطاً أولياً، لكنَّ الأمطار أعقد بهذا بكثير، ولكن من أجل تقريب الحقيقة، هذه الخاصَّة التي أودعها الله في الماء، وتلك الخاصة التي أودعها الله في الهواء، وهذه العلاقة بينهما، وهذه المساحات الكبيرة من الماء، التي أودعها الله في المحيطات، وتلك أشعة الشمس التي تبخر الماء، وهذه الرياح التي تنشأ من تفاوت درجات الحرارة، تسوق السحب إلى أرضٍ عطشى، فتحيي به الأرض بعد موتها، هذه آيةٌ من آيات الله سبحانه وتعالى .

03- خاصية الماء

ما هو القانون المطرد الذي وضعه الله في الماء، وما هو خطورة هذا القانون لو أنه انعكس ؟

أيها الأخوة المؤمنون، الآية الكريمة التي تقول:

(وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ)

[سورة الأنبياء الآية: 30]

آيةٌ، لا تتسع المجلدات بتفسيرها، ولكن نأخذ اليوم جانباً يسيراً منها، الماء الذي جعله الله سبحانه وتعالى أساس الحياة، إن من العلماء من يقول: إن خصيصةً صغيرةً للماء، لو أنها فقدت، لانتهت الحياة من على سطح الأرض، ما هذه الخصيصة؟ .

إن الماء إذا بردَّته ينكمش، شأنه كشأن العناصر التي على وجه الأرض، ونقصد بالعناصر، الغازات، والسوائل، والمعادن، الأجسام الصُلبة، إن كل العناصر التي خلقها الله سبحانه وتعالى، تتمدد بالحرارة، وتنكمش بالبرودة، والماء منها، فإذا أردت أن تبرِّد الماء، وكان في درجة الغليان، وراقبت حجمه، بأجهزةٍ حساسة، فإنه ينكمش، إذا انخفضت الدرجة من مئة إلى ستين، إلى أربعين، إلى ثلاثين، إلى عشرين، إلى عشر، إلى خمس، فإذا وصل الماء إلى درجة (4+) عندئذٍ تنعكس الآية، يزداد حجمه ويتمدد، وهذا معاكس للقانون .

القانون المطَّرد الذي ينتظم كل العناصر على وجه الأرض فهو يتمدد، وهذا شيءٌ ترونه أنتم، ضعوا في الثلاجة سائلاً، وراقبوا حجمه، ترونه بعد التجمد يزداد حجمه، فإذا كان قارورةً محكمة السدّ، فإنها تنكسر، هذا شيءٌ معروفٌ لديكم، ولكن ما علاقة هذه الخصيصة بوجود الحياة على وجه الأرض؟ .

قال: إذا تجمدت البحار، لو أن الماء إذا تجمَّد انكمش، أي قلَّ حجمه، فزادت كثافته، فغاص في أعماق البحار، يأتي يومٌ تصبح جميع البحار متجمدةً من سطحها إلى أعماقها، فإذا تجمدت البحار، انعدم التبخر، وإذا انعدم التبخر، انعدمت الأمطار، فماتت النباتات، فمات الحيوان، فمات الإنسان .

أيها الأخوة، لو أن الماء شأنه في التمدد والانكماش كشأن جميع العناصر التي خلقها الله عزَّ وجل، لكانت الحياة قد انتهت منذ ملايين السنين، ولكنَّ ازدياد حجم الماء وتمدده في هذه الدرجة الحرجة، في درجة (4+)، هذه الخصيصة التي أودعها الله في الماء، هي التي تجعل من الحياة مستمرةً على وجه الأرض، فإذا تجمَّدت المحيطات، كان التجمُّد باعثاً على ازدياد حجم الماء، وإذا ازداد حجمه، قلَّت كثافته، وإذا قلت كثافته، طفا على وجه الماء، فلو ذهبنا إلى المحيطات المتجمدة في القطبين، لرأينا التجُّمد في الطبقة السطحية، وأما في أعماق البحر فالمياه سائلة، تسبح فيها الكائنات الحية، كما لو أنها في أماكن أخرى .

هل هذه الآيات التي بثها الله في الكون تدل على العبث ؟

فيا أيها الأخوة المؤمنون، هل هذه الخصيصة التي أودعها الله في الماء، شيءٌ جاء صدفةً؟ لولا هذه الخصيصة لما كنا في هذا المسجد، لما تكلم أحدنا، لما كنا على وجه الأرض ، لما كانت الحياة على وجه الأرض .

أيها الأخوة المؤمنون، كلما تأملتم في آيات الله التي بثها الله في الأرض، عرفتم أن لهذا الكون خالقاً عظيماً، ومدبراً حكيماً، سميعاً بصيراً، قوياً، رحيماً، لطيفاً، هذا الكون هو الذي يدلُّ عليه .

04- خزائن الله

صح في الحديث القدسي أن الله عز وجل يقول:

((أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر ، فأما من قال : مُطِرنا بفضل الله ورحمته ، فذلك مؤمن بي وكافر بالكوكب ، وأمّا من قال بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي ، ومؤمن بالكوكب))

[البخاري 1038 ، مسلم 71]

مما يؤكد أن تقتير الأمطار لا يمكن أن يكون تقتير عجز كشأن البشر ، ولكنه تربية وتأديب ، هذا الخبر الذي أعلمت فيه وكالة الفضاء الأوروبية أن مرصد الفضاء الأوروبي العامل بالأشعة تحت الحمراء رصد غيمة من البخار في الفضاء الخارجي ، يمكن لها أن تملأ محيطات الأرض ستين مرة في اليوم الواحد بالمياه العذبة.

قول عالم:

وعلق أحد علماء الفلك فقال :) إن المرصد عثر على غيوم للبخار في أكثر من مكان في الكون(، إلا أن هذه الغيمة التي اكتشفها مؤخراً تعد مصنعاً عظيماً لبخار الماء ، وهذا مصداقُ قول الله تعالى :

(وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ)

[الحجر: 21]

وأما معنى التقتير التربوي أو التأديبي ففي قوله سبحانه :

(وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ)

[الشورى:27]

وقوله:

(وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقاً * لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَاباً صَعَداً)

[الجن: 16-17]

وقوله عز وجل :

(وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ)

[المائدة: 66]

إن الجاهلين والشاردين يخوّفون أهل الأرض ، مرّة بنقص الغذاء ، وأخرى بنقص الماء ، وتارة باقتراب نضوب آبار النفط ، فيفتعلون حروباً من أجل المياه تارةً ، وحروباً من أجل القمح تارةً أخرى ، وأحدث هذه الحروب من أجل النفط ، وفاتهم أن تقليل الله عز وجل لمادة ما هو تأديب ، وليس عجزاً منه.

05- قانون الدفع

إليكم هذه الحقيقة العلمية التي تتحدث عن مصدر الأمطار :

أيها الأخوة المؤمنون، هذه الأمطار التي أكرمنا الله بها، وهذه الثلوج التي امتنَّ الله بها علينا، هذه الأمطار من أين مصدرها؟ سؤالٌ دقيق، لأن الله سبحانه وتعالى يحثنا أن ننظر في ملكوت السموات والأرض، قال تعالى:

(قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)

[سورة يونس الآية: 101]

مصدرها الأولي هذا البحر، ونسبة البحر كما تعلمون إلى مساحة الأرض بكاملها، واحدٌ وسبعون في المئة، يعني سطح الأرض واحد وسبعون بالمئة بحراً، وتسعةٌ وعشرون بالمئة بر، سؤالٌ دقيق: من أين جاءت هذه الأمواه الكثيرة؟ .

يزيد عمق بعض النقاط في المحيط الهادي عن اثنتي عشر ألف متر أي اثني عشر كيلو متر، فهذه المساحات الشاسعة، إذا كانت قارة أسيا، وقارة أوروبا، وقارة أمريكا، وقارة إفريقيا، وقارة أوقيانوسيا، والقارة السادسة، إذا كانت كل هذه القارات بما فيها من بلادٍ، وعبادٍ ، وسهولٍ، وجبالٍ، وصحارى، نسبتها تسعٌ وعشرون بالمئة من مساحة الأرض، وما تبقّى بحرٌ، وفي أعماقٍ متفاوتة، وقد تبلغ بعض أعماقه اثنتي عشر ألف متر، فمن أين جاءت هذه الأمواه؟ ومن أين جاء هذا الملح؟ هناك بحيراتٌ عذبة، من أين جاء الملح؟ لا تزال نظرية ملوحة البحر نظرية تائهة لا تهتدي إلى تفسيرٍ صحيح، ولكنَّ التفسير الصحيح قوله تعالى:

(وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ)

[سورة فاطر الآية: 12]

شيءٌ آخر، من جعل هذا البحر يمتلئ بالأسماك؟ إنه مستودعٌ للأغذية للبشرية على تعاقب القرون والعصور، إن في البحر ما يزيد عن مليون نوعٍ من السمك، وأنواع السمك لا تعدُّ ولا تحصى، وأعدادها لا تعدُّ ولا تحصى، وقد جعله الله مخزناً غذائياً لبني البشر .

شيءٌ آخر، جعل الله البحر وسيلة اتصالٍ بين القارَّات، وجعل سطحه موزعاً بين القارَّات، هذا كله عليه أبحاثٌ طويلة .

ما هو القانون الذي خصه الله في البحار، وما هي وظيفته ؟

أريد في هذه الخطبة أن أقف عند قانونٍ أساسي في البحر، هذا القانون يقول: إن كل جسمٍ غاطسٍ في الماء يتلقَّى من الأسفل إلى الأعلى دفعاً عمودياً قائماً مساوياً لوزن الماء المعادل لحجم هذا الجسم . احمل شيئاً ثقيلاً واغمسه في الماء، تحسَّ أن نصف وزنه قد تلاشى، كأنَّ قوةً تدفعه نحو الأعلى، هذه القوة يحكمها قانون، إن قوة الدفع نحو الأعلى تساوي وزن الماء المعادل لحجم هذا الجسم، لولا هذا القانون لما أمكن أن يُركب البحر، هذا القانون بسرِّه تسبح الأسماك ، لولا قانون القوة الدافعة نحو الأعلى، لما وجدت في البحر سمكةٌ واحدة، الأسماك تسبح في البحر، لأن وزنها أقلُّ من وزن الماء الذي أزاحته بانغماسها في الماء، لذلك تجد السمكة قوةً دافعةً نحو الأعلى .

أيها الأخوة الأكارم، لولا هذا القانون لما أمكن لسفينةٍ أن تمخر عباب البحر، لذلك قال ربنا سبحانه وتعالى:

(اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ)

[سورة الجاثية الآية: 12]

(لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ)

[سورة الجاثية الآية: 12]

أحدث رقمٍ اطلعتُ عليه، أن هناك ناقلات نفطٍ تزيد حمولتها عن مليون طن، سمعنا قبل سنوات سبعمئة ألف طن، ثمانمئة ألف طن، نصف مليون طن، أحدث ناقلات النفط تزيد حمولتها عن مليون طن، إنها مدينة تمخر عباب الماء، بفضل من؟ بفضل هذه القوة التي أودعها الله، وهي تعمل بأمره، قوة الدفع نحو الأعلى، هذا القانون اكتشفه عالمٌ من علماء الغرب، قوة الدفع نحو الأعلى .

إليكم هذه الآيات التي تشير إلى هذا القانون :

أشار ربنا سبحانه وتعالى إلى هذا القانون في آياتٍ كثيرة، الآية الأولى:

(اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ)

[سورة الجاثية الآية: 12]

تنقلون البضائع، والحبوب، والأغذية، والآلات عبر المحيطات على ظهر هذه السفن ، التي هي في البحر كالأعلام أي كالجبال، قال تعالى:

(وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)

[سورة الجاثية الآية: 12]

آيةٌ ثانية تشير إلى هذا القانون:

(أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَةِ اللَّهِ)

[سورة لقمان الآية: 31]

آيةٌ ثالثة:

(وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ)

[سورة الشورى الآية: 32]

آيةٌ رابعة:

(وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا)

[سورة فاطر الآية: 12]

أي أن هذا اللؤلؤ خلق خصيصاً لكم أيها البشر، قال تعالى:

(وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)

[سورة فاطر الآية: 12]

هذه من آيات الله عزَّ وجل، أي أنك إذا استعملت شيئاً قد اشتري من بلادٍ بعيدة اذكر هذه الآيات، لولا أن الله سبحانه وتعالى جعل هذا القانون، لما أمكن لسفينةٍ أن تنقل لك هذه البضاعة التي تستعملها، إذن هذه آيةٌ من آيات الله الدالة على عظمته .

06- لون الصخور

إليكم هذا الإعجاز القرآني المتعلق بهذا الموضوع:

يا أيها الأخوة الكرام، من آيات الإعجاز العلمي المتعلقة بالماء أيضا، أن الله جل جلاله يقول:

(أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ * وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ)

[سورة فاطر الآية: 27-28]

اختلاف الألوان ورد في ثلاث فقرات في هذه الآية، وقد وجدت بحثا علميا مطوّلا لا يمكن أن يُلقى من على هذا المنبر، لتعقيده، لكن ملخَّصه: أن ألوان الصخور هي نتاج ألوان المعادن المركونة لها، وألوان المعادن نتاج تركيبها العنصري وبيئتها وتفاعلها مع الماء، فالماء هو العامل الحاسم في تلوين صخور الجبال، لذلك قال تعالى:

(أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا)

[سورة فاطر الآية: 27]

قد يعجب الإنسان عن علاقة إنزال الماء من السماء واختلاف ألوان الجبال، في بحث مطوَّل جدا، ومعقّد جدا، وجدتُ من المناسب ألاّ أقول تفاصيله، ولكن ملخَّصه: أن الماء هذا العنصر الحيوي، والذي يعدّ من أعلى العناصر المذيبة و الفعَّالة، هو العامل الحاسم في تلوين الجبال، فالجبال تأخذ ألوانها من ألوان معادنها التي تشترك في بنيتها، والمعادن تتلوَّن بقدر أكسدتها، والماء له علاقة بهذه الأكسدة، لذلك تجد أن ألوان الجبال أحد عوامل تلوينها، و اختلاف ألوانها من جبال كالغرابيب السود، وجبال جدد بيض و حمر مختلف ألوانها، يعود إلى الماء.

أيها الأخوة الكرام، كلما تقدّم العلمُ كشف عن جانب من إعجاز القرآن الكريم العلمي، من أجل أن نعلم علم اليقين أن الذي أنزل هذا القرآن، هو الذي خلق الأكوان، وهذا التوافق بين معطيات العلم، وبين معطيات الوحي هو منطقي إلى درجة قطعية، لأن الوحي كلام الله، فلا بد من تطابق العلم الحقيقي مع النقل الصحيح، لذلك كنتُ أقول دائما: إن الحق دائرة لا بد من أن تتقاطع فيها خطوط النقل الصحيح مع التأويل الصحيح، وخطوط العقل الصريح غير التبريري وخطوط الفطرة السليمة غير المشوهة، وخطوط الواقع الموضوعي غير المزوَّر، فلا بد من أن نعلم علم اليقين أن الذي خلق الأكوان، هو الذي أنزل هذا القرآن.

ما الغاية من طلب العلم ؟

أيها الأخوة، فقد تعجب! قال تعالى:

(أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ)

[سورة فاطر الآية: 27]

هنا عطف، قال تعالى:

(وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ * وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ)

[سورة فاطر الآية: 27-28]

إنما: تفيد القصر والحصر، يعني ما لم تطلب العلم فلا سبيل إلى أن تخشى الله، إن أردت أن تخشى الله الخشية الحقيقية فلا بد من طلب العلم، لأن الله عزوجل، يقول:

(إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ)

[سورة فاطر الآية: 28]

أي العلماء وحدهم، ولا أحد سواهم، هم الذين يخشون الله.

07- البحر المسجور

أيهما أسبق في إعلام هذه الحقيقة القرآن الكريم أم من اكتشفها ؟

أيها الأخوة الكرام، من أكثر الآيات المبهرة في البحار والمحيطات، هو وصف القرآن الكريم في مطلع سورة الطور للبحر بالمسجور:

(وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ)

[سورة الطور الآية: 6]

يقسم الله تبارك وتعالى بهذا البحر المسجور، وهو تعالى غني عن القسم لعباده، و المسجور في اللغة؛ هو الذي أوقد عليه حتى أصبح حاراً، الماء تتناقض مع النار، وجود أحدهما ينقض وجود الآخر، تطفأ النار بالماء، فكيف يكون البحر مسجوراً؟ .

بعضهم قال: تتألف ذرة الماء من الأوكسجين و الهيدروجين، والأوكسجين غاز مشتعل، والهيدروجين غاز يعين على الاشتعال، فلو أن الله فك هذه العلاقة الباردة بينهما لأصبح البحر كتلة من اللهب، لكن عالماً معاصراً، قال: ثبت أنه في قاع المحيطات هناك براكين تقذف باللهب، أي آية من آيات الله في خلقه حيث أنه لولا هذه النار ما استطاعت الكائنات الحية في قاع المحيط أن تعيش في هذه الظلمة الحالكة، العلماء في أواخر الستينات من القرن العشرين، يؤكدون أن جميع المحيطات، وعديد من البحار قيعانها مسجرة بالنيران، وهي الحقيقة التي ذكرها القرآن بالبحر المسجور قبل ألف وأربعمئة عام .

أيها الأخوة الكرام، والبحر المسجور غير أنه إذا عدل العلاقة الترابطية بين ذرتي الأوكسجين والهيدروجين يغدو البحر ناراً في قاع المحيطات، هناك نيران تهيئ جواً معتدلاً للأسماك كي تعيش فيه، وهذا معنى قوله تعالى:

(وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ)

[سورة الطور الآية: 6]

08- البرزخ بين البحرين

ما اكتشفه العلماء مؤخراً حول موضوع البرزخ :

أيها المؤمنون في كل مكان، انطلاقا من قوله تعالى:

(سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ)

[سورة فصلت الآية: 53]

انطلاقاً من هذه الآية، لقد اكتشف العلماء الغربيّون مؤخراً: أنَّ بين كلِّ بحرين مالحين حاجزاً، تم تصويره من سفن الفضاء، هذا الحاجز يمنع مياه كل بحرٍ من أن تختلط بمياه البحر الآخر، فلا يبغي بحرٌ على بحر، بل يحافظ كلُّ بحرٍ على كثافة مياهه، ودرجة ملوحته، ومكوناته، وهذا الحاجز بين البحرين ليس ثابتاً، بل هو متحركٌ بفعل الرياح، وحركة المد والجزر .

حينما اطلع بعض هؤلاء العلماء، وهم في نشوة اكتشافهم هذا، أنَّ في القرآن الكريم إشارةً إلى هذا الكشف العلمي، وهي قوله تعالى:

(مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ)

[سورة الرحمن الآية: 19-21]

أخذتهم الدهشة، وقد اكتشفوا أيضاً، أنَّ بين البحرين الملح الأجاج، والعذب الفراتِ حاجزاً يمنع مياه كلَّ بحرٍ من أن تطغى على الآخر، كما هو بين البحرين المالحين، وحاجزاً يمنع أسماك المياه العذبة من أن تنتقل إلى المياه المالحة، ويمنع أسماك المياه المالحة من أن تنتقل إلى المياه العذبة، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا الكشف العلمي الثاني، وسمى الحاجز الأول: برزخاً، وسمى الحاجز الثاني: حجراً، فقال تعالى:

(وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخاً وَحِجْراً مَحْجُوراً)

[سورة الفرقان الآية: 53]

أما طبيعة هذين الحاجزين، فلا تزال موضع دراسة .

09- التوافق العددي في القران

إليكم بعض الكلمات التي وردت في الإعجاز الحسابي في القرآن الكريم :

موضوع إعجاز القرآن الكريم شيءٌ بات مسلماً به، هناك إعجازٌ رياضي، هناك إعجازٌ تشريعي، هناك إعجازٌ بلاغي، هناك إعجازٌ بياني، هناك إعجازٌ علمي، أنواع الإعجاز التي جاء بها القرآن، والتي جعلها إعجازاً إلى أبد الآبدين موضوعٌ مسلمٌ به، لكن الشيء الذي يلفت النظر أن من هذه الإعجازات من بين قائمة إعجازات القرآن الكريم: الإعجاز العددي أو الإعجاز الحسابي .

فمن يصدِّق، أن في القرآن الكريم كلّه بدءاً من سورة الفاتحة، وانتهاءً بسورة الناس، في القرآن الكريم كلّه وردت كلمة: البر، اثنتي عشر مرة بالتمام والكمال، لو فتحت معجم القرآن الكريم المفهرس - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم- وجدت أن كلمة البر تعني: البَر اليابسة، والبر الإحسان، والبُر القمح، البَر وردت اثنتي عشرة مرة، وفي مرةٍ واحدة وردت بصيغةٍ أُخرى، قال تعالى:

(فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقاً فِي الْبَحْرِ يَبَساً)

[سورة طه الآية: 77]

فإذا جمعنا هذه الكلمات، مجموعها ثلاث عشرة كلمة، والنبي عليه الصلاة والسلام لم يرَ البحر، ولم يركب في البحر، ولا يعنيه من البحر شيئاً، لكنَّ كلمة البحر وردت في القرآن الكريم ثلاثاً وثلاثين مرة بالتمام والكمال، وإذا شئتم ارجعوا إلى معاجم القرآن الكريم في هذا اليوم، واستعرضوا الآيات التي وردت فيها كلمة البحر.

فإذا جمعت آيات البر، وهي ثلاث عشرة آية، مع آيات البحر، وهي ثلاثٌ وثلاثون آية، يكون المجموع ستٌ وأربعون آيةً، تشكّل وحدةً هي البر والبحر، فإذا قسَّمت آيات البر على هذا المجموع، كانت النسبة بالضبط هي نسبة البر إلى البحر على وجه الأرض، النسبة هي واحد وسبعين بالمئة بحر، وتسعٌ وعشرون بالمئة بر، فإذا قسَّمت ثلاث عشر على ستٍ وأربعين، يكون الرقم مساوياً لهذه النسبة .

فهل هذا الكلام كلام بشر؟ كيف جاءت عدد آيات البر مع عدد آيات البحر، مع نسبة آيات البر إلى مجموع آيات البر والبحر؟ كيف جاءت هذه النسبة مطابقةً لنسبة البر إلى البحر ؟ هذا لونٌ من إعجاز القرآن الكريم، واصطلح على تسمية هذا الإعجاز، بالإعجاز الحسابي .

وردت كلمة الشهر في القرآن الكريم اثنتا عشرة مرة بالتمام والكمال، هل هذا صدفة ؟ هل هذا من صنع بشر؟ هل هذا كلام بشر؟ كلما مرَّت الأيام، وكلما تقدَّم العلم، وكلما تقدمت البحوث العلمية، يكتشف في القرآن الكريم أوجهٌ للإعجاز لم تكون معلومةً من قبل .

كلمة عن القرآن الكريم :

يا أيها الأخوة المؤمنون، هذا القرآن الكريم كلام الله، وفضل كلام الله على كلام خلقه كفضل الله على خلقه، هذا القرآن الكريم هو الكتاب المقرر الذي نؤدِّي فيه جميعاً الامتحان، هنيئاً لمن تعلمه، هنيئاً لمن قرأه، هنيئاً لمن علمه، هنيئاً لمن تعامل معه، هنيئاً لمن جعله دستوراً له في حياته، هنيئاً لمن أخذ به، هنيئاً لمن صدَّقه، هنيئاً لمن عمل به، القرآن غنىً لا فقر بعده، ولا غنىً دونه، القرآن شافعٌ مشفَّع، القرآن حبل الله المتين .

يا أيها الأخوة المؤمنون، عودوا إلى هذا القرآن، ارجعوا إليه، فهو النبع الأول للإسلام ، إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم، قال تعالى:

(فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ)

[سورة طه الآية: 123]

وهو في القرآن، قال تعالى:

(فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى)

[سورة طه الآية: 123]

(فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)

[سورة البقرة الآية: 38]

يا أيها الأخوة المؤمنون، ألوان الإعجاز لا تعدُّ ولا تحصى، هذا بعضٌ من إعجاز القرآن الكريم .

10- تيار الخليج البحري

إذا نزل الإنسان إلى البحر، فإن قطرات الماء التي تعلق على جلده، ربما تكون وصلت من توِّها، بعد رحلةٍ استغرقت عدةً سنين، لأن الماء يجري في تياراتٍ من خط الاستواء إلى القطبين، ومن القطبين إلى خط الاستواء، وقد يقطع مسافة تزيد عن خمسة عشر ألف كيلو متر، فهذا الماء الذي تجده في البحر، ماءٌ متبدِّل، يقطع رحلاتٍ طويلة، بعضها إلى الشمال، وبعضها إلى الجنوب، بعضها إلى الشرق، وبعضها إلى الغرب، وهناك قوانين معقدة جداً، تحكم حركة الماء في المحيطات .

لكن الذي يعنينا، أن سبب هذه الحركة في أصلها: أنَّ أشعة الشمس تسخِّن الماء الذي في خط الاستواء، فيتمدد، ويرتفع قرابة عشرين سنتمتر، وهذا الارتفاع الطفيف يساهم في تشكيلٍّ تيارٍ نحو الشمال، وأن الماء في القطبين يبرد، ومع برودته يثقل، فيغوص في الأعماق، ويتجه نحو خط الاستواء، فهناك

تياراتٌ سطحية، وتياراتٌ عميقة، هذه المقدمة نريد منها أن نصل إلى أن من آيات الله الدالة على عظمته، تيار الخليج .

كم سرعة تيار الخليج، وكم عرضه وكثافته، وما وظيفته، وما فوائده ؟

هذا التيار، تيارٌ سرعته ثماني كيلو مترات في الساعة، أي إذا دخلت فيه السفينة، وأطفأت محركاتها، فإنها تسير ثمانية كيلو مترات في الساعة دون أن تعمل محركاتها .

عرض هذا التيار، يزيد عن ثمانين كيلو متر، وعمقه يزيد عن أربعمئةٍ وخمسين متر ، وهذا التيار كثافته أربعة ملايين طن من الماء في الدقيقة، وهذا التيار، ماذا يفعل؟ يذيب مئة وثلاثين ألف طن من الكتل الثلجية في عشرة أيام من كتل ثلج القطبين، ولهذا التيار فوائد لا تعد ولا تحصى، إنه يجعل المنطقة الباردة في أوروبا منطقةً معتدلة، الأجواء اللطيفة في دول إسكندافيا سببها تيار الخليج .

هناك تياراتٌ تجري في أعماق البحر على عمق ثلاثة آلاف متر، والغوّاصات إذا أطفأت محركاتها، تنتقل من مكان إلى آخر عبر هذا التيار، وهذا أيضاً شيءٌ يلفت النظر .

رزقك أيها الإنسان موصول لك، إليك الدليل :

الآية الدالة على عظمة الله الثانية في هذا الموضوع، هي: أن هناك تياراً بارداً يتجه نحو شواطئ أمريكا الجنوبية، ليصل إلى بلاد بيرو، وتشيلي، ماذا يفعل هذا التيار؟ يحمل هذا التيار كمياتٍ كبيرة من الأعشاب البحرية، تجتذب هذه الأعشاب البحرية أعداداً فلكية من أسماك السردين، هذه الأسماك هي غذاءٌ لعشرات الملايين من طيور تعيش على شواطئ هذه البحار، اسمها غراب البحر .

هذه الطيور، لها مخلّفات، مخلفات هذه الطيور تعدُّ المادة الأولى لدخل تلك الشعوب، أي أرقى أنواع الأسمدة في العالم من مخلفات هذه الطيور، خمسين مليون طائر تؤخذ مخلفاتها بالجرافات، وتصدر إلى شتى أنحاء العالم، وهذه الأمم والشعوب في شواطئ أمريكا الجنوبية، دخلها القومي الأول والأخير، مخلفات الطيور التي تعيش على أسماك السردين، وتلتهم في العام بتقدير العلماء، ما يزيد عن ثلاثة ملايين طن من هذه الأسماك، وهذه الأسماك تجتذب إلى هذا المكان بفعل الأعشاب التي يحملها هذا التيار .

لحكمة يريدها الله من حينٍ إلى آخر، يغيِّر التيار مساره، فإذا غير مساره، لم يأت بهذه الأغذية للأسماك، تموت الأسماك والطيور، وعندئذٍ يعاني الشعب من حين إلى آخر من مجاعاتٍ قاتلة، بسبب ضعف إنتاجه القومي، أليست هذه آية دالةٌ على أن الله هو الرزاق ذو القوة المتين؟.

أيها الأخوة الكرام:

هناك من يقدِّر أنَّ أكثر من خمسين مليون طائر يعيش على هذه الشواطئ، ليلتهم هذه الأطنان المملينة من أسماك السردين، وهذه المخلفات التي تصدر إلى أكثر بقاع العالم .

هذا تيار الخليج الحار، وذاك تيار البارد، وهذا تيار السطح، وذاك تيار الأعماق، ولحركة الماء في البحار موضوعٌ دقيقٌ، وطويلٌ، ومعقد، وقد ذكرت لكم قليلاً من هذا الموضوع يمكن أن يلقي من على منبرٍ بهذه العجالة السريعة .

زبدة القول :

أيها الأخوة الكرام، في كلِّ شيءٍ له آية تدل على أنه واحد، من رزق هذه الأسماك تلك الأعشاب؟ الله جلَّ جلاله، من رزق هذه الطيور تلك الأسماك؟ من رزق الناس بمخلفات الطيور، وعاشوا على دخلٍ كبير؟ هذا تقدير الرزَّاق العليم .

أيها الأخوة المؤمنون، إذا أردت أن تقف وجهاً إلى وجه أمام عظمة الله عزَّ وجل، فهذا الكون الذي أمامك، بسمائه، وأرضه، ببحاره، بأسماكه، بأجوائه، بأطياره، بجباله، بوديانه ، بنباتاته، بحيواناته، بخلق الإنسان أقصر طريقٍ إلى الله، وأوسع بابٍ لمعرفته .

11-ماء زمزم

وصف النبي صلى الله عليه وسلم ماء بئر زمزم:

((إنها مباركة، إنها طعام طعم))

[أخرجه الإمام مسلم في الصحيح]

((وشفاء سقم))

[ورد في الأثر]

وعن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال:

((خير ماء على وجه الأرض ماء زمزم، فيه طعام من الطعم، وشفاء من السقم))

[ورد في الأثر]

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال:

((زمزم لما شرب له))

[أخرجه الحاكم في المستدرك]

وزاد الحاكم في المستدرك من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً:

((فإن شربته تستشفي به، شفاك الله، وإن شربته مستعيذاً به، أعاذك الله، وإن شربته ليقطع ظمأك، قطعه الله))

[أخرجه الحاكم في المستدرك]

((أن آية ما بين أهل الإيمان والنفاق؛ التضلع من ماء زمزم))

[ورد في الأثر]

وقد حرص الصحابة، والتابعون، وكثير من علماء الأمة، وعامتها، على التضلع من ماء زمزم، واستحضار نيات معينة عند الشرب منه، لأن الدعاء مستحب عند الشرب من ماء زمزم، فزمزم لما شرب له .

وقد روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه إذا شرب ماء زمزم دعا، فقال:

((اللهم إني أشربه لظمأ يوم القيامة))

وقد ورد عن ابن عباس رضي الله عنه أنه كان إذا شرب ماء زمزم، قال:

((اللهم إني أسالك علماً نافعاً، ورزقاً واسعاً، وشفاء من كل داء))

قال بعض العلماء:

((ماء زمزم سيد المياه، وأشرفها، وأجلها قدراً، وأحبها إلى النفوس وأغلاها ثمناً، وأنفسها عند الناس، وهو هَزْمَة جبريل-أي حفّره- وسقيا الله إسماعيل))

فماذا في العلم وتحليلاته الدقيقة عن ماء زمزم؟ أجريت في عام ألف وتسعمئة وثلاثة وسبعين، وفي عام ألف وتسعمئة وثمانين تحاليل كيميائية من قبل شركات عالمية عملاقة ومتخصصة، فكانت النتائج مذهلة

فكانت النتيجة أن مياه زمزم خالية تماماً من أي نوع من أنواع الجراثيم المسببة للتلوث، وتعد المياه معدنية، ويتهافت الناس على شرائها، إذا كانت نسبة أملاح المعادن فيها من 15 إلى 35 ملغ في اللتر، أما مياه زمزم فتبلغ نسب المعادن فيها 2 ملغ في اللتر

من أبرز هذه الأملاح المعدنية؛ الكالسيوم، والصوديوم، والمغنزيوم، والبوتاسيوم وغيرها، وغيرها ويعد ماء زمزم من أغنى مياه العالم بعنصر الكالسيوم، إذ تبلغ نسبته فيه مئتي ملغ في اللتر، لقد صدق رسول الله، حينما يقول:

((ماء زمزم، فيه طعام من الطعم))

وقد دلت البحوث العلمية الحديثة أن أمراض شرايين القلب التاجية أقل حدوثاً في الذين يشربون مثل هذه المياه، لقد صدق رسول الله، حينما قال:

((ماء زمزم، فيه شفاء من السقم))

وتعد المياه غازية هاضمة إذا احتوت على ما يزيد عن 25 ملغ في اللتر من البيكربونات، ومن أشهر المياه الغازية في العالم مياه نبع إفيان في فرنسا، إذ تبلغ نسبة البيكربونات فيه 357 ملغ في اللتر، أما ماء زمزم فتبلغ نسبة البيكربونات 366 ملغ في اللتر، لقد صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم، حينما قال:

((زمزم لما شرب له))

ماء زمزم ليس عذباً حلواً بل يميل إلى الملوحة، والإنسان لا يشرب من هذا الماء الذي يميل إلى الملوحة إلا إيمانا بما فيه من البركة، فيكون التضلع منه دليلاً على الإيمان، ولعلّ الله عزّ وجلّ لم يجعله عذبا حتى لا تُنْسي العذوبة فيه معنى التعبّد عند شُربه، ولكنَّ طعمه على أية حال مقبول، لقد صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم، حينما قال:

((أن آية ما بين أهل الإيمان والنفاق؛ التضلع من ماء زمزم))

والآن نسأل: ما المؤسسات العلمية العالية التي كانت على عهد النبي، والتي أعطته هذه الحقائق المدهشة عن ماء زمزم؟ ومن هي هيئات البحوث المتخصصة التي توصلت إلى هذه النتائج الدقيقة عن هذا الماء؟ وما نوع المخابر العملاقة التي حللت واستنتجت هذه النسب البالغة الدقة عن نسب أملاح المعادن في ماء زمزم، والتي اعتمد عليها النبي في أحاديثه عن هذا الماء المبارك؟ إنه الوحي، وما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى

إن هذه الأحاديث عن ماء زمزم من دلائل نبوة النبي صلى الله عليه وسلم

الباب السادس:النبات



ترتيب الله للمعاصي و الآثام :

في قوله تعالى:

(وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ)

[سورة البقرة:169]

الله عز وجل رتب المعاصي والآثام ترتيباً تصاعدياً، فبدأ بالإثم والعدوان والفحشاء والمنكر، ثم الكفر والشرك، وجعل على رأس هذه المعاصي:

(وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ)

[سورة البقرة:169]

الإمام الغزالي رحمه الله تعالى يقول: " العوام لأن يرتكبوا الكبائر أهون من أن يقولوا على الله ما لا يعلمون ".

الآيات الدالة على عظمة الله لا تعد ولا تحصى :

وهناك شيء آخر هو أن الله سبحانه وتعالى حينما يقع الإنسان في معصية في مفردات المنهج الإلهي سريعاً ما يتوب منها، أما حينما يظن بالله ظن السوء، ويتوهم عن الذات العلية أفكارًا غير صحيحة، فهذا يحجبه عن الله عز وجل، فأفضل ألف مرة أن تخطئ في الوزن من أن تخطئ في الميزان، فالخطأ في الميزان لا يصحح، بينما الخطأ في الوزن لا يتكرر.

الحقيقة أن الآيات التي تدل على عظمة الله لا تعد ولا تحصى، وقلت مرة: لو أنّ إنسانًا في مقتبل حياته قال: مليار مليار إلى أن وافته المنية في الثمانين، لا تنتهي آيات الله عز وجل، وهذا مأخوذ من قوله تعالى:

(قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً)

[سورة الكهف:109]

وفي آية ثانية:

(وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ)

[سورة لقمان: 27]

ومعلوم لديكم أن محبرة صغيرة تكفي الطالب سنوات وسنوات، فكيف إذا كانت مياه البحار كلها في سبعة أضعاف هي المداد لكلمات الله؟ قال:

تحقق حاجات الإنسان من خلال النبات :

ولكن الله جلت حكمته أعطانا من هذه الآيات التي لا تعد ولا تحصى عدداً محدوداً، أنا أسمي هذا العدد هو منهج الإنسان في التفكر في ملكوت السموات والأرض، بل إن هذا العدد اختاره الله لحكمة بالغة، لأن هذه الآيات قريبة منا، من حياتنا اليومية، فأقرب شيء منا هذا النبات، وفي آية في سورة المائدة ورد ذكر النبات في كلمتين، قال تعالى:

(وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ)

[سورة الأنعام : 99]

فأنت ترى أن الخشب نصنع منه الأثاث، بعضها أثاثات المنازل، وبعضها لاستعمال الصناعة، وبعضها للتدفئة، وبعضها للأساس، أما كلمة نبات فكل شيء، هناك نبات نتغذى من أزهاره، ونبات من أوراقه، ونبات من جذوره، ونبات فيه دواء، ونبات فيه أصبغة، ونبات فيه مواد خفيفة كالفلين، ونبات فيه مواد نتعامل بها كالمواد الصلبة كالكوشوك، ونبات يعد أواني، ونبات يؤخذ منه الورق، لو ذهبت تبحث عن أنواع النبات لما وجدت من سبيل لإحصاء النبات، نبات حدودي بين البساتين، نبات يعد مسطحاً أخضر هذا بذور المرج، نبات ورود ورياحين، ونبات لإمتاع الإنسان، ونبات ليكون مظلة لك أمام البيت، فلما قال الله عز وجل:

(وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ)

[سورة الأنعام : 99]

تقريباً معظم حاجات الإنسان تتحقق من خلال النبات، لكن محور هذا اللقاء حول باحث من دولة عربية عرف بإنتاجه العلمي والعملي على المستويين العربي والدولي، اختصاصه في علم فزلجة النبات، وهو أستاذ جامعي له وزنه العلمي.

فزلجة النبات :

نحن عندنا فيزيولوجية، علم وظائف الأعضاء، عندنا تشريح المعدة وفيزيولوجية المعدة، وظيفة المعدة فيزيولوجية، أما تشريحها فتشريح، ومعلوم لديكم أن الطلاب في الطب في السنة الأولى يدرسون علومًا عامة، وفي الثانية التشريح، وفي الثالثة الفيزيولوجية، وفي الرابعة الأمراض، وفي الخامسة علم الأدوية، هذا هو المنهج.

هذا الأستاذ العلمي الذي له وزنه، اشتهر بتجاربه العلمية الرائدة، أما التجربة التي سنعرض لها فربما لا تصدقونها أيها الأخوة المستمعون، إلا أن الواقع أثبتها، ويؤكد هذا الواقع القرآن الكريم، إذ قال تعالى:

(تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ)

[سورة الإسراء: 44]

(وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ)

أي ما من شيء إلا يسبح بحمده.

تسبيح النبات للخالق العظيم :

قد يقول قائل: إن هذا التسبيح من إتقان الصنعة، فإذا نظرت لهذه الوردة قلت: سبحان الله! ليس هذا هو المعنى، لأن الآية تقول:

(تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً)

[سورة الإسراء: 44]

أي لها تسبيح خاص، فالنبات يسبح، وفي قوله تعالى:

(أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ)

[سورة النور: 41]

وفي آية ثالثة:

(هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)

[سورة الحشر: 24]

وفي آية رابعة:

(وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ*وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ)

[سورة الرحمن: 6-7]

هذه الآيات تؤكد أن للنبات تسبيحاً للخالق العظيم، وهناك بداية بحوث تؤكد أن للنبات حياة نفسية، لكن هذه التجربة تقع على رأس هذه المحاولات لاكتشاف الحياة النفسية للنبات.

النباتات كمخلوقات الله تشعر وتسمع وتستجيب :

النباتات كالأجرام السماوية، وكمخلوقات الله الأخرى تشعر، وتسمع، وتستجيب سلباً أو إيجاباً لما حولها من مؤثرات خارجية، هذا ملخص البحث.

وأمّا مفصّله فقد أجرى هذا الباحث في حديقة كلية العلوم تجربة عام 1997 فنصب أربعة بيوت بلاستيكية موحدة في حجمها، وزرع فيها قمحاً من نوع معين واحد، وملأها بكميات متساوية من التراب، وغرس فيها بذور الحنطة على عمق واحد، وتمّ تسميدها جميعاً بكميات متساوية من سماد معين، وسقيت جميعاً بذات العدد من السقيا، وبكميات متماثلة من الماء، العجيب أنه أراد التوحيد في كل شيء في الحجم، والتربة، ونوع البذار والسقيا، وزمن السقيا، ونوع السماد، ثم اختار إحدى طالباته لتقرأ السورة القرآنية التالية على أحد البيوت البلاستيكية، سورة يس، والفاتحة، والإخلاص، وآية الكرسي، مرتين في الأسبوع على البيت الأول، عندنا أربعة بيوت، أول بيت تلت طالبة من طالباته في الأسبوع مرتين سورة الفاتحة والكرسي والإخلاص ويس، وفي البيت الثاني كلف طالبة أن تأتي بنبات، وتمزقه أمام بقية النبات، وتعذبه، وتقطع أوصاله، وتذكر كلمات قاسية نابية أمام هذا النبات، كلام قاس، وناب، وتمزيق، وتعذيب لنبات أمام نبات، وكما قلت قبل قليل: مرتين في الأسبوع، وكلف طالبة ثالثة بضرب النبات الثالث، وكيّه، وتعريض وريقاته للقص، فهناك نبات عذب أمامه نبات، وهناك نبات تلقى التعذيب مباشرة، وهناك نبات قرأت عليه آيات القرآن الكريم، وأما البيت الرابع فترك ينمو نمواً طبيعياً، وأطلق عليه اسم البيت الضابط، فماذا كانت النتيجة؟ البيت الرابع هو المقياس، والأول سمع القرآن، والثاني لقي التعذيب، والثالث رأى التعذيب، النتيجة طبعاً هو وضع هذه التجربة قبل زمن من انعقاد مؤتمر علمي، فحينما قطف النتائج كان هناك علماء من شتى بقاع العالم، فماذا كانت النتيجة التي عرضها في مؤتمر علمي؟ أن نبات البيت الذي استمع للقرآن الكريم ازداد طوله أربعة وأربعين بالمئة من طول النبات الضابط في البيت الرابع، وازدادت غلته مئة وأربعين بالمئة من غلة البيت الرابع الضابط، أما البيت الثاني والثالث اللذان تحملا التعذيب ورؤيته فقد تدنى طول نباتهما خمسة وثلاثين بالمئة، وهبط إنتاجه إلى ثمانين بالمئة، وهذا تفسير علمي للبركة، فحينما يزرع المؤمن يقرأ القرآن بنفس طيبة، ويذكر الله دائماً فهذا الذكر أمام النبات يزيد في الغلة.

من يتعرف إلى الله يملك شفافية رائعة :

لكن يجب أن نعتقد أن لكل شيء خلقه الله في هذا الكون نفسًا تسبح الله بطريقة لا نعرفها، حتى الجمادات لها نفوس، لو درس الإنسان الفيزياء لرأى أن هذه المواد الجامدة فيها ذرات، فيها نواة،

وكهارب، ونيترونات، وحركة دائبة تدور حول هذه النواة، فكل شيء فيه حياة، فقال:

(تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً)

[سورة الإسراء: 44]

تروي السيرة أن النبي عليه الصلاة والسلام كان يخطب على جذع نخلة، فلما صنع له أصحابه المنبر حنت النخلة إليه، فكان يقف على المنبر، ويضع يده على النخلة إكراماً لها، فَعَنْ جَابِرَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ:

((كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا خَطَبَ يَسْتَنِدُ إِلَى جِذْعِ نَخْلَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ، فَلَمَّا صُنِعَ الْمِنْبَرُ، وَاسْتَوَى عَلَيْهِ اضْطَرَبَتْ تِلْكَ السَّارِيَةُ كَحَنِينِ النَّاقَةِ، حَتَّى سَمِعَهَا أَهْلُ الْمَسْجِدِ، حَتَّى نَزَلَ إِلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَاعْتَنَقَهَا، فَسَكَتَتْ))

[الترمذي عَنْ جَابِرَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ]

فالمؤمن حينما يتعرف إلى الله يملك ما يسمى بالشفافية، يتعامل مع المخلوقات تعاملاً فيه مشاركة، ومحبة، ومودة.

((عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ قَالَ: أَرْدَفَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَلْفَهُ ذَاتَ يَوْمٍ، فَأَسَرَّ إِلَيَّ حَدِيثًا لَا أُحَدِّثُ بِهِ أَحَدًا مِنْ النَّاسِ، وَكَانَ أَحَبُّ مَا اسْتَتَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِحَاجَتِهِ هَدَفًا، أَوْ حَائِشَ نَخْلٍ، قَالَ: فَدَخَلَ حَائِطًا لِرَجُلٍ مِنْ الْأَنْصَارِ، فَإِذَا جَمَلٌ، فَلَمَّا رَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَنَّ، وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَسَحَ ذِفْرَاهُ فَسَكَتَ، فَقَالَ: مَنْ رَبُّ هَذَا الْجَمَلِ ؟ لِمَنْ هَذَا الْجَمَلُ ؟ فَجَاءَ فَتًى مِنْ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: أَفَلَا تَتَّقِي اللَّهَ فِي هَذِهِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي مَلَّكَكَ اللَّهُ إِيَّاهَا: فَإِنَّهُ شَكَا إِلَيَّ أَنَّكَ تُجِيعُهُ: وَتُدْئِبُهُ))

[أبو داود، أحمد عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ]

((عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنِّي لَأَعْرِفُ حَجَرًا بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ، إِنِّي لَأَعْرِفُهُ الْآنَ))

[مسلم عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ]

هذا قبل البعثة.

تقنين الله لعباده تقنين تأديب وتربية :

المؤمن حينما تشف نفسه يتعامل مع من حوله في مستوى من المشاركة الوجدانية والمحبة، ولأن الإنسان أحب الله فيحب كل مخلوقاته، ومخلوقات الله عز وجل كلها في خدمته، لأنها مسخرة إليه.

مرة كنت في زيارة بستان في أطراف دمشق، وقد زرع صاحبُه بعضاً من مساحته بالقمح، أمسكت خمساً وثلاثين سنبلة من حبة قمح واحدة، حبة قمح أنبتت خمساً وثلاثين سنبلة، وعددت حبات سنبلة واحدة فوجدتها خمسين حبة، فكان المحصل ألف وسبعمئة وخمسين حبة من حبة، فهذا يبين أن فضل الله لا حدّ له، فأحياناً نزرع القمح في بلدنا الطيب، في بعض الأعوام مجموع إنتاج القمح بلغ ستمئة وخمسين ألف طن، في بعض الأعوام أربعة ملايين طن، فهذا عطاء الله عز وجل ليس له حدود.

فالعبرة أن نؤهل أنفسنا لهذا العطاء، لأن الله سبحانه وتعالى لا يعقل ولا يقبل أن يقنن تقنين عجز، نحن بني البشر إذا قننا فنقنن تقنين عجز، فنقطع الكهرباء والمياه، هذا من عجزنا، لكن الله عز وجل إذا قنن فيقنن تقنين تأديب.

مرت المنطقة بسنوات فيها شح بالأمطار، قرأت بحثاً عن سحابة في الفضاء الخارجي اكتشفت قبل أعوام يمكن أن تملأ محيطات الأرض ستين مرة في أربع وعشرين ساعة بالمياه العذبة، وهذا يؤكد قوله تعالى:

(وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ)

[سورة الحجر: 21]

وحتى نفهم ما يجري في الأرض من تقنين.

(وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ)

[سورة الشورى: 27]

فتقنين الله عز وجل لعباده أحياناً يعد تقنين تأديب وتربية، لا تقنين عجز وافتقار.

رحمة النبي بالحيوان :

من دلائل نبوته أيضاً أنه رأى إحدى أصحابه يذبح شاة أمام أختها، فغضب غضباً شديداً، قال:

((أتريد أن تميتها مرتين؟ هلا حجبتها عن أختها))

[ورد في الأثر]

هذه رحمة النبي بالحيوان صلى الله عليه وسلم.

02-مهمة النبات

أيها الأخوة، في هذه الخطبة لفتَ نظري في هذه الأسبوع مقالةٌ قرأتها عن بعض النباتات: أنّ بعض النباتات في الصّحراء مهمّتها الأساسيّة تخزينُ الماء، المسافر في الصّحراء ماذا يحتاج؟ إلى الماء بالدرجة الأولى، بعض النباتات في الأراضي القاحلة، وفي الأراضي الجافّة تستطيعُ أن تختزِنَ في جَوْفِها ما يزيدُ عن ثلاثة آلاف لترٍ من الماء، وأنّ الإنسان أو الحيوان يستطيعُ أن يأخذ حاجتهُ من الماء حينما يقْطَعُ بعض أطراف أغصانها، عندئذٍ ينسابُ إليه الماءُ العذبُ الزلال من هذا النبات الذي خُلِقَ خِصِّيصًا لِيَكون مُستوْدعًا لك في طريقك.

هذا نباتٌ يدْرسُهُ طلاّب الجامعة في الجامعة، ولهُ اسمٌ غريبٌ، لا يَعْنينا الاسم ولكن يعنينا المُسَمّى، هذه النباتات تختزنُ كمِّياتٍ كبيرة من الماء في نُسجٍ خاصّة، تُدعى هذه النّسج: النسيج المُدَّخِر للماء، في قلب أعضاء النبات هذا النسيج كالإسفنج، يختزنُ النبات في قلب أعضاء النبات، ويصلُ هذا المخزون في بعض الأحيان إلى ثلاثة آلاف لترٍ في فصْل الجفاف ، هذا خلقُ الله، خلقٌ تامّ، وخلقٌ كامِلٌ، كلُّ حاجات الإنسان مَوْفورة، أما الفساد؛ حينما نقطعُ الغابات، ونفسد صحراء، وحينما نلوّث المياه، وحينما نلوّث الجوّ تظهر الأمراض، وتظهر الحالات غير الصحيحة، إنّ موضوع التلوُّث موضوع خطير ينطبقُ تحت قوله تعالى:

(وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ)

[سورة البقرة الآية: 205]

03-انجذاب النبات

جاذبية النبات :

أيها الأخوة الكرام، أخٌ كريم من روّاد هذا المسجد، وهو أستاذٌ في الجامعة أهداني في الأسبوع الماضي كتاباً عن النبات، وهو كتابٌ مقرر في كلية العلوم، تصفحته قبل أيام، وجدت فيه العجب العجاب، في هذا الكتاب موضوعٌ معنونٌ بانجذاب النبات .

النبات ينجذب إلى ماذا؟ هل النبات يعقل؟ النبات ينجذب إلى الضوء، فلو وضعت نباتاً في غرفةٍ، ولهذه الغرفة نافذةٌ واحدة، ترى أن أغصان النبات، وأوراق النبات، تتجه إلى تلك النافذة التي يأتي منها الضوء .

لكن الأدق من ذلك أن أوراق الشجر تنتظم بشكلٍ رائع بحيث تواجه كلُّها أشعة الشمس، فقلّما تتداخل أوراق الأشجار فيما بينها، وإذا تداخلت ففي حدٍ أدنى من التداخل، لا بدَّ من أن تتجه أوراق الأشجار جميعها إلى أشعة الشمس، من أودع في هذا النبات هذه الخاصة؟ الله عز وجل .

شيءٌ آخر؛ جاؤوا بنباتٍ ووضعوه بشكلٍ أفقي في أنبوب، فإذا بالجذر يتجه نحو الأسفل، وبالساق يتجه نحو الأعلى، الجذر يتجه نحو الرطوبة والماء، والساق يتجه نحو الشمس والهواء، ما الذي جعل هذا النبات بجزئيه، جزءٍ يتجه نحو أشعة الشمس، وجزءٍ يتجه نحو الأرض؟ الله عز وجل .

أيها الأخوة الكرام، هو أنَّ جذور النبات تتجه نحو الماء، وهناك أشجارٌ يصلُّ طول جذورها إلى ثلاثين متراً بحثاً عن الماء، من أودع في النبات هذه الخاصة؟ الساقُّ يتجه نحو الأعلى، والجذر يتجه نحو الأسفل، فلو كان الماء في طرفٍ في التربة دون طرف لاتجهت الجذور نحو الماء وهي في باطن الأرض، ولو كان الساق متجهاً نحو الأعلى، وكان الضوء من جهةٍ أخرى أي من جهةٍ واحدة، لاتجهت الأغصان نحو الضوء، هل المادة عاقلة؟ إنَّ ظاهرة النبات وحدها تلفت النظر، إنَّ ظاهرة النبات وحدها تعدُّ آيةً من آيات الله، وحدها الدالة على عظمته، الانجذاب نحو الضوء، والانجذاب نحو الأرض للجذور، ونحو السماء للفروع، والانجذاب نحو الماء .

كيف يستهلك النبات الماء، وعلام تدل هذه الظاهرة ؟

أيها الأخوة، فهناكَّ ظاهرةٌ في النبات يقشعر منها الجلد؛ وهي أنَّ النبات إذا عطش ينبغي أن يستهلك ماء الجذور، ولكنه لا يستهلك إلا ماء الأوراق، وبعد أن يستهلك ماء الأوراق يستهلك ماء الأغصان، وبعد أن يستهلك ماء الأغصان يستهلك ماء الفروع، وبعد أن يستهلك ماء الفروع يستهلك ماء الجذع، وبعد أن يستهلك ماء الجذع يستهلك ماء الجذور، وآخر ماءٍ يستهلكه النبات حينما يمنع من الري ماء الجذور، فقد ينسى الفلاح أن يسقي الشجرة أياماً كثيرة، وقد تشحُّ السماء بماء الأمطار، لكنَّ هذا النبات لا يستهلك إلا الماء الذي لا يضرُّ وجوده، آخر ماءٍ يستهلكه النبات، ماء الجذور، فإذا استهلك ماء الجذور، ويبست الجذور، يبس النبات ومات، أية حكمةٍ وراء هذه القاعدة، كما قال الله تعالى:

(قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ)

[سورة يونس الآية: 101]

كلُّ شيءٍ في الأرض يدلُّ على عظمة الله، ويدلُّ على حكمة الله، ويدل على علم الله ، ويدلُّ على رحمة الله، ويدلُّ على فضل الله عزَّ جلَّ .

اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين .

من آيات الله في الأرض :

أيها الأخوة المؤمنون، نحن في فصل الربيع، وما من واحدٍ إلا ورأى بأمِّ عينه الأرض وقد ازدانت، وارتدت حلّةً قشيبة، الأشجار مزدهرة، وبعضها قد أورق، والأرض بساطٌ أخضر جميل، فهل تفكَّرنا في هذه الآية الكريمة التي أشار الله إليها؟ يقول سبحانه وتعالى:

(وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِراً نُخْرِجُ مِنْهُ حَبّاً مُتَرَاكِباً وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)

[سورة الأنعام الآية: 99]

أن تصبح الأرض مخضرَّة، هذه من آيات الله، أن تصبح هذه الشجرة، وقد ارتدت هذه الحُلَّة القشيبة، هذه من آيات الله، أن تنبت أنواع الأزاهير، هذه من آيات الله .

خطيئة الإنسان :

يقول الله سبحانه وتعالى أيضاً:

(فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ * أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبّاً * ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقّاً * فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبّاً * وَعِنَباً وَقَضْباً * وَزَيْتُوناً وَنَخْلاً * وَحَدَائِقَ غُلْباً * وَفَاكِهَةً وَأَبّاً * مَتَاعاً لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ)

[سورة عبس الآية: 24-32]

فهذا الذي يذهب إلى نزهةٍ في هذه الأيام، ولا يعنيه إلا أن يستمتع بالمناظر الجميلة، من دون أن يسبِّح الله سبحانه وتعالى، ومن دون أن يرى في هذا الفصل، آية كبرى دالّةً على عظمة الله عزَّ وجل، فهو إنسانٌ غافل .

إليكم هذه الإشارة من القرآن من أجل أن تلفت نظر الإنسان إلى العلة الغائية :

في القرآن الكريم آيةٌ تلفت النظر، يقول الله سبحانه وتعالى:

(الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَاراً فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ)

[سورة يس الآية: 80]

قد يسأل سائل: هذا الشجر الأخضر لا يحترق، لا يحترق الشجر إلا إذا كان يابساً، فكيف يقول الله سبحانه وتعالى:

(الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَاراً فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ)

[سورة يس الآية: 80]

اكتشف العلماء، أن الخلية الخضراء الواحدة، تقوم ببناء عشرين مركب عضوي في دقيقة واحدة، إذا عُرضت لأشعة الشمس، فالنبات يتغذّى بالماء، وبعض المواد المعدنية، وبعض المواد العضوية، وأكثر ما يأخذ من الهواء غاز الفحم، الذي يسهم في تكوين بنية النبات، إن بنية النبات لا كما يتوهَّم الإنسان، تتأتّى من التراب، بل إنما تتأتّى من المعمل العظيم الذي أودعه الله في الأوراق الخضر، لولا الورق الأخضر، لما كان النبات، لولا أن هناك عمليّاتٍ بالغة التعقيد، تجري في الخلية الخضراء، لما كان النبات، فكأنَّ الله سبحانه وتعالى، حينما قال:

(الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَاراً)

[سورة يس الآية: 80]

أشار إلى أنَّه لولا الأوراق الخضراء في النبات لما كان الشجر، هذه الصفة مترابطةٌ مع الموصوف ترابطاً وجودياً، لولا عمليات البناء التي تجري في الورقة الخضراء، إذا تعرَّضت لأشعَّة الشمس والهواء لما كان النبات، لو زرعنا نباتاً في ظلامٍ لما نبت، لو لم يتعرَّض النبات لأشعة الشمس لا ينمو، فهذه الأشجار الباسقة، وهذه الجذوع الكبيرة التي تزن بالأطنان، إنما هي نتيجةٌ لتفاعلٌ دقيقٍ دقيق، يجري في أوراق الأشجار، هذا السؤال يرد: كيف يقول الله سبحانه وتعالى:

(الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَاراً)

[سورة يس الآية: 80]

الشجر الأخضر لا يحترق، ولكن الشجر اليابس هو الذي يحترق، لكنَّ هذا إشارةٌ إلى أن هذا الشجر، ما كان له أن يكون شجراً، لولا أن الله سبحانه وتعالى زوَّده بهذه المعامل التي لا تعدُّ ولا تُحصى، إن كلَّ خليةٍ في كلِّ ورقةٍ معملٌ، ينتج المواد العضوية التي تسهم في نمو النبات، وفي ازدياد حجمه، هذه آيةٌ من آيات الله .

اقتد بنبيك أيها المسلم :

يقول النبي عليه الصلاة والسلام:

((أمرت أن يكون صمتي فكراً، ونطقي ذكراً، ونظري عبرةً))

إذا تنزَّه الإنسان في هذه الأيام، لا ينبغي أن يكون غافلاً عن آيات الله عزَّ وجل:

(وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ)

[سورة يوسف الآية: 105]

(فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ)

[سورة عبس الآية: 24]

هذه الشجرة، تراها في الشتاء حطباً، يأتي الربيع، من أين جاءها الزهر؟ بعد الزهر، تأتي البراعم، بعد البراعم، تأتي الأوراق، فعل من؟ يد من؟ وإذا رأيت النبت في الصحراء يربو وحده، فاسأله: من أرباك؟ .

05- اليخضور في النبات.

إليكم مضمون هذه الكلمة:

أيها الأخوة الأكارم:

قرأت مرةً كلمةً في كتاب علمي، يقول مؤلف هذا الكتاب وهو يتحدث عن النبات: إن أعظم معمل صنعه الإنسان لا يرقى إلى ما يجري في داخل الورقة الخضراء، إن الورقة الخضراء في النبات معمل يُعد أعظم معمل صنعه الإنسان تافهاً أمامه، ماذا في الورقة؟.

أيها الأخوة الأكارم:

في الورقة مادة اسمها: اليخضور، إذا تعرضت هذه المادة لأشعة الشمس تحولت جزيئات اليخضور إلى مفاعل حراري جبار، يقوم بشطر جزيئات الماء التي في الورقة، وإذا انشطرت جزئيات الماء التي في الورقة، تحللت إلى أوكسجين، وإلى هيدروجين، وفي المناسبة لو أردنا أن نشطر نحن بالوسائل المادية جزيئاً من الماء إلى الهيدروجين والأوكسجين، لاحتجنا إلى طاقة تساوي تسخين الماء ألفين وخمسمئة درجة.

أيها الأخوة الأكارم:

تقول بعض الإحصائيات العلمية: أن المجموع الخضري في الأرض يحول مائة بليون طن من الفحم مع خمس وعشرين بليون طن من الهيدروجين إلى مواد غذائية، وإلى مائة بليون طن من الأوكسجين، من أجل أن يبقى الهواء ذا نسب نظامية من حيث الأوكسجين والآزوت وغاز الفحم، الإنسان يتنفس الأوكسجين باستمرار وكذلك النبات والحيوان، فكيف تبقى النسبة ثابتة؟ إن مائة بليون طن من الفحم مع خمسة وعشرين بليون طن من الهيدروجين، تصنع أعداداً لا حصر لها، من الثمار والخضار والفواكه

والحبوب والقمح والشعير والمواد الغذائية، ومائة بليون طن من الأوكسجين، فالمعادلة ماء مع ثاني أوكسيد الكربون، مع اليخضور، مع أشعة الشمس، ينتج المواد الغذائية على اختلاف أنواعها والأوكسجين.

أيها الأخوة الأكارم:

من الثابت أن الطاقة التي تنتجها عمليات التحليل اليخضوري تساوي عشرة أضعاف الطاقة التي يستهلكها الإنسان في العالم كله، الطاقة التي ينتجها المجموع الخضري في الغابات، وفي المساحة الخضراء في العالم، يتعادل عشرة أضعاف الطاقة التي يستهلكها الإنسان كل عام، فأوراق شجرة واحدة متوسطة العمر، تصنع في الساعة الواحدة كيلو غرام من المواد الغذائية، حملت هذه التفاحة التفاح بمعدل كيلو غرام في الساعة، ويتحول هذا الناتج الغذائي في أثناء الليل إلى سكر يغذي النبات، أو يخزن على شكل نشاء احتياطي في النبات، قال الله تعالى:

(الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَاراً فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ)

[سورة يس الآية: 80]

وكلمة أخضر تفيد اليخضور، لأن هذه الورقة في كل شجرة معمل عظيم، يؤدي عملاً جباراً، لا يستطيع الإنسان تصوره.

06-البذور وأنواعها.

ما اسم الكائن الحي الموجود في البذرة ؟

أيها الأخوة المؤمنون، جعل الله سبحانه وتعالى جلّت حكمته البذرة أساساً لحياة النبات ، وأساساً لتكاثره، ففي البذرة عالمٌ كبير، لو اطلعنا عليه لخشعت قلوبنا، ولانهمرت دموعنا .

يا أيها الأخوة المؤمنون، يتباين حجم البذرة من جوزة الهند الكبيرة التي هي بذرة إلى بذارٍ، يزيد عددها في الغرام الواحد عن سبعين ألف بذرة فهي كالغبار، لكن القاسم المشترك بين كل البذور، أن في كلِّ بذرةٍ كائناً حياً، إنه الرُشيم، ولهذا الكائن الحي غذاءٌ مدروسٌ، ومحدودٌ، وموزونٌ، يكفي هذا الرُشيم حتى ينبت له جذيرٌ وسويق .

أحضر بعض حبَّات الفاصولياء، أو الحمص، وضعها على قطنٍ مبلل، وانظر كيف أنَّ هذا الرشيم الحي ينمو إلى سويقٍ، وإلى جُذير، ويكفي حجم الحمصة لتغذية هذا الرشيم، إلى أن يصبح الجذر قادراً على مصِّ الغذاء من التربة؟ .

أنواع البذور :

أما الشيء الذي يأخذ بالألباب، أن هذه البذور لها أحوالٌ شتَّى: بعض هذه البذور مجنحة، لها أجنحة تطير مئات الكيلو مترات، فتنقل الاخضرار من بلدٍ إلى بلد، يحملها الهواء ، ويقطع بها مئات الكيلو مترات، لتزرع زراعةً طبيعية في أراضٍ رطبةٍ، فتنبت الأشجار ذات البهجة والجمال .

وبعض هذه البذور، لها زغبٌ كزغب الصوف، تطير أيضاً في الهواء، ولكن لمسافاتٍ قصيرة .

ومن البذور، ما لها غلافٌ عازلٌ، لا تتأثر بالماء، تنتقل عبر الأنهار، وعبر السيول ، من مكانٍ إلى آخر .

وإن من البذور، من لها أشواكٌ، تلتصق بفراء بعض الحيونات، لتنتقل من مكانٍ إلى مكان .

وإن من البذور من لها مادةٌ لاصقة، تلتصق بأرجل بعض الطيور، لتنتقل عبر هجرتها، من بلادٍ إلى بلاد .

وإن من البذور، ما هي مودعةٌ في غلافٍ، ينفجر في بعض الظروف الطبيعية، فإذا انفجر هذا الغلاف، تناثرت البذور .

وإن من البذور، ولا سيما البذور الرعوية، ما هي موضوعةٌ في محفظة، والمحفظة فوق لولب، فإذا وقع اللولب على الأرض، ساهمت الريح في غرسه في الأرض، ثم تنتقل البذور عبر هذا اللولب إلى باطن التربة، وهذا يتمُّ مباشرةً من دون تدخل وسيط من بني آدم .

الشيء الذي لا يصدق، أن بعض النباتات الرعوية التي تنمو في الصحراء، أو تنمو في البادية، يزيد طول جذرها عن سبعة عشر متراً نحو أعماق الأرض، لتمتص الرطوبة منها.

إن لهذه النباتات زغاباتٌ تلتقط الرطوبة من الجو، هذا خلق الله، فأروني ماذا خلق الذين من دونه؟ بذورٌ لها أجنحة، وبذورٌ لها زغابات، وبذورٌ لها غلافٌ عازلٌ للماء، وبذورٌ لها أشواك، وبذورٌ فيها مادةٌ لاصقة، وبذورٌ مودعةٌ في كيسٍ ينفجر في بعض الأحيان، وبذورٌ تضرب جذورها إلى أبعادٍ كبيرة كي تأخذ الرطوبة .

يا أيها الأخوة المؤمنون، البذار وحده آيةٌ كبرى من آيات الله، لذلك عبادة التفكر لا بدَّ منها كي نعرف الله سبحانه وتعالى .

07-البذور وتحملها لعوامل التعرية

سؤال طرح :

أيها الأخوة الأكارم، من آيات الله الدالة على عظمته أنك ترى الأرض قاحلة، أنك ترى الأرض جرداء، أنك ترى الأرض تراباً ليس غير، ويمضي على ما هي عليه سنوات تلو سنوات، سنوات سبع، أو سنوات عشر، ولا ترى في هذه الأرض إلا الرمال، ولا ترى في هذه الأرض إلا التراب، فإذا جاءتها الأمطار الغزيرة أنبتت النباتات، والأزهار، والأعشاب، وما تحار به العقول، ألم يخطر في بالك هذا السؤال؟ هذه السنوات العشر التي كانت فيها الأرض جرداء، من أين جاءتها البذور فأنبتت هذه النباتات؟ سؤالٌ وجيه، لم يلق أحد فيها البذور حتى أصبحت جنة خضراء، من ألقى فيها البذور؟ وإذا كانت قد ألقيت فيها البذور من قبل، لماذا لم تمت البذور؟ هنا السؤال، وهنا الآية .

أيها الأخوة الأكارم، تتأثر الصخور الصلبة القاسية بعوامل التعرية من رياح، وأمطار، وحر، هذه تجعل الصخور تراباً، تفعل عوامل التعرية فعلها في الصخور، تفعل فعلها في الجبال، تفعل فعلها في مجاري الأنهار، وهذه البذور التي أودعها الله في الأرض ألا تؤثِّر فيها عوامل التعرية؟! .

قال العلماء: إن البذور قد صمِّمت تصميماً يجعلها في منجاةٍ من عوامل التعرية، تبقى مع التراب سنواتٍ تلو سنوات ولا تراها عينك، ويصيبها حرٌ وقر، رياحٌ شديدة، طقسٌ قاسي صقيعٌ شديد، تبقى هذه البذور محافظةٍ على حياة رُشيْمها، وعلى الغلاف الرقيق الذي يحيط بالرُشيم، وعلى الجُذير، وعلى السُويق، وعلى محفظة الغذاء سنواتٍ طويلة، تأتي الأمطار بعد هذه السنوات، فإذا الأرض خضراء، وإذا الأزهار فوَّاحة الرائحة، وإذا الألوان مشرقة ومتناسبة، أين كان كلُّ هذا؟ كان كل هذا في البذور التي جعلها الله في منجاةٍ من عوامل التعرية التي تؤثِّر في الصخور .

إليك بعض هذه الأمثلة حتى تزداد يقيناً بعظمة الخالق من خلال نعمائه :

مثلٌ قريب، جهَّز الله سبحانه وتعالى المعدة بحمضٍ من أشدِّ الحموض تأثيراً، إنه حمض كلور الماء، إذا تناولت لحماً قاسياً، هذا اللحم القاسي من أقسى اللحوم، هذا الحمض الذي في المعدة كفيلٌ بأن يجعله سائلاً كالحليب .

هناك تجارب أجريت، وضعت قطعةٌ من اللحم القاسي في كرةٍ مثقَّبة، وأطعمت لبعض الحيوانات، وبعد أن ذبح الحيوان، والتقطت الكرة، لم يجد العلماء فيها اللحم الذي كان فيها، نفذت العصارات الهاضمة إلى الكرة الحديدية وأذابت اللحم، هل أساسها عملية الهضم حركةٌ ميكانيكية، أم أساسها

عصاراتٌ كيماوية؟ كلاهما ذو دور، ولكن إذا استعصى طعامٌ على الهضم الميكانيكي تأتي العصارات الكيميائية فتجعله كيلوساً، والكيلوس هو السائل، فكل الأطعمة التي تأكلها مهما تكن صلبةً تغدو بفعل هذه الخمائر، وهذه الأحماض سائلاً سهلاً، صالحاً للامتصاص، ولكن أنواعاً كثيرةٌ من البذور التي تأكلها مع الفواكه تخرج كما دخلت، ولا تستطيع أنواع العوامل الميكانيكية في المعدة، ولا العوامل الكيماوية أن تؤثّر فيها .

هذه آيةٌ من آيات الله عزَّ وجل، أن الله عزَّ وجل زوَّد البذور بحصانةٍ تجعلها في منجاةٍ من أي تأثيرٍ ميكانيكيٍّ، أو أي تأثيرٍ كيماوي، هذه آية من آيات الله عزَّ وجل، ولا تنسوا أن العلماء استخرجوا من الأهرامات المصرية قمحاً، خزن فيها قبل ستة آلاف عام، وزرع القمح، ونبت القمح .

فهذا الرُشيم الصغير الحسّاس أودع الله فيه الحياة، وزوَّده بقشرةٍ رقيقة فيها غذاؤه وزوَّده بسويقٍ وجُذير، بقيت هذه الحياة الدقيقة اللطيفة التي أودعها الله في الرُشيم ستة آلاف عام دون أن تمسَّ بأذى، قال تعالى:

(هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ)

[سورة لقمان الآية: 11]

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)

[سورة البقرة الآية: 21]

08- قشرة القمح وصحتك

أيها الإخوة المؤمنون... تنفيذاً لقوله تعالى:

(فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ (24))

(سورة عبس)

ويأتي في رأس قائمة الطعام ، القمح ، هذا المحصول الذي خلقه الله سبحانه وتعالى ينبت في كل الفصول ، وفي كل المرتفعات ، في السهول ، وفي الجبال ، وفي البوادي ، وفي الأغوار ، وفي المناطق الحارة، والمناطق الباردة ، جعله الله سبحانه وتعالى ينمو في كل الظروف لأنه غذاءٌ أساسي.

يقول العلماء عن هذه القمحة: إن لها غلافاً خارجياً لا يزيد وزنه إلى وزنها ، عن تسعةٍ في المئة ، غلاف خارجي.

وهو ما يسميه العوام: نخالة ، وهناك طبقة رقيقة ، تحت الغلاف الخارجي ، لا يزيد وزنه إلى وزن القمحة عن ثلاثةٍ بالمئة ، وهناك الرُشيم، جنين القمحة ، الذي ينبت إذا جاءته الرطوبة، والهواء ،

والشمس، لا يزيد وزن هذا الجنين عن أربعةٍ بالمئة ، وبعدها يأتي لبٌّ القمح ، وهو مادةٌ من النشاء.
الذي يلفت النظر ، أن الرشيم ، يعدُّ أغنى أجزاء القمحة بالفيتامينات ، يليه في الأهمية، قشر القمح ، أي النخالة ، ففي هذا القشر، فيتامين ب 1 ، وفيتامين ب 2 ، وفيتامين ب 3 وفيتامين ب ب ، وفي هذه القشرة فوسفور ، وهو غذاءٌ للدماغ ، والأعصاب ، وفي هذه القشرة، حديد، يهب الدم ، القوة ، والحيوية ، والأوكسجين ، وفي هذه القشرة الكالسيوم، والكالسيوم مادةٌ أسياسية، لبناء العظام ، وقوة الأسنان ، وفي هذه القشرة السيليكون ، وهو الذي يقوِّي الشعر ، ويزيده قوةً ، ولمعاناً ، وفي هذه القشرة اليود ، وهو الذي يعدِّل عمل الغدة الدرقية ، ويضفي على آكله السكينة والهدوء ، وفي هذه القشرة البوتاسيوم ، والصوديوم ، والمغنزيوم ، وهذه كلها تدخل في تكوين الأنسجة ، وفي بنية العصارات الهاضمة ، هذه المواد موجودة كلها في قشر القمح الذي ننزعه ونطعمه للدواب ، وهذه من مفارقات الحياة ، إن هذا الخبز الأبيض اللذيذ ، ليس هو إلا غراءٌ جيدٌ للمعدة.
تقدم في المطاعم في بعض الدول ، مع الوجبات هذه القشور محمَّصةً ، مدعَّمة بالسكر ، كي يأكلها الإنسان ، فيعوِّض ما فاته من الخبز الأبيض النقي ، كلُّ هذه المعادن ، وكل هذه الفيتامينات موجودةٌ في قشر القمح ، ولذلك كان أجدادنا يأكلون القمح مع قشره ، ولو أن له منظراً أسمر اللون ، خشن القِوام ، لكن فيه فائدةً لا تقدَّر بثمن ، إن معظم الأمراض التي يشكوا منها أهل العصر ، هي بسبب خطأٍ كبيرٍ في التغذية.
وحينما خلق الله سبحانه وتعالى القمح ، خلقه غذاءً مثالياً كاملاً ؛ فيتامين ، فوسفور ، حديد ، كالسيوم ، سيليكون ، يود ، بوتاسيوم ، صوديوم ، مغنزيوم ، كل هذه في القشرة.
إذا غُليت هذه القشور ، كانت مهدئة للسعال ، والزكام ، وإذا شرب هذا المغلي ، كانت قابضاً للأمعاء ، وإذا شرب أيضاً كان دواءً لتقرحات المعدة ، وللزحار ، وإذا شرب كان غذاءً للجلد ، ووقاية له من أمراض الجلد ، وفي رأسها ، الأكزما.
أيها الإخوة المؤمنون... كلُّ هذا الخير ، من قشر القمح ، لذلك يشتري قشر القمح ، وينظفه، ويأكله مع الخبز ، ليتلافى النقص الحاصل ، في الخبز الأبيض ، الخالي من قشر ، القمح ، هذه بعض الحقائق ، التي هي في العالم الآن من المسلمات.
فلذلك جزءٌ من الدين أن يعرف الإنسان ماذا يأكل ؟ وكيف ينبغي أن يأكل ؟ لأن صحتك ليست ملكك وحدك ، إنها ملك أسرتك أولاً ، وملك مجتمعك ، وملك المؤمنين جميعاً ، بل ملك المسلمين ، وإن رأس مالك في الدنيا هذه الصحة ، إنك بالصحَّة تعبد الله ، وبالصحة تدعو إلى الله ، وبالصحة تحقق وجودك على الأرض وتؤدي رسالتك.

فلذلك يجب أن يعلم الإنسان ، أن أكثر أمراض العصر إنما هي أخطاءٌ فاحشة من سوء التغذية ، أو من تغيير التصميم الإلهي للغذاء الذي صممه الله لنا.

09- الحبة السوداء

إليكم تفسير القدماء من أهل العلم لهذا الحديث، وما فسره أهل الطب:

أيها الأخوة الكرام، أحد وجوه الإعجاز في الحديث الشريف ما يُسمى: بالسبق العلمي، ففي صحيح البخاري، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ:

((عَلَيْكُمْ بِهَذِهِ الْحَبَّةِ السَّوْدَاءِ، فَإِنَّ فِيهَا شِفَاءً مِنْ كُلِّ دَاءٍ إِلَّا السَّامَ، وَالسَّامُ الْمَوْتُ))

[أخرجه البخاري في الصحيح]

حديث صحيح من قول النبي عليه الصلاة والسلام، والنبي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، كيف فسره العلماء السابقون؟.

قالوا: جاء في فتح الباري من كل داء، قالوا: هو من العام الذي يراد به الخاص، أي ليس من المعقول أن تشفي الحبة السوداء من كل الأمراض، حتى العسل الذي قال تعالى عنه فيه شفاء للناس لا يرقى إلى هذا، لم يقل فيه الشفاء للناس، وهو نص قرآني.

ابن العربي، قال: العسل أقرب إلى أن يكون دواءً من كل داء من الحبة السوداء التي فيها شفاء للناس، وهذا شيء محير.

إلى أن جاء عالمان كبيران من علماء الطب يعملان في أرقى جامعات العالم، وجدا هذان العالمان في الحبة السوداء ما يقوي الجهاز المناعي في الإنسان، والجهاز المناعي متعلق بكل الأمراض، ولا سيما الجرثومية والسرطانية، فكلما قوي الجهاز المناعي قويت قدرة الإنسان على مكافحة الأمراض التي أساسها جرثومي، والأمراض التي أساسها مناعي.

توصل هذان الطبيبان عن طريق المخبر إلى أن استعمال غرام واحد من الحبة السوداء مرتين يومياً لمدة أربعة أسابيع، يؤدي إلى زيادة فاعلية الخلايا اللمفاوية خمساً وخمسين بالمائة، الخلايا اللمفاوية فيها خلايا مصنعة للسم الخلوي؛ المصل المضاد، فالخلية اللمفاوية حينما يأكل الإنسان غراماً واحداً من حبة البركة مرتين يومياً لمدة أربعة أسابيع، هذه الخلايا اللمفاوية المكلفة بتصنيع المصل المضاد السلاح الجرثومي، تزداد فعاليتها خمساً وخمسين بالمائة، تزداد فعالية الخلايا المقاتلة التي مهمتها قتل الجراثيم عند تناول هذه الكمية من الحبة السوداء بأربع وسبعين بالمائة من طاقتها الأساسية.

لذلك لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

10- منافع الزنجبيل

إليكم أسماء الأعشاب التي وردت في آيات القرآن الكريم :

أيها الأخوة الكرام، أخ طبيب جمع الآيات التي وردت في القرآن الكريم، والتي ورد فيها أسماء الأعشاب التي تصنَّف تحت باب التوابل، فرأى ثلاث مواد وردت في القرآن الكريم:

المادة الأولى؛ هي الزنجبيل في قوله تعالى:

(وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْساً كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلاً)

[سورة الإنسان الآية: 17]

والعنصر الثاني؛ هو المسك في قوله تعالى :

(خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ)

[سورة المطففين الآية: 26]

والعنصر الثالث؛ هو الكافور في قوله تعالى:

(إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً)

[سورة الإنسان الآية: 5]

إليكم ما كتب عن الزنجبيل في كتب الطب القديمة والحديثة :

اليوم نتحدَّث عن الزنجبيل، هذا الأخ الطبيب قرأ كل ما كتب عن الزنجبيل في كتب الطب القديمة، وقرأ سبعة بحوث علميّة صدرت عن مراكز علمية محترمة جداً في العالم، ولها وزنها، وقد أشار في مقالته إلى أسماء البحوث التي صدرت حول هذه المادة، فكان الشيء الذي لا يصدَّق .

الزنجبيل كما ورد في كتب الطب القديمة؛ مسخّنٌ للجسم، معينٌ على الهضم، مليّنٌ للبطن، مطهّرٌ ومقوّي، ينفع الزنجبيل في التهاب الحنجرة والرشح، ومسكنٌ قويٌ لالتهاب المفاصل، ومسكنٌ قويٌ للمغص المعوي، ومضادٌ للغثيان، خلاصته المائية دواءٌ جيّدٌ لأمراض العين، هذا ورد في الكتب القديمة.

في الأبحاث الحديثة التي أجراها علماء لا يعرفون أن هذه المادة وردت في القرآن الكريم، ماذا قالوا؟:

قالوا: الزنجبيل موسّعٌ للأوعية، منعشٌ للقلب والتنفُّس، مقويٌّ لتقلص عضلة القلب، أي أنه مماثلٌ تماماً لمادة للديكوكسين، يمنع تجمُّع الصفيحات الدموية .

إذاً: هو مميعٌ للدم، يفيد في أمراض الجلطات الدماغية والقلبية وخثرات الأطراف، يخفّض من ارتفاع الضغط الدموي، وخافضٌ للكولسترول .

وحدة الترابط بين ما جاء به القرآن الكريم وبين ما أثبته العلم قديماً وحديثاً في المنافع الطبية:

أيها الأخوة، لو التفت الأطبّاء إلى تقصّي العناصر التي وردت في القرآن الكريم، هذا الأخ الطبيب جمع كل ما قيل عنه في الكتب القديمة، وفي البحوث الحديثة وأثبتها في مقاله، فلما اطلعت عليها وجدت أن في القرآن الكريم كنوزاً لا نعرف مقدارها إلا أن نبحث، وأن ندرس .

فهذا الكون فيه كلُّ شيء، وأفضل دواء ما كان نباتياً ليس له تأثيرات جانبية، أكثر الأدوية التي نأخذها أدوية كيماوية تنفع من جهةٍ، وتفسد من جهةٍ أخرى، ولو درست الأعشاب دراسةً مستفيضة علمية .

هناك مؤتمر عقد في مصر من أجل الحبة السوداء، وظهرت أشياء لا يصدِّقها العقل ، النبي عليه الصلاة والسلام، قال:

((فَإِنَّ فِيهَا شِفَاءً))

[أخرجه الترمذي عن أبي هريرة في سننه]

الحبة السوداء، ثم اكتشف أنها تقوي جهاز المناعة في الجسم، ومتى قوي جهاز المناعة قوي على كل الأمراض التي تجتاح الجسم، فالذي ذكره النبي عن الحبة السوداء، وعن العسل، وما ذكره القرآن عن الزنجبيل، هذا كلُّه مما يلفت النظر .

11- التمر

ما هي الأسباب التي تعين المرأة الحامل على تيسير ولادتها ؟

1- الحالة النفسية المطمئنة :

أيها الأخوة المؤمنون، آيةٌ قرآنية في سورة مريم، وفي قصة السيدة مريم بالذات، كلماتٌ ثلاث، يكشف الطب الحديث، أنها أساس الولادة الميسَّرة، يقول الله تعالى مخاطباً السيدة مريم:

(وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً * فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْناً فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَداً فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيّاً)

[سورة مريم الآية: 25-26]

أما كلمة: (قري عيناً) استنبط العلماء من هذه الآية: أن الحالة النفسية للمرأة قُبَيْل الولادة، لها علاقةٌ وشيجة بتيسير الولادة، إذا كانت المرأة مطمئنة، قريرة العين، هادئة البال، ليس هناك مشكلة في البيت، زوجها يكرمها قبيل الولادة، إن حالتها النفسية المريحة، وطمأنينتها، وقرَّة عينها، إنه عاملٌ أساسيٌ في سهولة ولادتها، فأي اضطرابٌ نفسي، وأية أزمةٍ عاطفية، وأية مشاجرة بين الزوجين، والمرأة على وشك الولادة، إنها تعيق الولادة، وربما اضطرت المرأة إلى إجراء ولادةٍ عسرة، هذا ما استنبطه العلماء من هذه الآية، قال تعالى:

(فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْناً)

[سورة مريم الآية: 26]

2- الرطب :

أيها الأخوة، أما كلمة (كلي)، ولحكمةٍ بالغة أن الله سبحانه وتعالى، يقول:

(وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً * فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْناً)

[سورة مريم الآية :25-26]

من أغرب الكشوف العلمية؛ أن في الرطب مادةً تعين على انقباض الرحم، جوف الرحم كما تعلمون، من اثنين ونصف سنتيمتر مكعب، إلى سبعمئة وخمسين سنتيمتر مكعب، أي اثنين ونصف سنتيمتر مكعب قبيل الحمل، وفي أوج الحمل يزيد جوف الرحم عن سبعمئة وخمسين سنتيمتر مكعب، وهذا الجنين، وتحته المشيمة، والمشيمة موصولةٌ بشرايين الأم، فإذا نزل الجنين من رحم الأم، وتبعته

المشيمة، تقطَّعت هذه الشرايين، هذه الشرايين مفتوحة، لو بقيت مفتوحة لنزفت الأم وماتت، لذلك ربنا سبحانه وتعالى لحكمةٍ بالغة، يجعل الرحم تنقبض انقباضاً شديداً إلى درجة أن قوام الرحم يصبح قاسياً كالصخر، فإذا وضعت القابلة يدها على الرحم ورأته قاسياً، تطمئنُّ إلى أن الولادة صحيحة، في التمر، وفي الرطب مادةٌ تعين على انقباض الرحم، لذلك وردت كلمة الرطب في آية المخاض، قوله تعالى:

(وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً * فَكُلِي)

[سورة مريم الآية :25-26]

من فوائد الرطب أيضاً للمرأة الحامل على وشك الوضع:

إن في الرطب مادة تعين على انزلاق النفايات في الأمعاء الغليظة، مادة منظفة ومليِّنة، وما من امرأةٍ على وشك أن تضع إلا ويحرص الطبيب أو القابلة على أن تكون أمعاءها خالية من كلِّ شيء، لئلا يعيق امتلاء الأمعاء خروج الجنين من الرحم .

شيء آخر، الطلق عملية مجهدة، فالقلب أحياناً يزيد ضرباته من مئة ضربة في الدقيقة، أو من ثمانين ضربةٍ في الدقيقة، إلى مئة وثمانين ضربةٍ في الدقيقة، ليواجه هذه التقلُّصات العنيفة، فالقلب يحتاج إلى غذاء، والحركات العضلية تحتاج إلى غذاء، لذلك التمر لا يستغرق تمثُّله أكثر من عشرين دقيقة من الفم إلى الدم مباشرة، فهو أسهل مادةً للهضم، ولتحوِّلها من غذاءٍ إلى طاقة .

شيءٌ أخير، هو أن في الرطب مادةً تمنع النزيف، وتنظِّف الأمعاء وتعقمها، وتطهِّرها ، وتليِّنها، وتغذي المرأة التى على وشك الوضع بغذاءٍ سكريٍ من أعلى مستوى، بأسهل طريقةٍ ، وبأقصر وقت، وجاء في كتاب الله عز وجل، قوله:

(وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً * فَكُلِي)

[سورة مريم الآية :25-26]

لماذا يحتاج الإنسان إلى الماء بعد أكل الحلو ؟

أيها الأخوة، إن هذا التمر مركَّز تركيزاً شديدًا جداً، فهو يحتاج إلى سائلٍ ينحلُّ فيه، كي يسهل الامتصاص، قال تعالى :

(فَكُلِي وَاشْرَبِي)

[سورة مريم الآية: 26]

لماذا يحتاج الإنسان بعد أن يأكل الحلو إلى الماء؟ لأن الحلو يحتاج إلى تمديد، وإلى أن ينحل في سائل كي يسهل هضمه .

لذلك شرب الماء ضروري للمرأة التي على وشك الوضع، وحالتها النفسية المطمئنة عنصرٌ أساسيٌ في الولادة، وأن يكون طعامها فيه أشياء أربعة؛ مواد تعين على انقباض الرحم، ومواد تمنع النزيف، ومواد تنظّف الأمعاء وتليّنها، ومواد أخرى تغذي بأقصر وقتٍ، وأيسر سبيل .

ما كشفه العلم :

هذا القرآن الكريم، هذا كلام رب العالمين، كلماتٌ في قصة، ولكن لو وقفت عندها لوجدت العجب العجاب، قال تعالى:

(وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً * فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْناً)

[سورة مريم الآية :25-26]

أيها الأخوة المؤمنون، هذه بعض آيات القرآن، وكيف أن العلم كلّما تقدَّم، اكتشف أن هذا الكلام كلام ربُّ العالمين، كلام خالق الأكوان، وليس كلام البشر؟ .

12- زيت الزيتون

إليكم الحديث عن زيت الزيتون :

أيها الأخوة الأكارم، حدثتكم في الخطبة السابقة، أن الله سبحانه وتعالى حينما قال:

(وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ)

[سورة التين الآية: 1]

أشار إلى عظم هذه النعمة التي أنعم الله بها علينا، حدثتكم أن التين آيةٌ من آيات الله الدالة على عظمته، كيف لا، وقد وردت في نص القرآن الكريم. وأما الزيتون، فهناك أحاديث نبوية شريفة كثيرة، يقول عليه الصلاة والسلام:

((كُلُوا الزَّيْتَ، وَادَّهِنُوا بِهِ، فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ))

[أخرجه الترمذي في سننه]

وسمَّاه ربنا سبحانه وتعالى وقوداً، قال تعالى:

(يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ)

[سورة النور الآية: 35]

ومعنى وقود، أنه وقودٌ لهذا الجسم البشري، اكتشف العلماء أن كل غرامٍ واحدٍ من زيت الزيتون فيه ثمان حريرات، فإذا تناول الإنسان مئة غرام، فكأنما استمد طاقة تزيد عن ثمانمئة حريرة، أي عن نصف حاجته اليومية من الغذاء .

الشيء الذي يلفت النظر؛ أن الله سبحانه وتعالى جعل في هذا الزيت خاصة، وهي أنه مادةٌ دسمةٌ غير مشبعة، ومعنى أنها غير مشبعة، أي أنها تلتهم ذرات الدهن العالقة في الدم، إن زيت الزيتون يمنع ترسب المواد الدهنية على جدران الشرايين .

يقول بعض الأطباء: إن عمر الإنسان من عمر شرايينه، ومن الأمراض الخطيرة، مرض تصلُّب الشرايين، وترسُّب المواد الدهنية على الجدار، بحيث تضيق اللمعة، ويجهد القلب .

والشيء الدقيق؛ أن الله سبحانه وتعالى جعل في هذا الزيت مادةً مليِّنة للشرايين، ومادةً مجرِّفة للدهون التي تترسب على جدرانه، وجعل في هذا الزيت مادةً دهنية غير مشبعةٍ، أما الزيوت الحيوانية المشبعة فهي تبقى عالقة في الدم، ويمكن مع النوم الطويل المديد أن تترسَّب على جدران الشرايين، مما يسبب ضيق الشرايين، وتصلب الشرايين، وما إلى ذلك من متاعب قلبيَّة خطيرة .

13- اليقطين وفوائده الطبية

الأحاديث التي وردت بشأن الدباء :

أيها الأخوة الكرام، في سورة الصافات آية، يقول الله عزَّ وجلَّ فيها:

(وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ)

[سورة الصافات الآية: 146]

(وأنبتنا عليه)، على سيدنا يونس، شجرة من يقطين، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه، أنه قال:

((كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحِبُّ الدُّبَّاءَ))

[أخرجه أحمد عن أنس بن مالك في مسنده]

والدباء هو اليقطين .

وعن أنس أيضاً، قال:

((رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُتِيَ بِمَرَقَةٍ فِيهَا دُبَّاءٌ وَقَدِيدٌ، فَرَأَيْتُهُ يَتَتَبَّعُ الدُّبَّاءَ يَأْكُلُهَا))

[أخرجه البخاري عن أنس في الصحيح]

وثبت في الصحيحين، من حديث أنس بن مالك، أن خياطاً دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم، لطعامٍ صنعه له، فقال أنس:

((فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يتتبع الدباء من حوالي الصحيفة، فلم أزل أحب الدباء من ذلك اليوم))

وعن عائشة أنها قالت: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((يا عائشة، إذا طبختم قدراً، فأكثروا فيه الدباء، فإنها تشدُّ القلب الحزين))

[ورد في الأثر]

إليكم تفسير العلماء القدماء والمحدثين حول موضوع الدباء :

قال ابن كثير: في تفسير هذه الآية الأولى:

(وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ)

[سورة الصافات الآية: 146]

إن الدباء، يتميز بسرعة نباته، وتظليل ورقه، وأن ورقه لا يقربه الذباب أبداً، وجودة تغذيته .

وقال ابن القيم الجوزي: باردٌ، رطبٌ، ماؤه يقطع العطش، ويذهب الصداع، مليّنٌ للبطن، شديد النفع للمحمومين، من ألطف الأغذية، وأسرعها هضماً .

أما كلام العلماء المحدثين، قالوا: وهو غني بالسكريات، والفيتامينات، وفيه حديدٌ، وكلس، وفيه عناصر فعَّالة، كالقرعين، وفيه حوامض أمينية، كاللوْسين، وهو غير مهيجٌ، وهو هاضمٌ، مسكنٌ، مُرَطّبٌ، مليّنٌ، مدرٌ للبول، يطرد سوائل الوزمات والانصبابات، مطهرٌ للصدر ، والمجارى التنفسية، ومطهرٌ للمجاري البولية، يفيد في معالجة التهاب المجاري البولية، والبواسير والإمساك، ويفيد في معالجة الوهن، وعسر الهضم، والتهابات الأمعاء، ويفيد المصابين بالعلل القلبية، والأرق، ومرضى السكري، ويفيد في آفات المستقيم .

القاعدة الذهبية، تقول: أفضل دواءٍ ما كان غذاءً، وأفضل غذاءٍ ما كان دواءً، هذه قصة اليقطين .

14- اللفت غذاء ودواء

ماذا عن اللفت ؟

أيها الأخوة الأكارم، قرأت مقالة عن اللفت، وكنت قبل سنواتٍ عدة، قد ذكرت ملخص هذه المقالة في أثناء بعض الدروس، لكن الذي لفت نظري، أن هذا الغذاء الذي نأكله، ربما كان إلى أن يكون دواءً أقرب منه إلى أن يكون غذاءً .

يعد هنا اللفت، من أفضل مرممات الدم، لما فيه من الأملاح المعدنية، وهو أحد النباتات التي تحوي على أكبر كميةٍ من الكالسيوم لبناء العظام، لبناء الأسنان، وهذا اللفت يقي من كثيرٍ من الأمراض بفضل كمية المغنزيوم التي يحتويها، فهو يقي كما يقول بعض الأطباء من الأورام السرطانية بفضل مادة المغنزيوم، وبفضل أزوته، فهو منقٍ للدم، ويحصن العضوية من الأمراض، والبوتاسيوم الذي في اللفت يجعل منه أحسن الخضار التي تجنِّب العضوية، تراكم الشحوم، أي أنه مذيب للشحوم في الدم، وفيه زرنيخ، والزرنيخ يسهم في تكوين الكريات البيض، والكريات الحمر، وهو غنيٌ بحامض الفوسفور، وحامض الفوسفور يغذِّي الخلية العصبية، فمن كان له عملٌ فكري، فاللفت يغذي دماغه وأعصابه .

أما أوراق اللفت غنية بالحديد والنحاس، وهذه تفيد في غذاء الدم، وغنية باليود، وهذه تفيد في الغدة الدرقية، وغنية بالفيتامين أ و ب و ث، ويسهِّل عصير اللفت تفتت حصيات الكلية، ومغليِّ اللفت يطهِّر المجاري التنفسية من الرشوحات، ويطهر الحلق والحلقوم، ويقي من الدمامل والخراجات والبثور الجلدية، ويستعمل اللفت كلصقاتٍ للجلد أيضاً .

لذلك يقول الأطباء: اعدل عن الدواء إلى الغذاء، ونوِّع في الغذاء، لا تقل: هذا لا أحبّه، كلُّ شيءٍ خلقه الله يجب أن تأكل منه، لأنك إذا أكلت من كل الخضراوات، فقد جمعت كل الأدوية، وأنت لا تشعر .

15- نبات الفجل

ما هي المواد الموجودة في نبات الفجل ، وما هي فائدته ؟

أيها الأخوة المؤمنون، في سلسلة الموضوعات العلمية التي من عادتي أن أعالجها في الخطبة الثانية، أن نباتاً نراه في الأسواق قد نشتريه أو لا نشتريه، لا يحتل عندنا مكانةً مرموقة، هذا النبات هو الفجل، وقد يتندَّر بعضهم، فيقول: أرخص من الفجل، لقلة شأن هذا النبات عند الناس .

ذهلت لما تنطوي عليه هذه المادة، أو هذا النبات الذي خلقه الله لنا، قال العلماء: يحتوي هذا النبات على مواد آزوتية، ومقادير من المواد النشوية والمعدنية، كما يحتوي على نسبةٍ جيدة من الفيتامين (ث)، وهذا النبات باحتوائه على هذه الفيتامينات، يحتوي أيضاً على الكالسيوم، والحديد، ونظراً لاحتوائه على هذه الفيتامينات، فإنه مقوٍ للعظام، مدرٌ للبول، يفيد عصيره في تفتيت حصيات الكليتين، وفي تفتيت حصيات الصفراء، ويذوِّب الرمال البولية، ويشفي من النوب الكبدية، ويساعد على الهضم، ويستعمل في بعض الدول المتقدمة بمقياس العصر، كعلاج لمكافحة السعال الديكي .

سبحانك يا رب! كلُّ هذه المواد، وهذه المعادن، وهذه الفيتامينات، في هذا النبات، الذي لا يعبأ الناس به، خلق الله سبحانه وتعالى كل شيء فأبدع خلقه، وأتقن صنعه، وجعل من هذا النبات شيئاً موزوناً، قال تعالى:

(وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ)

[سورة الحجر الآية: 19]

خلاصة القول :

أيها الأخوة، احتوائه على هذه المواد، خمسة وثمانين بالمئة ماء، مواد آزوتية، مقادير من المواد النشوية والمعدنية، فيتامين (أ) فيتامين (ث)، كالسيوم، حديد، حموض معينة، هذه كلها من أجل أن تقي الإنسان بعض الأمراض، وأن تعينه على ترميم بعض الأعضاء، إن الله سبحانه وتعالى، جعل من هذه النباتات آية دالة على عظمته سبحانه وتعالى، قال تعالى:

(فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ * أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبّاً * ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقّاً * فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبّاً * وَعِنَباً وَقَضْباً * وَزَيْتُوناً وَنَخْلاً * وَحَدَائِقَ غُلْباً * وَفَاكِهَةً وَأَبّاً * مَتَاعاً لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ)

[سورة عبس الآية: 24-32]

16- نبات الملفوف

حقيقة أشار إليها القرآن :

أيها الأخوة المؤمنون، وقعت تحت يدي مقالة قرأتها صباح اليوم، فاستنبطت منها: أن الإنسان غالباً في غفلةٍ عن هذا التوافق الرائع بين بنية جسمه، وبين تركيب المواد الغذائية التي يأكلها، إن الذي خلقه هو الذي خلق هذا النبات، ولا بدَّ من أن يكون هذا النبات خُلق خصيصاً له .

في آياتٍ كثيرةٍ إشارات إلى هذه الحقيقة، ولكن قد نقرأ القرآن، ونحن عنه غافلون، يقول ربنا عزَّ وجل:

(وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ)

[سورة يس الآية: 72]

هذه الأنعام مذللة لكم، أي خلقت خصيصاً بهذه البنية، وهذا التركيب، وهذه الطباع، خلقت لكم خصيصاً، قال تعالى:

(وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا)

[سورة النحل الآية: 5]

ما هي الفيتامينات الموجودة في الملفوف، وما هي فوائده، وما هي استطباباته ؟

يحوي الملفوف أعلى درجة من الفيتامين (ث ، c) من بين كل الخضروات، حتى أن نسبة هذا الفيتامين فيه أعلى من نسبته في الليمون، وينبت هذا النبات في الشتاء، وأمراض البرد معروفة، فما هذا التوافق العجيب بين كون هذا النبات ينبت شتاءً، وبين أن أعلى نسبةٍ من الفيتامين (ث) الذي يقاوم أمراض البرد موجودةٌ في هذا النبات، وفي الليمون والحمضيات، ويحتل الملفوف الدرجة العليا في نسبة هذا الفيتامين (ث) .

شيءٌ آخر، يحوي الملفوف فيتامينات أخرى، كالفيتامين (ب ، ك)، وفيه معادن، كالكلس، والكبريت، والفوسفور .

قال العلماء: إن هذا النبات يزيل التعب، ويقاوم الزكام، ويشفي من الطفح الجلدي، ويقوي الشعر والأظافر، وينمِّي العظام، وهذه استطباباته الوقائية .

وأما استطباباته العلاجية، فهو يقاوم ديدان البطن، والتهاب القصبات، وهو مفيدٌ للأطفال والمراهقين، لأن فيه نسبة عالية من الكلس تساعد على نمو عظامهم، وهو علاجٌ للقصور الكلوي، ففيه البوتاس الذي

يطرد الماء الزائد من الأنسجة، فهو علاجٌ فعالٌ للأمراض الكلوية، وفيه علاجٌ لأمراض القلب، وفيه مادةٌ مشابهةٌ تماماً للأنسولين، إذاً: فيه علاجٌ لمرض السكر، وفيه علاجٌ من حالة التسمم الدوائي، وفيه علاجٌ لمرض القَرحة، وهو مبذولٌ في الأسواق .

كأن هذا الغذاء الذي نظن أنه غذاء، إنما هو إلى أن يكون دواءً أقرب، كأن هذه النباتات التي خلقها الله عزَّ وجل، خلقها لتحقق طباً وقائياً، وإذا كان الخلل حققت طباً علاجياً .

إليكم هذه القدرة التي أبدعت هذا التكوين بين بنية الإنسان وبين بنية النبات ؟

يجب أن نعلم علم اليقين، أن الذي خلق الإنسان هو الذي خلق هذا النبات، ما هذا التوافق العجيب؟ ما هذه العلاقة الوشيجة بين بنية خلق الإنسان، وبين نسب هذه المواد في هذا النبات؟ إنه الله سبحانه وتعالى أيها الأخوة، قال تعالى:

(فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ * أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبّاً * ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقّاً * فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبّاً * وَعِنَباً وَقَضْباً * وَزَيْتُوناً وَنَخْلاً * وَحَدَائِقَ غُلْباً * وَفَاكِهَةً وَأَبّاً * مَتَاعاً لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ)

[سورة عبس الآية: 24-32]

(قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ * مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ * مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ * ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ)

[سورة عبس الآية: 17-20]

موعظة وعبرة :

أيها الأخوة المؤمنون، يقول النبي عليه الصلاة والسلام:

((أمرني ربي بتسع: خشية الله في السر والعلانية، كلمة العدل في الغضب والرضا، القصد في الفقر والغنى، وأن أصل من قطعني، وأعفوا عمن ظلمني، وأعطي من حرمني، وأن يكون صمتي فكراً، ونطقي ذكراً، ونظري عبراً))

إذا قرأت، إذا نظرت، إذا تأملت، لا تنسَ أن تستنبط الموعظة، لأن الله سبحانه وتعالى بثَّ في الأرض آياتٍ للموقنين، وبثَّ في النفس آياتٍ لا حصر لها، وبثَّ في السموات والأرض آيات لا حصر لها، هذه الآيات إذا مررت عليها، وأنت عنها غافل، كانت الحسرة يوم القيامة، ونحن أحياء يجب أن نتفكر في خلق السموات والأرض .

17- منافع الشاي الأخضر

انظر إلى جهل المسلمين في هذا العصر وكيف نتخلص منه ؟

سمعت من بعض الأخوة من بلد مسلم في أفريقيا، كما قلت في مؤتمر قبل أسبوعين: أن بلداً إسلامياً كان يستورد مادةً من بريطانيا من عام ثماني وأربعين بأسعار فلكية، ثم اكتشف أنها ملح ومادة أخرى بسيطة جداً ورخيصة، هذا ثمن الجهل، وأن أجهزة قد ندفع ثمن إصلاحها وصيانتها ملايين من العملات الصعبة، ولو كان في أبنائنا من درس هذه الآلات لوفر علينا مبالغ طائلة إنهم يسرقوننا إذا باعونا، وإذا اشتروا منا، فهذا مرتبط بموضوع الخطبة بفرض الكفاية، يجب أن نحصل العلوم التي تقوم حياة المسلمين بها .

سئل أحد المفكرين: ماذا نأخذ وماذا ندع من الغربيين؟ فقال: نأخذ ما في رؤوسهم وندع ما في نفوسهم، إحساسنا ملكنا، وإحساسهم لهم، قيمنا لنا وقيمهم لهم، أما هذه العلوم قاسم مشترك بين كل الأمم والشعوب، بل إنه قال أيضاً: ثقافة أية أمة هي بمثابة عسل استُخلص من زهرات مختلف الشعوب على مر الأجيال، فهذا العسل هو ملك الإنسانية كلها، وهل يُعقل إذا لدغتنا جماعة من النحل أن نقاطع عسلها؟ .

ما هي أسباب مرض الخبيث، وما الذي يضعف جهاز المناعة في الإنسان، وما الذي يقويه، وما علاقة جهاز المناعة بمرض الخبيث؟

أيها الأخوة الكرام، الموضوع العلمي في هذه الخطبة دقيق جداً، ذكرت من قبل أن نسب الأورام الخبيثة في ازدياد مستمر ومخيف، والسبب أنه كما تعلمون: العصر الحديث في ظاهرة تغيير خلق الله، تغيير خلق الله وراء ارتفاع نسب الأورام الخبيثة في أكثر البلاد المتخلفة .

كلكم يعلم أن في الإنسان جهازاً خطيراً جداً هو جهاز المناعة المكتسب، وهذا الجهاز عبارة عن جيش بكل ما في الكلمة من معنى، فيه فرقة استطلاع، فيه فرقة تصنيع أسلحة، وفرقة قتال، وفرقة هندسة، وهناك فرقة كومندس، هذه الفرقة تستطيع أن تكتشف انحراف الخلية في وقت مبكر جداً وتلتهمها، بل إن أحدث العلوم الحديث العلوم التي تبحث في علم الهندسة الوراثية اكتشف أن في الإنسان مورثاً للورم الخبيث له قامع يمنعه من أن يكون فعالاً، هذا القامع ما الذي يفكه؟ قالوا: يفكه ذرة البلاستيك، فإذا استعملنا البلاستيك بشكل مكثف مع المواد الحارة، والمواد الحامضية، وإذا استعملناه بشكل ميكانيكي أي كشطنا بالسكين مادة غذائية معبأة في البلاستيك، فربما دخلت بعض ذرات البلاستيك إلى أجسامنا، وهذه الذرة يمكن أن تفك القامع الذي يمنع مورث الورم الخبيث من أن يفعل فعله.

شيء آخر: ذرة البترول، هذه لو استنشقناها، أو أكلناها بشكل أو بآخر بخطأ أو بغير خطأ، هذه أيضاً تفك القامع الذي يقمع هذا المورث عن أن يفعل فعله، والمواد المشعة لها دور كبير في إحداث هذه الأورام، ثم إن الشدة النفسية التي يعاني منها معظم الناس البعيدين عن الله عز وجل والواقعين في الشرك الخفي، إنهم يتحملون من الضغط ما لا يحتملون، وهذه الشدة النفسية أحد أسباب هذه الأورام، والآية الكريمة:

(فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ)

[سورة الشعراء الآية: 213]

أيها الأخوة الكرام، جهاز المناعة المكتسب، قال عنه العلماء: قيادته خارج الجسم إنها بيد الله عز وجل، وأن الحب والأمن والمودة يقويان هذا الجهاز، وأن الخوف والقلق والحقد يضعفان هذا الجهاز، وقد ذكر النبي عليه الصلاة والسلام أن الحبة السوداء تشفي من كل داء، وقد عُقد مؤتمراً في القاهرة من أجل بحث ما في هذه الحبة السوداء، فإذا هي تقوي جهاز المناعة، وجهاز المناعة مسؤول عن الأمراض الخبيثة والجرثومية .

إليكم بيان هذه الحقيقة:

أيها الأخوة، لكن هذا تمهيد لموضوع دقيق، من منا يصدق أن استهلاك العالم للشاي خمسة ملايين طن، وأن خمس هذه الكمية من الشاي الأخضر، وقد ثبت بالتجارب العلمية أن له مفعولاً مضاداً للسرطان، كما ينصب فخاً للمواد الكيماوية المسببة للسرطان، بل إن هذه المادة الفعالة لها اسم أجنبي، هذه المادة الفعالة تقي في الأعم الأغلب الورم الخبيث المعوي، وفي المعدة، والبنكرياس، والكولون، والثدي، شرب الشاي الأخضر مع الطعام عادة شعبية في اليابان، لذلك أقل نسبة إصابة في هذا المرض في اليابان، هذه الحقيقة قرأتها في مجلة محترمة جداً أردت أن أضعها بين أيديكم .

بيان أثر التوحيد على صحة الإنسان:

أيها الأخوة، صحة الإنسان ليست ملكه، إنها ملك أسرته، وملك المسلمين، وهي رأسماله الأجل لا يتقدم ولا يتأخر، ولكن الإنسان قد يعيش مريضاً، وقد يعيش صحيحاً، هذا متعلق بمدى اتباعه لسنة النبي عليه الصلاة والسلام، التوحيد رأس الوقاية من هذه الأمراض، لأنه يبعدك عن الشدة النفسية التي وراء أكثر الأمراض .أيها الأخوة الكرام، هذه حقائق يجب أن نأخذ بها، وأن نعتني بصحتنا، لأنها رأسمالنا، ووعاء أعمالنا، وسبيلنا إلى كسب رضاء الله عز وجل .

18-الحمضيات وعلاقتها بالشتاء

ما هي أسرار الحكمة الربانية في مجيء الحمضيات في فصل الشتاء ؟

أيها الأخوة المؤمنون، حكمٌ بليغة في هذه الفواكه التي خلقها الله لنا، لا يعرفها إلا العلماء الذين نقَّبوا في أسرارها، فلماذا كانت الحمضيات في الشتاء؟ بحثٌ علميٌ دقيق، يتحدَّث عن فوائد بعض الحمضيات، وكيف أنها تنضج في فصل الشتاء، ولماذا في فصل الشتاء؟ .

قال بعض العلماء: إن في البرتقال، مركبَّاتٍ غذائية، وفيتاميناتٍ واقية، أبرز هذه الفيتامينات، الفيتامين (ج)، يقاوم هذا الفيتامين ضعف البُنية، ويقاوم إدماء الجلد، ويقاوم تحلل المادة الكلسية في العظام، ويقاوم ارتباك الهضم، ويقاوم فقد الشهية، ويقاوم الالتهابات، وفي مقدور برتقالةٍ واحدة، أن تمدَّ الإنسان بكلِّ ما يحتاجه، من هذا الفيتامين في اليوم، ويعوض عن نقص هذا الفيتامين، في لبن الإرضاع الصناعي، بإعطاء الرضيع عصير البرتقال .

أيها الأخوة المؤمنون، يقاوم هذا الفيتامين كثيراً من السموم، وفي الدرجة الأولى، يحوي الليمون خصائص لا تصدَّق، لو وضعت عشر غرامات في ليتر، فإن هذا المحلول يقتل كلَّ الجراثيم، فإذا أردت أن تعقّم ماءً للشرب، في منطقةٍ ماؤها ملوَّث، فما عليك إلا أن تضع في ماء الشرب، بضع قطراتٍ من عصير الليمون، فإن هذه القطرات تكفي للقضاء على جرثوم الكوليرا، والحمَّى التيفية، يموت الجرثوم فوراً، إذا كان في الماء بضع قطراتٍ من الليمون .

هذه الفاكهة التي خلقها الله سبحانه وتعالى، تقاوم الروماتيزم، وتقاوم أمراض المعدة ، وتقوّي القلب، وتقضي على السموم التي يتناولها الإنسان خطأً في طعامه، فهذا الليمون وجد ليكون دواءً قبل أن يكون غذاءً، دواء بكل ما في هذه الكلمة من معنى .

أيها الأخوة المؤمنون، هذه آيات الله في خلقه، هذه الفاكهة التي نظنُّ أنها فاكهة، هي مستودعٌ للأدوية؛ يقي، ويقوّي، وينشِّط، فإذا فكَّر الإنسان في طعامه، خشع قلبه، وانهمرت عينيه، وخرَّ لله ساجداً .

19- الموز

ما هي الخصائص التي تتكون منها فاكهة الموز، ولمن سخرت، وما الغاية من تسخيرها ؟

أيها الأخوة الكرام، ولكن قبل أن نتحدَّث عن هذا، أردت بعد أن أذل الله هذه السلعة، بعد أن كانت عزيزة، وبعد أن أصبحت في متناول معظم الناس، أردت أن أقف على تكوين هذه الفاكهة، فقد دهشت أنها عندنا فاكهة، لكنها عند غيرنا قوتٌ، كالقمح تماماً، أو كالأرزِّ بالنسبة لأهل الصين واليابان، إنها في بعض البلاد تعدُّ قوام حياتهم، وغذاءهم الأساسي كالقمح تماماً .

ثم دهشت أيضاً حينما علمت أن المئة غراماً من هذه الفاكهة تعطي من الحريرات ما تعطيه مئة غرامٌ أخرى من اللحم تماماً، من حيث المواد التي تعطي الطاقة .

ثم فوجئت أن في هذه الفاكهة من الكالسيوم، والفوسفور، والحديد، والبوتاسيوم، والنحاس، والفلور، وهذه كلُّها معادن أساسية جداً يحتاجها الإنسان، بل إن ثلاث حبّاتٍ من هذه الفاكهة، تعطي كفايته التامة من هذا المعدن في اليوم .

ثم علمت أن في هذه الفاكهة ثماني فيتامينات أساسية لها تأثيرٌ كبير في عمل أجهزة الإنسان، ثم إن هذه الفاكهة يكمِّلها الحليب الذي امتنَّ الله به علينا، والخبز الذي جعله قوت لنا.

إذاً: الإنسان حينما يأكل هذه الفاكهة، ينبغي أن يعلم علم اليقين أنّها مصممةٌ خصيصاً للإنسان .

فالإنسان المؤمن يرى أن الله سبحانه وتعالى سخَّر لنا كل ما في الأرض جميعاً منه، تسخير تكريم، وتسخير تعريف، فهذه العلاقة بين حاجة الجسم، ولا سيّما الأطفال، وبين مكوِّنات هذه الفاكهة علاقةٌ دقيقة جداً .

فالكالسيوم، مع الفوسفور، مع الحديد، مع البوتاسيوم، مع النحاس، مع الفلور، الذي يقاوم نخر الأسنان، كلُّها في هذه الفاكهة، والفيتامينات، مجموعة فيتامين ب، ب1، ب2، ب6 ، ب12، وفيتامين د، وفيتامين و، ثماني أنواع من الفيتامينات موجودة في هذه الفاكهة، فضلاً عن المواد السكرية، وعن بعض المواد الدهنية، وعن بعض المواد البروتينية، وعن الماء، فهذه من نعم الله عزَّ وجل التي امتنَّ الله بها علينا .

هل يجوز للمسلم أن يلقي الموز في الطريق، ولماذا، وما واجبنا اتجاه هذه النعمة ؟

أيها الأخوة، هل يجوز أن تلقى قشور هذه الفاكهة على الطرقات فتسبب كسراً لإنسان ؟ فهذا الذي يأكل هذه الفاكهة ويلقي بقشرها من نافذة السيارة هذا إنسان غير منضبط، وهذا إنسان لا يعرف قيمة هذه الفاكهة .

أخ طبيب في مستشفى حكومي ذكر لي، وأقسم بالله أن ثلاث حالات كسر عظام بسبب قشور هذه الفاكهة، هذا لا يجوز أبداً، فالمؤمن منضبط، والمؤمن لا يسبب للآخرين متاعب، والله يحاسبه عليها، دققوا في قوله تعالى:

(إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآَثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ)

[سورة يس الآية: 12]

أي أن الآثار المترتبة على هذا العمل يحاسب عليها الإنسان، فالإنسان عليه أن يشكر ، كانت عزيزةً فأصبحت ذليلة بسعرها، وكانت في متناول فئةٍ قليلة، أصبحت في متناول أكثر الناس، لذلك من شكر هذه النعمة، أن نتعرَّف إلى الله من خلالها، وأن نشكره عليها، وأن لا نؤذي عباد الله بها .

20- البقدونس وتأثيره الصحي

فوائد البقدونس :

كلما ازددت معرفة بآيات الله ازددت معرفة بالله، شيء لا يخطر في بالكم، هذا البقدونس الذي تأكلونه كل يوم، هناك مجلة محترمة تصدر في بلاد الخليج عالجت موضوع هذا النبات معالجة عميقة جداً، فإذا في هذه المقالة الشيء الذي لا يُصدق، من أجل أن تعرف كيف أن الله أكرمك؟ .

قالت: هذا النبات فيه كثير من الفيتامينات، وفيه كثير من العناصر النادرة، وفيه زيت طيار، ملعقتا طعام من هذا النبات مفروم فرماً ناعماً تؤمن للكائن الحي ثلث الجرعة اليومية من طليعة الفيتامين (a)، وثلثي الفيتامين (c)، وثمن جرعة الحديد اليومية .

المواد النادرة في هذا البقدونس: الزرنيخ، والبورون، والنحاس، والتيتانيوم، هذه مواد نادرة موجودة في البقدونس، لذلك قال بعض الأطباء: كُلْ كلَ شيء؛ لأن كل شيء فيه مواد مرممة، ومعالجة للجسم باعتدال .

ينصح الأطباء أن يوضع على المائدة قبل خمس دقائق من تناول الطعام؛ لأن فيه زيت طيار، والفائدة في هذا الزيت الطيار .

هذا النبات دواء مدر للبول، يستخدم في حالات الاستسقاء، وفي حالات الوزمات ذات المنشأ القلبي، ويُستخدم في الحصى، والكلية، وأمراض المثانة، وفي أمراض الكبد وفي الحويصلة الصفراوية، وهذا النبات ينظم التنفس، وينشط القلب، ويعين على خروج الغازات من الجسم، ويحصن الرؤيا، ويوقي اللثة، ويشفي من لدغات البعوض، والزنابير والنحل، ويقتل الطفيليات .

هذا النبات يزيل رائحة المواد الكريهة في الجسم، يقوي غدتي الكظر، وهي المسؤولة عن الحالات التي تصيب الإنسان في حالات الشدة، الكظر يرفع ضربات القلب ، ويضيق الأوعية والشرايين المحيطية، ويرفع نسبة السكر في الدم، ويزيد وجيب الرئتين.

هذا النبات يفيد الغدة الدرقية، المسؤولة عن الاستقلاب، ويقوي الأوعية الدموية ويمنعها عن أن تنفجر عند ارتفاع الضغط، وهو ممتاز لأمراض الجهاز البولي التناسلي، ويساعد في حال تشكل الحصى في الكليتين وفي المثانة على تفتيتها، ويعالج مرض الاستسقاء، ويعالج بعض أمراض العيون، ويحسن الدورة الشهرية، وفي فصل طويل عن التجميل عن طريق البقدونس ما لنا شغل فيه .

هذا النبات الذي بين أيدينا، لو تفكر الإنسان في هذا الغذاء الذي يأكله من صممه له؟ من أودع فيه هذه النسب؟ لذلك قالوا: خير الدواء ما كان غذاءً، دواء متوازن غير مؤذي نباتي، أما الأدوية التي نأخذها الكيماوية هذه تشفي من جهة، وتؤذي من جهة أخرى.

21-الخل

فوائد الخل :

أيها الأخوة الكرام، عن سيدنا جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، يَقُولُ:

((أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِي ذَاتَ يَوْمٍ إِلَى مَنْزِلِهِ، فَأَخْرَجَ إِلَيْهِ فِلَقًا مِنْ خُبْزٍ، فَقَالَ: مَا مِنْ أُدُمٍ؟ فَقَالُوا: لَا إِلَّا شَيْءٌ مِنْ خَلٍّ، قَالَ: فَإِنَّ الْخَلَّ نِعْمَ الْأُدُمُ، قَالَ جَابِرٌ: فَمَا زِلْتُ أُحِبُّ الْخَلَّ مُنْذُ سَمِعْتُهَا مِنْ نَبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ))

[أخرجه مسلم في الصحيح]

في حديث آخر: أنه دعي إلى طعام، فكان الداعي فقيرا، فقدم خبزا وخلاً، فَعَنْ عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ:

((نِعْمَ الْأُدُمُ أَوْ الْإِدَامُ الْخَلُّ))

[أخرجه مسلم في الصحيح]

فكنت أظن أنا أن هذا جبرا لخاطره، ولكن العلماء اكتشفوا: أن للخل فوائد لا تعد ولا تُحصى، فقالوا: الخل يقتل الجراثيم خلال دقائق داخل المعدة، أي إذا التعقيم غير جيد، طبق من السلطة غير جيد، فالخل الذي فيها يقتل كل الأخطاء التي بسبب عدم التنظيف الكافي، يقتل الجراثيم خلال دقائق داخل المعدة وخارجها، بل إنه يقي المعدة من الإسهالات، والتسممات، وفيه من المعادن؛ البوتاسيوم، والفوسفور، والكلورين، والصوديوم، والمغنزيوم، والكالسيوم والكبريت، وهو يداوي التهابات الفم و الحلق، ويزيل الشحوم، ويسكن ألم الشقيقة، ويشفي التهاب المفاصل، ويزيل الترسبات داخل شرايين الجسم، فهذا كلام النبي ليس من عنده، إن هو إلا وحي يوحى، إنه طبيب القلوب، وطبيب الأجساد، وهذا من الطب النبوي، ولا سيما خل التفاح .

22- السواك و الجراثيم

ما قيل عن السواك :

أيها الأخوة الكرام، ورد في مجلة مشهورة، تصدر في بعض البلاد العربية الشقيقة، مقال لعالمٍ متخصص بعلم الجراثيم والأوبئة بألمانيا، يقول هذا العالم في هذه المجلة، وقد ترجمت مقالته إلى اللغة العربية .

يقول في هذه المقالة: قرأت عن السواك الذي يستعمله العرب كفرشاةٍ للأسنان، في كتابٍ لرحَّالةٍ زار البلاد العربية، وعرض الكاتب الأمر بأسلوبٍ ساخرٍ، اتخذه دليلاً على تأخُّر هؤلاء الناس الذين ينظفون أسنانهم بقطعةٍ من الخشب في القرن العشرين، وهذا العالم قرأ كتاب هذا الرحالة الغربي الذي زار البلاد العربية، وتحدث عن السواك مستهزئاً، وغامزاً، ولامزاً من العرب الذين وهم في القرن العشرين يستخدمون خشبة لتنظيف أسنانهم .

يقول هذا العالم الألماني: ولكني أخذت المسألة من وجهة نظرٍ أخرى، وفكَّرت لماذا لا يكون وراء هذه القطعة من الخشب، والتي أسميتها فرشاة الأسنان العربية حقيقةً علمية، لو استطعت إجراء التجارب عليها؟ ثم سافر زميلٌ لي إلى السودان، وعاد ومعه مجموعةً منها من السواك، وفوراً بدأت إجراء تجاربي عليها سحقتها وبللتها، ووضعت المسحوق المبلل على مزارع الجراثيم، فظهرت لي المفاجأة التي لم أكن أتوقعها حيث ظهرت على مزارع الجراثيم، الآثار نفسها التي يؤثِّر بها البنسلين، البنسلين

مادةٌ فعالة في قتل الجراثيم، هذا ما قاله العالم الألماني المتخصص بعلم الجراثيم والأوبئة، ونشر هذا في مجلةٍ تصدر في بعض الأقطار العربية الشقيقة .

أيها الأخوة الكرام، يجب أن تعلموا دائماً، أن الذي يقوله النبي عليه الصلاة والسلام ليس من عنده، إنه من عند الخالق، لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحيٌ يوحى، من هنا نذكر قول سيدنا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، يقول: ثلاثةٌ أنا فيهن رجل، وفيما سوى ذلك فأنا واحدٌ من الناس، ما سمعت حديثاً من رسول الله صلى الله عليه وسلّم إلا علمت أنه حقٌ من الله تعالى .

الباب السابع:الحيوان



01 – قلب الأم

إليكم هذه الآية من آيات الله الدالة على عظمته :

بعض الأمثلة التي اكتشفها العلماء المتعلقة بقلب الأم في الكائنات الحية، قال العلماء : تحمل الدببة، والكلاب، والقطط أولادها، بأنيابها الحادة، وتعدوا بها مسافاتٍ شاسعة، دون أن تخدش جلدها . يعيش الإكسيلوب منفرداً في فصل الربيع، ومتى باض، مات، فالأمهات لا ترى صغارها التي لا تستطيع الحصول على غذائها لمدة سنة، الأم تضع وتموت، وهذا الذي وضعته، من أين يتغذى؟ لن يستطيع أن يأكل مباشرةً إلا بعد سنة، ما الذي يحصل؟ تحفر الأم في قطعة خشبٍ حفرة مستطيلة، ثم تجلب طلع الأزهار، وبعض الأوراق السكرية، وتحشو به ذلك السرداب، ثم تبيض بيضة، ثم تأتي بمنشارة خشب، وتجعلها سقفاً لهذا السرداب، وبعدها تموت، وبعد أن تفقّس، تخرج البيوض، وتجد طعاماً يكفيها سنة، قال تعالى:

(قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى * قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى)

[سورة طه الآية: 49-50]

حشرة الدبور، الحفار تحفر أنثاه نفقاً في الأرض، ثم تبحثُ عن دودةٍ تلسعها، وتخدِّرها، ولا تميتها، ثم تسحبها إلى النفق، ثم تضع البيض، وتسد النفق، وقد هيأت للصغار طعاماً طازجاً يكفيها مدةً طويلة، وبعدها تموت .

بعض أنثى الطير، تطعم صغارها أكثر من ألفٍ وثلاثمئة مرة في اليوم، تُلقم صغارها الطعام ما بين الفجر والغروب .

إليكم هذه المشاهد العجيبة الغريبة :

الناقة، تبكي على فقد صغارها .

الكلبة تبكي على جروها الميت، وقد رأيت والله بأم عيني، كلبةٍ تبكي على جروٍ، دهسته سيارة .

إذا فقدت الخيل صغيرها، نهنهت بصوتٍ مسموع، وتوحَّشت، ولا تدع أحداً يقترب من صغيرها، فإذا حمل صغيرها ليدفن، سارت خلفه، وإذا دفن لازمت قبره .

أما إذا دفن الإنسان، ما إن يوضع في القبر، حتى ينصرف الناس إلى البيوت، مع أن النبي عليه الصلاة والسلام، أمرنا أن نبقى مع الميت، لنفكَّ وحشته، ونتلو له شيئاً من كتاب الله .

أيها الأخوة المؤمنون، من آيات الله الدالة على عظمته، قلب الأم لا في بني البشر، فحسب، بل في الكائنات الحية .

02- فوائد البيض

الخصائص التي يتكون منها البيض :

أيها الأخوة المؤمنون، من يصدق؛ أن في هذه البيضة التي نأكلها ستة عشر معدناً نادراً، وفيها أيضاً ثمانية معادن معروفة، والمعادن من البيضة تحتل نسبة اثنين بالمئة، بينما المعادن من قشر البيضة تحتل عشرةً بالمئة .

من يصدق؛ أن في البيضة ما يساوي مئتي نوع من البروتينات، وفيها أيضاً أربعة عشر نوعاً من الفيتامينات، وفيها مواد سكرية، وفيها مضاداتٌ حيوية، تقاوم تفسُّخها وفسادها ، وفيها أيضاً من الدهون الخفيفة والثقيلة، ولها شكلٌ بيضوي، لا يتدحرج إلى مسافاتٍ طويلة لو أن شكلها كروي، لتدحرجت البيضة إلى مسافاتٍ بعيدةٍ جداً، هذا الشكل من أقوى الأشكال هندسياً، يحتمل مقاومة كبيرة، الشكل البيضوي تتوزع مقاومته على كل أنحاء سطحه، أما بنية البيضة فهي سهلة الفتح والاستعمال .

3-مرض جنون البقر

هل تتحد أوامر الخالق مع قوانين الخلق، وماذا نسمي هذا الترابط، وما النتيجة التي نحصل عليها إذا خالفنا هذه الأوامر ؟

إنَّ لله تعالى منهجاً تفصيلياً، أمر به الإنسان، أمره أن يطبقه، أمره أن يسير عليه، أمره أن يعتمده في كل نشاطات حياته، لأن الله تعالى هو الخالق، هو المربي، هو المسير، هو الصانع، هو الخبير .

هذا المنهج الإلهي التفصيلي، الذي جاء به النبي عليه الصلاة والسلام، إن في كتاب الله، وإن في سنة النبي عليه الصلاة السلام، هذا المنهج التفصيلي، من عند الخالق، من عند الخبير، من عند العليم، من عند الرحيم، لذلك من خصائصه أنه مرتبطٌ أشدَّ الارتباط مع قوانين الخلق، مع سنن الخلق، ترابط منهج الله عزَّ وجلَّ مع سنن الخلق، ترابطٌ حتمي، بمعنى أنَّ هناك علاقة علمية، أي علاقة سببٍ بنتيجة، بين الأمر ونتائجه، وبين النهي ونتائجه، فكلُّ أمرٍ تكليفيٍ ورد في كتاب الله وفي سنة رسوله صلّى الله عليه

وسلّم، إذا طبقناه قطفنا ثماره، وثمار هذا الأمر، نابعة من الأمر نفسه، أي أن هناك علاقةً علميةً بين الأمر ونتائجه، وبين المعصية ونتائجها .

مثلاً: الله سبحانه وتعالى، خلق الذكر والأنثى، خلق الذكر بصفاتٍ خلقيةٍ، ونفسيةٍ، واجتماعيةٍ، وعقلانيةٍ، وهذه الصفات كمالٌ في الذكر، وتعينه على أداء مهمته، وخلق الأنثى، بصفاتٍ جسميةٍ، ونفسيةٍ، وعقلانيةٍ، واجتماعيةٍ، وهذه الصفات كمالٌ في الأنثى، لتعينها على أداء مهمتها، وبين صفات الذكر والأنثى تكاملٌ ، لذلك خلق الله الذكر والأنثى، فإذا اتجه الذكر إلى الذكر، هناك ردعٌ، وهناك أمراضٌ وبيلةٌ حارت بها البشرية، إنه مرض الإيدز، هذا المرض في أصل ظهوره من الشذوذ، إذاً: العلاقة بين الأمر والنتيجة، والنهي والنتيجة، علاقةٌ علمية .

كيف نشأ مرض جنون البقر، وما هي مسبباته ؟

أيها الأخوة، إنَّ الله سبحانه وتعالى، حرم الدم، والميتة، ولحم الخنزير، وصمم البقرة، هذا الحيوان المعطاء، هذا الحيوان الذي سخره الله لنا، صممها على أن يكون طعامها نباتاً، فلما طغى الإنسان وبغى، فلما نسي الإنسان منهج الله عزَّ وجلَّ، اعتمد على عقله فقط .

العقل أيها الأخوة، وأقول لكم هذا الشاهد، أو هذا المثل بدقةٍ بالغة: العقل كالعين، مهما تكن العين دقيقة الرؤية، تحتاج إلى نورٍ يتوسط بينها وبين الأشياء، فالعين الحادة في خصائصها، لا قيمة لها من دون نورٍ يتوسط بينها وبين الأشياء، ومهما كان العقل راجحاً، العقل وحده لا يكفي لمعرفة الحقيقة، لا بدَّ من وحي السماء، لا بدَّ من الهدى الإلهي .

فلذلك حينما كفر الإنسان بوحي السماء، وحينما اعتمد على عقله فقط، هداه عقله القاصر، إلى أن يطعم هذه البقرة الجيف، تؤخذ المشيمات من المستشفيات وتجفف وتطحن، وعظام الخنزير والجيف التي تفسخت، توضع في مراجل، وتغلى، ثمَّ تجفف، وتطحن، وتطعم للبقر، فإذا بمرضٍ خطيرٍ خطير أصاب البقر، سماه العلماء (جنون البقر) .

أيها الأخوة الكرام، هذا المرض الخطير، سيضطر منتجو البقر، إلى إحراق أحد عشر مليون بقرة، ثمنها ثلاثاً وثلاثين مليار من الجنيهات الإسترلينية، لأنهم خالفوا منهج الله سبحانه وتعالى في تغذية هذا الحيوان .

أيها الأخوة الكرام، هذا المرض اسمه الاعتلال الدماغي الإسفنجي، مسببات هذا المرض، كائناتٌ بالغة الصغر، لم تعرف حتى الآن، ذات دور حضانةٍ طويلٍ جداً، يمتد إلى ثماني سنوات، وفي الإنسان يمتد إلى عشرين سنة تقريباً، وليس لهذا المرض الخطير مظهر التهابي، ولا مظهرٌ مناعي .

اكتشف أخيراً؛ أنَّ هذا المرض يصيب البقر، ويصيب البشر، بل إنَّ البشر إذا أكلوا من لحم هذا البقر أصيبوا بمرضٍ مشابهٍ لمرض البقر .

ما هو أعراض هذا المرض في البقرة ؟

أيها الأخوة، أعراض هذا المرض في البقرة: تكلفٌ في المشي، رفع القوائم عالياً، فرط الإدراك الحسي، الحك، فقد الشهية، فرط اللعق ثم الموت، عدم التحكم العصبي، اقتران هذا كله بسلوكٍ عدواني.

أيها الأخوة الكرام، ما يفعله الإنسان الشارد، ما يفعله الإنسان الذي كفر بمنهج الخالق ، ما يفعله الإنسان الذي اعتمد على عقله فقط، وعقله قاصر، ما يفعله الإنسان مغطى بآيةٍ كريمة، وردت في كتاب الله عزَّ وجلَّ،

قال الله تعالى:

(وَلَأُضِلَّنَّهُمْ ولأمنينهم ولأمرنهم فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ ولأمرنهم فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيّاً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَاناً مُبِيناً)

[سورة النساء الآية: 119]

يغيرون خلق الله، يغيرون سننه، ويغيرون قوانينه .

أيها الأخوة الكرام، هذا البقر، الذي أصيب بالجنون، بسبب جنون البشر، وما المجنون في تعريف رسول الله؟ .

كان النبي عليه الصلاة والسلام مع بعض أصحابه فرأوا مجنوناً في الطريق، فسألهم سؤال العارف:

((من هذا؟ قالوا: هو مجنون يا رسول الله! قال: لا إنه مبتلى، ولكن المجنون من عصى الله))

فجنون البشر أدّى إلى جنون البقر .

أيها الأخوة الكرام، هذا البقر، يطعمونه اللحوم المتفسخة، يطعمونه الجيف، تغلى، وتجفف، وتطحن، يطعمونه العظام، عظام الخنازير، يطعمونه الدماء، يطعمونه الحيونات المصابة، وهذا المرض الخطير، ربما سبب كارثةً كبيرةً جداً .

ما هي الأمراض التي تصيب الإنسان إذا تناول شيئاً من لحم البقر أو من منتجاتها حينما تصاب بذاك المرض الخطير؟

أيها الأخوة الكرام، أما الشكل البشري لهذا المرض، قال العلماء: فقدان الذاكرة، فقد التناسق العضلي، فقد التوازن، العمى، فقد النطق، الوفاة تحدث بين ثلاثة أشهر، وعام، من بداية ظهور الأعراض، يرافق هذا قلقٌ واكتئابٌ، وتغيرات سلوكية، واضطراب في نشاط الدماغ الكهربائي، هذا المرض يصيب البقر، ويصيب البشر، بل يصيب البشر الذين يأكلون لحم هذا البقر .

لذلك، حرصت معظم الدول، على منع استيراد هذه اللحوم، من المواقع التي أصيبت بها البقر بالجنون. قال العلماء: يحظَّر استخدام لحوم البقر، ويحظر استخدام دهونها، ومنتجاتها، وأحشائها، ومخلفاتها، وأعلافها، وكلَّ مادةٍ تصنع منها، فحتى مستحضرات التجميل، التي دخلت فيها شحوم البقر، ربما تنقل العدوى إلى البشر، لذلك لحوم العلب، وأنواع الحليب، ومشتقات الحليب، وأنواع الحلوى التي تستخدم هذه الدهون، هذا كله ربما أصاب الإنسان بهذا المرض .

العامل المسبب لهذا المرض، مرض جنون البقر، يتحمل حتى الدرجة مئة وعشرين، لمدة ساعة، طبعاً الطبخ ينضج بدرجة مئة، هذا العامل المسبب لهذا المرض، يتحمل حتى الدرجة مئة وعشرين لمدة ساعة، ولا يموت، فلو طبخ هذا اللحم، لا تحل المشكلة، والحمد لله رب العالمين، على أن هدانا إلى منهجه القويم، وهدانا إلى الصراط المستقيم .

أيها الأخوة الكرام، هذه الحقائق التي وضعتها بين أيديكم، ملخصة من نشرةٍ إعلامية أصدرتها منظمة الصحة العالمية، بعيدةً عن أقوال الصحف، وعن المبالغات، هذه حقائق مستقاةٌ من تقريرٍ علميٍ نشرته منظمة الصحة العالمية، في الرابع والعشرين من الشهر الثالث من هذا العام .

المؤمن كيس، فطن، حذر :

أيها الأخوة الكرام، المؤمن يعرف ماذا يأكل، وماذا يتكلم؟ فما يدخل إلى هذا الفم ينبغي أن تدقق فيه .

أيها الأخوة الكرام، دققوا في مضمون هذه الخطبة، واحرصوا على أن يكون غذائكم سليماً، لأن صحة الإنسان رأس ماله، رأس مالك في الدنيا صحتك، وهي أثمن شيء بعد الهدى والإيمان، لأنها قوام عملك الصالح، جسمك أداة عملك الصالح، فإذا حرصت على صحتك فهذا الحرص نابعٌ من حرصك على آخرتك .

أيها الأخوة الكرام، نحن بعيدون عن هذه المواد من سنواتٍ عدة، بفضل اليقظة والحرص، اللذان يتمتع بهما من اختص بهذا الموضوع، هذا من فضل الله علينا، هذا شيءٌ ليس خافٍ على الناس، إنَّ أجهزة الإعلام تنطق به صباح مساء، لكن لا بدَّ من التوعية، والمؤمن يأخذ حذره، قال تعالى:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ)

[سورة النساء الآية: 71]

وقد قال عليه الصلاة والسلام:

((المؤمن كيِّس، فطنٌ، حذر))

فقبل أن تشتري حاجة، قبل أن تشتري لحماً معلباً، قبل أن تشتري لحماً وصل إلى البلد بطريقٍ غير نظامي، ينبغي أن تتأملَّ فيه، أنت مسلم، وأهلك، وأولادك، أمانة في عنقك، لا تسيب أمرك هكذا، كن دقيقاً، وكن يقظاً، وكن حريصاً على سلامتك، وسلامة أفراد أسرتك، فهم أمانةٌ في عنقك .

04- حليب الأبقار

الخصائص التي تجتمع في حليب البقر :

أيها الأخوة المؤمنون، الحليب الذي يستهلكه كل واحد منا بشكلٍ أو بآخر، أو لبنٌ، أو جبنٌ، أو سمنٌ، وما شاكل ذلك، يحوي على سبعٍ وثمانين إلى واحدٍ وتسعين بالمئة منه ماءً، يقول ربنا عزَّ وجل:

(وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ)

[سورة الأنبياء الآية: 30]

يحوي الحليب على الدسم، والسكريات، والبروتينات، والمعادن، والفيتامينات، وغازات منحلة، أي هو غذاءٌ كامل فيه غازاتٌ منحلة، كغاز الفحم، والأوكسجين، والنشادر، والفيتامينات، ومن المعادن، الكالسيوم، والفوسفور، والبروتينات، وما شاكل ذلك، والسكريات ، سكر العنب، والدسم، والماء .

ما رأيكم في هذا المعمل التي تنتجه البقرة، وعلام يدل ؟

الآية التي تذهل، كيف أن هذا اللبن، يخرج من بطونها؟ هذا اللبن الخالص الذي يخرج من بين فرثٍ ودم، أحدث البحوث العلمية، قالت: أن في البقرة غدةً ثديية، هذه الغدة الثديية مقسمةٌ إلى فصوص، وهذه الفصوص مقسمةٌ إلى فصيصفات، وهذه الفصيصفات مقسمةٌ إلى أجواف صغيرة هي الأسناخ، محاطةٌ بغشاءٍ من الخلايا، حول هذه الخلايا شعريَّاتٍ دموية، تأخذ الخلايا من الدم ما تحتاج، وتفرز الحليب في جوف هذا التجويف، ينتهي هذا الجوف بقناةٍ إلى حوض الغدة، ثمَّ إلى حوض ثدي البقرة، ثمَّ إلى حُلمتها، خليةٌ حتى هذه الساعة، لا تعرف طبيعة عملها، خلية تأخذُ من الخارج من الدم ما تحتاج، وتفرز الحليب في باطنها .

قال العلماء: إن ثلاثمئة حجمٍ إلى أربعمئة حجمٍ من الدم، يسير حول هذه الأسناخ، من أجل تحصيل حجمٍ واحدٍ من الحليب، أي كل حجم من الحليب، يجول حول هذه الشعريات، فالبقرة معملٌ بكّل ما في هذه الكلمة من معنى .

الشيء الذي يذهل أنه حتى الآن، لا يعرف كيف تعمل هذه الخلية؟ تأخذ من الجهة الوحشية من شعريات الدم المواد، والفيتامينات، والمعادن، والبروتينات، والسكريات، والدسم، والماء تخلطها، وتفرز من الداخل الحليب، تنتج البقرةُ الواحدة من ثلاثين إلى أربعين كيلو من الحليب، وكل كيلو هو محصلة دوران ثلاثمئة لتر دم في هذه الشعريات، فلما ربنا عزَّ وجل يقول:

(مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَناً خَالِصاً سَائِغاً لِلشَّارِبِينَ)

[سورة النحل الآية: 66]

هذه آية عظمى على عظمة الله سبحانه وتعالى .

بحث العلماء من يعطي الأوامر؟ من ينظِّم؟ من ينسِّق؟ من يعطي هذه الخلية أمراً بأخذ البوتاس، والفوسفور، والكالسيوم، والفيتامينات، والمعادن، وأشباه المعادن، والغازات، والسكريات، والمواد الدسمة من الدم؟ كيف تخلط؟ كيف تمزج؟ كيف تصبح حليباً ناصع البياض خالصاً من كلِّ شائبة لا أثر للدم فيه؟ هذه يد الله تعمل في الخفاء، البقرة معملٌ يدلُّ على عظمة الله سبحانه وتعالى .

ما النتيجة التي يحصل عليها الإنسان لو أنه فكر واعتبر من خلق هذا الكون ؟

أيها الأخوة المؤمنون، لو أن الإنسان فكَّر في خلق السموات والأرض، لو أن الإنسان فكر في الحيوانات التي حوله، لو أنه فكر في النباتات التي يأكلُ منها، لو أنه فكر في خلقه، لأخذه العجب العجاب، لخرَّ لله ساجداً، لأطاعه حقَّ الطاعة، لعبده حقَّ العبادة، هذا الإله العظيم، الذي يصنع لكَّ الحليب، من هذا الحشيش الذي تأكله البقرة، هل تستطيع أن تحول هذا الحشيش إلى حليب؟ إنك لن تستطيع ذلك، كيف يعدُّ الحليب غذاءً أساسياً في حياتك؟ تصنع منه اللبن، والحليب، والجبن، والقشطة، وما إلى ذلك، إن هذا كله عطاءُ الله عزَّ وجل، قال تعالى:

(وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ)

[سورة النحل الآية: 5]

(وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ)

[سورة يس الآية: 72]

خلقت لنا، وذللت لنا، أفلا نشكره؟ أفلا نعبده؟ أفلا نطيعه؟ أفلا نحبه؟ قال عليه الصلاة والسلام:

((أَحِبُّوا اللَّهَ لِمَا يَغْذُوكُمْ مِنْ نِعَمِهِ، وَأَحِبُّونِي بِحُبِّ اللَّهِ، وَأَحِبُّوا أَهْلَ بَيْتِي بِحُبِّي))

[أخرجه الدارمي عَن ابْنِ عَبَّاسٍ في سننه]

05- الجمل

إليكم الحديث عن الجمل :

أيها الأخوة المؤمنون، لو أمعن المرء النظر إلى الجمل، لرآه من أبدع المخلوقات، إنه أعجوبةٌ في الهندسة التشريحية، فالجمل يعدُّ وسيلةً لا تقدر بثمن، في المناطق القاحلة المنبسطة، التي تغطي سدس مساحة اليابسة، والتي تستعصي حتى على أقوى المركبات، وفي العالم ما يزيد عن خمسة عشر مليوناً من الجمال، تزداد باستمرار، فكل ما في الجمل متقن التصميم للتكيُّف مع بيئته القاسية، فعينه لها رموشٌ كثيفةٌ مزدوجة، تحجب عنها رمال الصحراء المتطايرة، وتتميز بقدرتها على التكبير والتقريب، فهي تريه البعيد قريباً، والصغير كبيراً، وهذا سرٌّ انقياده لطفلٍ صغير، أو لدابةٍ قميئة، قال تعالى:

(وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ)

[سورة يس الآية: 72]

وفي إمكان الجمل إغلاق أذنيه ومنخريه للغاية نفسها، أما أخفافه الضخمة فهي تسهِّل له الحركة على الرمال من دون أن يغرز فيه، وشفتا الجمل مطاطيتان قاسيتان تلتهمان الأشواك الحادة، وهما فعالتان في تجميع الطعام والأشواك، بحيث لا يفقد الجمل أي رطوبةٍ بمد لسانه إلى الخارج، قال تعالى:

(أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ)

[سورة الغاشية الآية: 17]

ومن أبرز مزايا الجمل: قلة حاجته إلى الماء، ومع أنه يمكنه أن يشرب ما يملأ حوض استحمام، لكنه يستطيع أن يستغني عن الماء كلياً عشرات الأيام، بل بضعة أشهر، حيث يستطيع في حالاتٍ طارئة، أن يأخذ ما يحتاج إليه من الماء، من أنسجة جسمه، فيخسر ربع وزنه، من غير أن يضعف عن الحركة، وفي السنام يخزن الجمل من الشحم، ما يعادل خمس وزنه، ومنه يسحب الجمل ما يحتاج إليه من غذاء، إن لم يجد طعاماً، قال تعالى:

(أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ)

[سورة الغاشية الآية: 17]

أيها الأخوة، متوسط عمر الجمل، يزيد عن أربعين عاماً، ولا يسلس قياد الجمل إلا إذا عومل باحترامٍ، ومودةٍ، وعطفٍ، وفي هذا عبرةٌ لبني البشر، قال تعالى:

(أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ)

[سورة الغاشية الآية: 17]

كلمة فيها عبرة :

عرفتك يا رب، ببحثٍ وفطرةٍ، فجئتك صباً، طاهر القلب خاليا، لك في الآفاق آياتٌ، لعل أقلها هو ما إليه هداك، فإذ رأيت النبت في الصحراء يربو وحده، فاسأله: من أرباك؟ وإذا رأيت البدر، يسري ناشراً أنواره، من أسراك؟ وإذا رأيت النهر بالعذب الفرات جرى، فاسأله: من الذي أجراك؟ وإذا رأيت البحر في الملح الأجاج طغى، فاسأله: من الذي أطغاك؟ وإذا رأيت الليل يغشى داجياً، فاسأله: من يااليل حاك دجاك؟ وإذا رأيت الصبح يُسفر ضاحياً، فاسأله : من يا صبح حاك ضحاك؟ .

06 -الخيل

ما هي الميزات التي يتمتع بها الخيل ؟

أيها الأخوة الكرام، مما يلفت النظر من آيات الله الدالة على عظمته، الخيل التي قال عنها النبيَّ صلّى الله عليه وسلّم:

((الْخَيْلُ مَعْقُودٌ بِنَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ))

[أخرجه مسلم عن جرير بن عبد الله في الصحيح]

مما يلفت النظر في هذا الحيوان الذي سخره الله للإنسان تكريماً له، قيل: الخيل قوية السمع، تسمع وقع الخطا قبل أن ترى الذي يمشي، تسمع وقعَّ حوافر خيلٍ أخرى قبل أن تتبدى لها في الأفق، وبعد أن تسمع وقع الخطا قبل أن يُرى شيء في الأفق تنبه صاحبها، هذا من خصائص الخيل .

وقيل: الخيل لا تفقد قدرتها على التناسل حتى وهي متقدمة في السن، قال عليه الصلاة والسلام:

((الْخَيْلُ مَعْقُودٌ بِنَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ))

[أخرجه مسلم عن جرير بن عبد الله في الصحيح]

كما أنها سريعة الشفاء من جروحها، بسرعة غير معقولة، أسرع من شفاء جرح الإنسان، وتلتئم كسور عظامها بسرعةٍ عجيبةٍ جداً، ويكفي الحصان علفٌ قليل ليقوم بجري كثير، وجهاز الحصان التنفسي قوي، وهو ذو قصبةٍ هوائيةٍ واسعةٍ جداً، وقفص صدريٍ واسع جداً يعينه على استنشاق أكبر كمية من الأوكسجين، لتعينه هذه الكمية على الجري الطويل، والحصان له قدرةٌ على تحمل المصاعب، والمشاق، ويستطيع أن يحمل ربع وزنه، وزنه أربعمئة كيلو غرام، يحمل مئة كيلو ويعدو بها إلى مسافاتٍ طويلة، ويستطيع الحصان أن يعدو مسافاتٍ طويلة، ولأمدٍ طويل دون طعامٍ ولا ماء، ويتميز

الحصان بذاكرةٍ حادةٍ جداً، وهذه الذاكرة تنصب على الأماكن التي يعيش بها، فبإمكانه إذا أصاب صاحبه مكروه، أن يعيده إلى البيت بذاكرته، ويستطيع الحصان أن يحفظ أدق الأماكن، وأدق التفاصيل، بل أنه يعرف صوت صاحبه، ولو لم يره، بل أنه يعرف صاحبه من طريقةِ ركوبه الفرس، لأن لصاحبه طريقة في الركوب، وهو يتعرف على صاحبه إما من صوته، أو من رائحته، أو من طريقة ركوبه الفرس .

أيها الأخوة، الحصان يستجيب بردود فعلٍ سريعةٍ جداً لحركات فارسه، وهو من أذكى الحيوانات، ومن أشدها وفاءً .

فوائد الخيل :

أيها الأخوة، الشيء الذي يلفت النظر كما كتب في بعض البحوث العلمية أن ركوب الخيل يقي أمراض القلب، وأمراض الكبد، والكليتين، وأمراض جهاز الهضم، بينما ركوب السيارة دائماً، يجلب أمراض القلب، وأمراض الكليتين، وأمراض الكبد، والشاعر الجاهلي الذي وصف حصانه، فقال:

فازور من وقع القنى بلبانـــه　　　وشكى إليَّ بعبرةٍ وتحمحم

لو كان يدري ما المحاورة اشتكى　　　ولكان لو علم الكلام يحلم

قال عليه الصلاة والسلام:

((الْخَيْلُ مَعْقُودٌ بِنَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ))

[أخرجه مسلم عن جرير بن عبد الله في الصحيح]

07-حيوان الزُرافة

إليكم الحديث عن الزرافة :

أيها الأخوة المؤمنون، كما قال الله تعالى:

(صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ)

[سورة النمل الآية: 88]

وكما قال الله تعالى:

(مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ)

[سورة الملك الآية: 3]

موضوعٌ دقيق، وهو أن الزُرافة ذلك الحيوان، الذي يعدُّ من أطول الحيوانات قاطبةً، يزيد طولها عن ستة أمتار، هذا الحيوان من أشد المخلوقات تيقظاً وخفةً، زودها الله بعينين جاحظتين، تستطيعان أن تريا ثلاثمئةٍ وستين درجة، أي وهي واقفة، رأسها كالبرج، وعيناها تجوسان الأفق كله من كل الزوايا، وتزن طناً واحداً، وإذا عَدَتْ تجاوزت سرعتها الستين كيلو متر في الساعة .

أيها الأخوة الأكارم، لها رغامى تعد أطول رغامى في الكائنات، التي خلقها الله سبحانه وتعالى، تزيد رغامتها عن مترٍ ونصف، رأسها ضخم .

أريد من هذا الموضوع شيئاً واحداً: أن هذا الرأس الضخم، وهذه الرقبة الطويلة التي تزيد عن مترين، إذا أرادت الزرافة أن تضع رأسها وفي الأرض، لتأكل مما في الأرض ، ينهمر الدم كله إلى رأسها، فإذا انهمر إلى رأسها، تدفَّق في رأسها، احتقنت شرايين الدماغ، فإذا رفعت رأسها فجأةً، لا بد من أن تصاب بالدوار والإغماء قطعاً، لذلك جهزها الله بآليةٍ عجيبة، حيَّرت العلماء، شرايين رأس هذه الزرافة من طبيعةٍ خاصة، لهذه الشرايين عضلات ، إذا جاءها الدم تتسع بفعل انبساطها حتى تستوعب جميع الدم الذي جاء إلى الرأس بفعل الجاذبية .

لكل هذه الشرايين صمَّامات، حينما ترفع رأسها فجأةً، تغلق الصمامات كلها، فتبقى هذه الكمية من الدم في رأسها، ثم تفتح شيئاً يسيراً، عندها يعود الدم شيئاً فشيئاً إلى بقية شرايين الجسم، آلية هذه الشرايين، تلفت النظر، إذا جاءها الدم كثيفاً، توسَّعت واستوعبت، فإذا رفعت الزرافة رأسها فجأةً، أغلقت الشرايين صماماتها محتبسة الدم فيها، كي لا تصاب بالدوار والإغماء، من جهزها بهذا الجهاز؟ من جعل لهذه الشرايين هذه العضلات؟ من زوَّد هذه الشرايين بهذه الصمَّامات؟ أليس هو العليم الحكيم؟ أليس هو العليم الخبير؟ أليس هو الخالق القادر؟ أليس هو الغني الحميد؟ .

صنعة المخلوق تدل على صنعة الخالق :

يا أيها الأخوة الأكارم، ما من مخلوقٍ على وجه الأرض، وتحت الأرض، وفوق الأرض، إلا وخلقه الله أبدع خلق، وصنعه أتقن صنعة، قال تعالى:

(مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ)

[سورة الملك الآية: 3]

إن قلب الزرافة يدفع في الدقيقة الواحدة، خمساً وخمسين لتراً من الدم، في الدقيقة الواحدة، قال الله تعالى:

(قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ)

[سورة يونس الآية: 101]

انظروا، أي شيءٍ وقعت عينك عليه، آيةٌ دالّةٌ على عظمته، أي شيْ تفحصته، أي شيءٍ درسته، أي شيءٍ دققت فيه، إنما هو آيةٌ تدل على أنه الواحد الديَّان، الواحد الأحد، الفرد الصمد .

08- الخنزير وتحريم أكله

ما هو الطبع الذي ينطوي عليه الخنزير ؟

أيها الأخوة الأكارم، اطلعت قبل يومين على مقالةٍ تلخص كتاباً ألفه عالم غربي يتحدث فيه عن الخنزير، والشيء الذي يلفت النظر أنَّ الله سبحانه وتعالى حينما حَرَّم أكلَ لحم الخنزير، فإن هذا التحريم ينطوي على حِكَمٍ لا حصر لها .

يقول مؤلف الكتاب: إنَّ الخنزير حيوانٌ لاحمٌ، عاشب، أي يأكل العشب واللحم معاً، وقد حرَّمت الشرائع كلُّها أكله، وللخنزير طباع من أقبح الطبائع والعادات، ففيه الغباوة، والقذارة، وفيه سوء الخلق، ولا يعفُّ في نكاحه حتى عن أمه، وإن أحبَّ الطعام إليه النجاسات ، والجرذان الميتة، وطعام الجيَف، وإنك إذا وضعت الخنزير في مكانٍ نظيف، وفي طرف المكان أقذارٌ، ما أمكنه إلا أن يتمرغ بها، شيءٌ عجيبٌ في طباع الخنزير! .

إليكم بعض الحكم الإلهية في تحريم أكل لحم الخنزير :

أيها الأخوة، يقول هذا العالم: إنَّ بيوض الديدان التي يمكن أن تكون في لحمه لا ينجو من خطرها الإنسان، ولو بقي هذا اللحم يغلي ساعةً بأكملها .

قلت: سبحان الله! إن أمراضاً كثيرة، وديداناً خطيرة، تعيش في خلاياه، وفي ثنايا لحمه، وهذه الديدان محصنةٌ بحيث لو أنَّ هذا اللحم طُبِخَ طبخاً عادياً، أو شُوِيَ شيَّاً سطحياً، فإن هذه اليرقات لا تموت، لا بدَّ من أن يكون في تبريدٍ يقل عن ثلاثين درجة تحت الصفر، أو أن يغلي أكثر من ساعة حتى تموت هذه اليرقات في لحمه .

حينما حرَّم ربنا سبحانه وتعالى هذا اللحم، حرمه لِحِكَمٍ كبيرة، هذه بعض الحكم، بل إن مؤلف الكتاب، يقول: إن هذا الحيوان له وظيفةٌ في تنظيفِ الأرض من الجيف، والأوساخ ، والنجاسات، هذه مهمته، فإذا بعض الناس يجعلونه طعامهم الأول .

إذا حرم الله سبحانه وتعالى شيئاً، كان هناك علةٌ علميةٌ بين النتائج، وبين علة التحريم ، لذلك حينما تشيع الأمراض في بعض البلاد التي تأكل لحم الخنزير، شيءٌ طبيعيٌ جداً، بل إنَّ ستة حالات وفاة، أحدها من هذه الدودة التي تعيش في ثنايا خلايا الخنزير .

شيءٌ آخر، إن الدهون التي في هذا الحيوان فيها نسبةٌ عاليةٌ من الكوليسترول، لذلك الذبحة القلبية، وتصلب الشرايين ثمانية أضعاف في الدول المتقدمة التي تأكلُ هذا اللحم، نسبة هذه الأمراض ثمانية أمثال الدول التي لا تأكل هذا النوع من اللحم .

فيا أيها الأخوة المؤمنون، أردت من هذه المقالة التي نشرت في مجلةٍ تصدر في سورية، في دمشق، أن يعرف المسلم لماذا حرم الله عليه لحم الخنزير؟ المقالة طويلة وتنطوي على تفصيلاتٍ كثيرة، ولكن جئتكم ببعض ما فيها من فقرات .

إن الله عزَّ وجل حرم الخبائث، وأحل الطيبات، الشيء التي تطيب نفسك به حلال، والشيء الذي يتلف جسدك، أو يذهب عقلك، هو حرام .

09 -حيوان يعيش في الصحارى شبيه بالكنغر

إليكم قصة هذا الحيوان :

أيها الأخوة المؤمنون، من عجائب المخلوقات حيوان من الحيوانات الذي يعيش في الصحارى، هذا الحيوان له رجلان طويلتان يقفز بهما، كما يقفز حيوان أستراليا الكنغر، ولذنبه خصلةٌ من شعر يستطيع به في أثناء قفزته أن يحوِّل اتجاهه، وهو في الهواء كذيل الطائرة تماماً، هذا الحيوان فيه ظاهرةٌ عجيبة، هو حيوانٌ كأي حيوان؛ له جهاز هضمٍ، وله جهاز دوران، وفيه سوائل كثيرة، ولكن هذا الحيوان لا يتناول ولا قطرة ماءٍ في كل حياته، والله سبحانه وتعالى يقول:

(وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ)

[سورة الأنبياء الآية: 30]

ما من كائنٍ حيّ إلا والماء جزءٌ أساسيٌ منه، الإنسان مثلاً؛ سبعون بالمئة من وزنه ماء، ما من مخلوق، ما من كائن حي، إلا والماء جزء أساسي منه، وهذا الحيوان لا يتناول الماء أبداً في كلِّ حياته .

سؤالٌ كبير: من أين يأتي الماء إذن؟ أجهزته كلها سوائل، من أين يأتيه الماء؟ اكتشف العلماء أنه يصنع الماء في جهازه الهضمي من الأوكسجين الذي يستنشقه .

إذا أرت أن تأتي بالهيدروجين والأوكسجين، وأن تجعل منهما ماء، فهذا يحتاج إلى أجهزةٍ بالغة التعقيد، فكيف يصنع هذا الحيوان الذي يعيش في الصحارى الماء؟ بجهازه الهضمي، إنه يأخذ الأوكسجين من الهواء، ويأخذُ الهيدروجين من بعض الحبوب الجافَّة التي يحرص على أكلها، يأخذ منها الهيدروجين، ويصنع من هذا الهيدروجين، وذاك الأوكسجين الماء الذي يعينه على أن تستمر حياته .

خاتمة الدرس :

يا أيها الأخوة المؤمنون، في الكون شيءٌ من العجب العجاب، أي شيءٍ قد لا يصدَّق تجده في الكون، معنى ذلك أن الله على كل شيءٍ قدير، معنى ذلك أن كل حيوان قد يتفوَّق على الإنسان بشكلٍ أو بآخر، ولكن الله كرم الإنسانَ بأن حمَّله أمانة التكليف، فإذا غفل عن هذه الأمانة، فأي حيوانٍ أرقى منه، إذا غفل عن معرفةِ الله عزَّ وجل، غفل عن طاعته، غفل عن العمل لما يرضيه، فأي مخلوقٍ ربما تفوَّق عليه، قال تعالى:

(إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ)

[سورة البينة الآية: 7]

يا أيها الأخوة المؤمنون، تفكَّروا في مخلوقات الله، ففي الكون آياتٌ لا حصر لها، وفي الأرض آياتٌ للموقنين؛ في طعامكم، وفي شرابكم، فيما حولكم، في الظواهر التي ترونها، في كل مكان، آياتٌ دالةٌ على عظمة الله .

10- الكلاب

مناسبة هذه الأحاديث لهذا البحث العلمي :

أيها الأخوة الكرام، اطلعت على بحثٍ علمي متعلّقٌ بالكلاب، هذا البحث مصدَّر بثلاث أحاديث شريفة، وردت في صحيح الجامع الصغير، يقول عليه الصلاة والسلام:

((مَنِ اتَّخَذَ كَلْبًا إلا كَلْبَ زَرْعٍ أَوْ غَنَمٍ أَوْ صَيْدٍ، يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِهِ كُلَّ يَوْمٍ قِيرَاطٌ))

[أخرجه مسلم في الصحيح]

وفي حديثٍ آخر:

((مَنِ اقْتَنَى كَلْبًا لا يُغْنِي عَنْهُ زَرْعًا وَلا ضَرْعًا، نَقَصَ كُلَّ يَوْمٍ مِنْ عَمَلِهِ قِيرَاطٌ))

[أخرجه البخاري في الصحيح]

وحديثٌ ثالث:

((مَا مِنْ أَهْلِ بَيْتٍ يَرْتَبِطُونَ كَلْبًا، إِلا نَقَصَ مِنْ عَمَلِهِمْ كُلَّ يَوْمٍ قِيرَاطٌ، إِلا كَلْبَ صَيْدٍ أَوْ كَلْبَ حَرْثٍ أَوْ كَلْبَ غَنَمٍ))

[أخرجه الترمذي في سننه]

مؤلّف هذا البحث العلمي، ذكر ستاً وثلاثين مرضاً، ليس لكم شأن أن تستمعوا إلى أسمائها بالغة العربية والأجنبية، هناك ستٌ وثلاثون مرضاً يسبب الكلب العدوى بها .

أيها الأخوة الكرام، اكتشف العلم أن أمراضاً كثيرةً، وهي ستٌ وثلاثون حتى الآن، يكون الكلب هو واسطة نقل العوامل الممرضة لها، وليس من طريقةٍ للتخلُّص من هذه الأمراض إلا أن نتخلّص من الكلاب نفسها، إلا أن هناك مرضاً خطيراً جداً هو مرض الكَلَب الشهير، الذي يؤدي إلى التهاب دماغي مميت، خلال خمسة أيامٍ من ظهور الأعراض، مرض قاتل، والمسافة سريعةٍ جداً، خمسة أيام .

طبعاً قد تنتقل بعض هذه الأمراض عن طريق الحيوانات الأخرى، كالقطط مثلاً، ولكن النسبة أكثر الحيوانات: سبعة، ثلاثة، خمسة بالمئة، إلا الكلب اثنتان وتسعون في المئة، نسبة نقل الأمراض عن طريق الكلب، اثنتان وتسعون في المئة .

هذه هي الحضارة الغربية :

أيها الأخوة الكرام، في فرنسا وحدها، سبعة ملايين كلب، عام ألف وتسعمئة وستة وسبعين، وعدد سكانها، اثنان وخمسون مليون، فالعالم الغربي يعتني بالكلاب إلى درجة غير معقولة إطلاقاً، وكأنّه استغنى عن الأولاد بالكلاب .

دخل رجل شرقي إلى مجمَّع للسلع، فلفت نظره المعلبات، والأطعمة الشهية، والتي غلّفت في أغلفةٍ راقيةٍ، فاشترى كمياتٍ كبيرة، وفي أثناء المحاسبة، سُئل: أعندك كلب؟ قال: لا، قال البائع له: كل هذا طعام الكلاب، أرجعه .

أيها الأخوة الكرام، لهذه الكلاب ذات العدد الكبير في ظل الفراغ الروحي، دورٌ قذر في الشذوذ الجنسي في أوروبا وأمريكا .

فهذا إسلامنا، وهذا ديننا، كلب صيد، لا بأس، كلب حراسة، لا بأس، كلب غنم، لا بأس، لغير هذه الأهداف الثلاثة لا يجوز أن تقتني كلب .

11- العقرب والإنفجار النووي

ما ينبغي على الإنسان أن يفعله :

أيها الأخوة الكرام، الإنسان له خصائص، خصائص يتميَّز بها، وخصائص يشترك فيها مع بقية الخلق، الإنسان لا يحقُّ له أن يفتخر بما يفوق به كل مخلوق، إن افتخر بوزنه، فهناك بعض المخلوقات تزن بالأطنان، وإن افتخر بشمِه، فالكلاب قوة شمها مليون ضعف للإنسان، وإن افتخر ببصره، فالصقور ترى ثمانية أضعاف الإنسان، وإن افتخر بعدوه، هناك من تزيد سرعته عن مئةٍ وخمسة وعشرين كيلو متراً في الساعة من الطيور .

لكن الإنسان ميزه الله بالعلم، ميزه بالحكمة، ميزه بالقوة الإدراكية، ميزه بأنه خليفته في الأرض، كلَّفه إعمار الأرض، كلَّفه تزكية نفسه، فالإنسان إذا اشتغل بما انفرد به خيرٌ له من أن يشتغل بما يتفوَّق عنه بقية المخلوقات في كلِّ شيء .

ما هي الغاية من هذه المقالة ؟

وقعت تحت يدي مقالةٌ اليوم: أن فرنسا قبل خمسٍ وثلاثين سنة أقامت في صحراء الجزائر الغربية تفجيراً نووياً، وهذا التفجير النووي كما تعلمون، لهيبٌ حارق أو ضغطٌ ماحق لا يبقي شيئاً، لا نباتاً، ولا حيواناً، ولا إنساناً، وشكَّل هذا الانفجار حفرةً كبيرةً جداً، وشكَّل كرةً من النار تعلو مساحاتٍ شاسعة، ثم فوجئ بعد نهاية الانفجار عقرباً يمشي في أرض الانفجار .

عكف علماء الحيوان ربع قرنٍ على دراسة هذا العقرب، فوجدوا أن العقرب يستطيع أن يبقى بلا طعامٍ ولا شراب ثلاث سنواتٍ متتالية، ووجدوا أن العقرب يستطيع أن يكتم أنفاسه تحت الماء لمدة يومين كاملين، ووجدوا أنه إذا وضع في الثلاجة في درجة عشرة تحت الصفر، ثم نقل إلى رمل الصحراء المحرقة في درجة ستين، يتكيَّف مع هذا التبدُّل الطارئ، ثم وضع في حمامٍ من الجراثيم، ذات الذيافين الفظيعة، فلم يتأثَّر بها إطلاقاً، وكأنه في حمامٍ بارد ، ثم عرضوه لأشعةٍ نوويةٍ تزيد ثلاثمئة ضعف عما يتحمله الإنسان فتحمَّلها، شرَّحوه، ليس فيه دم، بل مصلٌ أصفر، ماذا يعلّمنا هذا؟ يعلمنا أن الإنسان سريع العطب .

أراد الله سبحانه وتعالى أن يكون الإنسان حساساً، كان من الممكن أن يكون الإنسان كهذا المخلوق، فلا يتأثر بشيء، ولا يمرض، ولكن المرض نافذةٌ إلى السماء تفتح على الإنسان، مخلوقٌ صغيرٌ لا أحد يهتم له، بل نقتله إن رأيناه، يتمتع بهذه الحصانة، في بؤرة الانفجار النووي لم يتأثر، وبقي يمشي، معنى ذلك

أن في المرض حكمة تغيب عنا أحياناً، كان من الممكن أن نتمتع بهذه الحصانة، لا مرض، ولا مستشفيات، ولا ضغط مرتفع، ولا قلب، ولا رئتين، ولا أورام، ولا شيءٍ من هذا القبيل، قالوا: بحسب الكشوفات مضى على هذا العقرب خمسمئة مليون سنة، حيوان صغير لا نعبأ به .

أيها الأخوة الكرام، يجب أن نعلم أن قدرة الله تتعلق بكل ممكن، ولكن شاءت حكمة الله أن يكون الإنسان هكذا، أن يكون سريع العطب ليلتفت إلى الله عزَّ وجلَّ .

كم من إنسانٍ التفت إلى الله بمرض؟ كم من إنسانٍ أقبل على الله أثر مرض؟ فهذا الذي يقع هو حكمةٌ مطلقة، كل شيءٍ وقع أراده الله، وكل ما أراده الله وقع، وحكمة الله متعلقةٌ بالخير المطلق .

12- تحريم الميتة والدم

إليكم إحدى وظائف الدم في جسم الإنسان، والخصائص التي يتكون منها الدم، والحكمة الربانية في تحريم شربه:

أيها الأخوة الكرام، قال تعالى:

(قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَماً مَسْفُوحاً أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقاً أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)

[سورة الأنعام الآية: 145]

أيها الأخوة الكرام، ماذا يقول العلماء عن الدم؟ يحمل الدم سموماً، وفضلاتٍ كثيرة، ومركباتٍ ضارة، ذلك لأن إحدى وظائفه هي نقل فضلات الجسم وسمومه ليصار إلى طرحها، وأهم المواد التي يحويها الدم هي البولة، وحمض البول، وهي المستقلبات النهائية الناتجة عن تقويض البروتينات، ويحمل الدم بعض السموم التي ينقلها من الأمعاء إلى الكبد بغية تعديلها.

فإذا ما تناول الإنسان كمياتٍ من الدم، فإن هذه المركبات تمتص، ويرتفع مقدارها في الجسم، إضافةً إلى المركبات التي تنتج عن هضم الدم ذاته، مما يؤدي إلى إرتفاع نسبة البولة الدموية، وبالتالي إلى حدوث اعتلالٍ دماغي ينتهي بالسُبات، هذا ما يقوله العلماء حول الدم حينما حرّمه الله عزَّ وجل، حرَّمه لحكمةٍ بالغةٍ بالغة .

يعتبر الدم وسطاً ملائماً جداً، لنمو أنواع كثيرةٍ من الجراثيم، استفيد من هذه الخاصة في صنع مزارع الجراثيم من الدم، ولا يمكن أن يعدَّ الدم غذاءً .

إليكم علة تحريم الذبيحة غير المذكاة، وماذا يفعل المسلم في بلاد الغرب إذا كانت الذبيحة غير مسمى عليها ؟

أيها الأخوة، لا يجوز أكل الذبيحة غير المذكّاة، لأن دمها فيها، ولا يجوز أكل الذبيحة التي لم تذبح وفق الشريعة الإسلامية لأن الدم فيها، والدم فيه كلّ هذه السموم، وهذه الفضلات ، وهذه الأشياء المؤذية .

هذا الحكم الشرعي المأخوذ من هذه الآية الكريمة، يجب أن يكون واضحاً في أذهان المسلمين، إذا سافروا إلى بلاد الغرب، فالذبيحة التي لم تذبح وفق الطريقة الإسلامية، لا يجوز أكلها .

أما إن لم يسمّى عليها، هناك رأيٌ لبعض الفقهاء، سَمِّ أنت عليها، وكل، ولا شيء عليك، ولكن إن لم تذبح بطريقة الذبح الشرعي، بطريقة إخراج الدم كلّه إلى خارج الذبيحة، هذا يؤذي الإنسان أشدَّ الأذى، ويقع في معصية الله عزَّ وجل .

نصائح شتى :

يجب أن يعيد مربّو الأنعام النظر في إطعام مواشيهم، ودجاجهم، وما جنون البقر الذي كلّف بعض البلاد، ثلاثة وثلاثين مليار جنيه إسترليني، ولا بدَّ من أن يحرقوا ثلاثة عشر مليون بقرة، من أجل أن ينجو المجتمع من خطر جنون البقر، وما هذا المرض الخطير عنا ببعيد، السبب أنهم أطعموا البقر طحين اللحم المجفف، طحين اللحم الميّت، وأطعموه الدم، فيجب أن يعاد النظر في ما نطعم به مواشينا وأنعامنا، لأن هذا خطر على صحتنا .

أيها الأخوة، منهج الله يجب أن يطبَّق على الإنسان، وعلى الحيوان، فهذا الحيوان الذي أكل ما حرَّم الله أكله على الإنسان أصيب بالحنون، بل إن بعضهم، قال: ما جنون البقر إلا من جنون البشر .

الباب الثامن : الاسماك



01-الحوت

02-السمك

03-سمك السلمون

04-سمك الهلامي

05-السمكة الطبيبة

06-جروح الأسماك

07-أسماك البحر الكهربائية

08- ثعبان الماء الكهربائي

01- الحوت

كم هو وزن الحوت الأزرق، وكم هو طوله، وكيف يولد ؟

أيها الأخوة المؤمنون، هذه الحيتان التي تجوب المحيطات من آيات الله الدالة على عظمته، الشيء الذي يلفت النظر، تقدير بعض العلماء لعددها، أنها تزيد عن مئةٍ وخمسين ألف حوت في بعض الأوقات، من نوعٍ واحد، وهو الحوت الأزرق، هذا الحوت الذي يزن مئةً وثلاثين طناً، ويبلغ طوله خمسة وثلاثين متراً، فلو ضربت وزن هذا الحوت بعدد الحيتان، لكان الرقم مذهلاً، لو قسِّم على أهل الأرض، لأصاب كلٌ إنسانٍ، من الستة آلاف مليون، أربع كيلو غرامات ، في كل عام .

أيها الأخوة المؤمنون، يولد هذا الحوت ولادة، يصل طوله حين الولادة إلى سبعة أمتار، ويزن طنين، يستطيع الحوت أن يبقى في البحر أكثر من ثلاثين دقيقة، لأن طريقة بناء جسم الحوت تجعل هذا الأوكسجين الذي استنشقه يخزّن في عضلاته، وفي دمه، وفي أنسجته، وعشرة في المئة يخزّن في رئتيه .

حركته في البحار :

أيها الأخوة، كيف يجوب هذا الحوت الكرة الأرضية، طبعاً في البحار، من الشمال إلى الجنوب، يذهب إلى القطبين، ويعود إلى خط الاستواء، وتعلمون أن هناك فروقاً كبيرة في درجات الحرارة؟ قال: إن طبقة من الدهن تقيه من البرد، تصل سماكتها إلى متر تحيطه، فإذا توجّه نحو خط الاستواء، قلّت: هذه الكميات الدهنية إلى النصف تقريباً حيث المياه الدافئة، ولا يشبع الحوت بوجبةٍ أقلّ من أربعة طن، أي يسند بها معدته كما يقولون .

لو نظرت إلى أحواض السمك، إلى أسماك صغيرة، فيها من الأجهزة، ما في هذا الحيوان الكبير، ولكن على شكلٍ مصغر، فتبارك الله الخلاّق لما يشاء .

وظيفة آيات الله في الكون :

فالبحر وما فيه من حيوانات، في البحر ما يزيد عن مليون نوع من السمك، هذه كلها خلقت لنا، قال تعالى:

(وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ)

[سورة الجاثية الآية: 13]

(هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً)

[سورة البقرة الآية: 29]

خلق الله سبحانه وتعالى هذه الآيات لوظيفتين، الوظيفة الأولى؛ وظيفة دلالية، والثانية دنيوية، قال تعالى:

(نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعاً لِلْمُقْوِينَ)

[سورة الواقعة الآية: 73]

كل شيءٍ خلقه الله عزّ وجل فيه تذكرة ومتاع .

02- السمك

أنواع السمك في البحر :

أيها الأخوة المؤمنون، في القرآن الكريم إشاراتٍ إلى بعض الآيات الكونية، فالسمك ورد ذكره في القرآن الكريم:

(وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْماً طَرِيّاً)

[سورة النحل الآية: 14]

يستهلك العالم حسب بعض الإحصاءات القديمة، ما يزيد عن مئة مليون طن من السمك البحري، مئة مليون طن، هذا غذاءٌ لبني البشر، يقدر العلماء، أن في البحر ما يزيد عن مليون نوع من السمك؛ بعضها كبير، يزيد عن مئةٍ وأربعين طناً، وزن الحوت، وبعضها صغير، بعضها وديع، بعضها شرس، بعضها جميل، بعضها مكهرب، هناك أنواعٌ من السمك لا تعدُّ ولا تحصى .

ما هي وظيفة الزعانف عند السمك ؟

أيها الأخوة، ولكن العلماء وقفوا عند الزعانف، هذه الزعانف، قالوا عنها: إنها وسائل للدفع، والتوازن، والتوجيه، والفرملة، إن صحَّ التعبير، إنها تقف أو تخفف سرعتها عن طريق الزعانف، وإنها تتحرَّك نحو الأمام عن طريق الزعانف، وأنها تتوازن عن طريق الزعانف، وإنها تعدِّل وجهتها، يميناً أو شمالاً، ارتفاعاً أو انخفاضاً، عن طريق الزعانف، هذه الزعانف، بها تسير ، وبها تغيِّر مسارها، أو تصحح مسارها، بها تتوازن، بها تقف .

آيتان عجيبتان من آيات الله في السمك :

أودع الله سبحانه وتعالى فيها جهازاً لقياس الضغط، إن السمكة تعرف في أيّة لحظةٍ، أين هي من عمق الماء؟ لو أمسكتم سمكةً بأيديكم، لرأيتم في قسمها العلوي، خطاً متصلاً من غلاصيمها إلى ذنبها، هذا الخط هو أنبوبٌ مفرَّغ من الهواء، كلما زاد ضغط الماء عليه انضغط، فبانضغاطه تعرف السمكة أين هي من عمق الماء، أهي في السطح أم في الأسفل؟ .

أيها الأخوة، إن السمك آيةٌ من آيات الله سبحانه وتعالى، تستطيع السمكة أن تحوِّل الطعام إلى هواء فتطفوا، فإذا أطلقت هذا الهواء الزائد، غاصت في الأعماق، إن الهواء في جوفها تصنعه من الطعام، فترتفع أو تطلقه فتنخفض، وهذه آيةٌ أيضاً من آيات الله في خلقه .

إليك هذه الدعوة :

تبارك الذي خلق لنا كل شيء، وسخَّر لنا كل شيء، ويجب على الإنسان أن يجول ويجول، أن يحكم فكره في آيات الله، فلعلّه يعرفه من خلال آياته، لعله إذا عرفه استقام على أمره ، لعله إذا عرفه خشيه، وعظّمه، ووقّره .

أيها الأخوة المؤمنون، التفكُّر عبادة، بل إنك لن تعرف الله إلا من خلال آياته:

(فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآَيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ)

[سورة الجاثية الآية: 6]

(إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآَيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ)

[سورة آل عمران الآية: 190-191]

03-سمك السلمون

إليكم الحديث عن سمك السلمون :

أيها الأخوة الكرام، من الآيات الدالة على عظمة الله جل جلاله سمك اسمه: سمك السلمون، ويدعوه علماء البحار أيضاً: حوت سليمان، هذه الأسماك لها سلوك حير العلماء، ولا يمكن أن يفسر إلا في ضوء القرآن الكريم في قوله تعالى:

(قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى)

[سورة طه الآية: 50]

تولد هذه الأسماك في ينابيع الأنهار التي تنبع في أمريكا، وتهاجر من منابع الأنهار إلى مصباتها، ومن مصباتها في ساحل الأطلسي الشرقي لأمريكا إلى ساحل الأطلسي الغربي لأوربا، تقطع المحيط الأطلسي كله، وتمكث في هذه البحار في غرب أوربا فترة من الزمن، ثم تعود أدراجها إلى ينابيع الأنهار كي تموت هناك .

وضع في بعض الأنهار، هناك مركز إحصاء، أحصى مليوني سمكة من نوع السلمون، تعود إلى مسقط رأسها كل يوم ولمدة شهرين، وضع على هذا السمك قطعة معدنية فيها تاريخ هجرته .

أيها الأخوة الكرام، كيف رجع هذا السمك من المحيط الأطلسي إلى مصب النهر؟ لو أتينا بأحد علماء البحار، وأركبناه قارباً، وله عينان مبصرتان، وقلنا له: اتجه وأنت على ساحل فرنسا إلى مصب الأمازون في أمريكا، لا يستطيع هذا العالم الكبير بكل علمه أن يتجه إلى مصب هذا النهر، لو أن هذا السمك أخطأ درجة واحدة في اتجاهه لجاء في مصب آخر، لو أخطأ ثلاث درجات لاتجه من أمريكا الشمالية إلى الجنوبية، فمن الذي يهديه ويصوب حركته حتى يصل إلى مصب النهر الذي خرج منه؟ هذا شيء لا يُصدق إلا أن يهديه الله عز وجل .

بواخر عملاقة، وفيها علماء، ومعها لاسلكي ورادار، ومعها اتصالات مع الفضاء، واتصالات مع الموانئ، وفيها بوصلة وإحداثيات، وقد تضل الطريق، وسمكة في أعماق المحيط تتجه من فرنسا إلى مصب نهر في أمريكا، لو حادت درجة واحدة لجاءت في نهر آخر، قال تعالى:

(قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى * قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى)

[سورة طه الآية: 49-50]

صور العلماء هذا السمك، وهو يصعد الشلال، يصعد سمك السلمون الشلال مصراً على أن يصل إلى ينابيع النهر، هناك يولد ويموت، هذه الرحلة الطويلة من غربي أمريكا، إلى ساحلها الشرقي، إلى غربي أوربا، ثم يعود هذا السمك .

أعظم ما في هذه الآية: من الذي يهدي هذا السمك في ظلمات البحر؟ من يهدي الأطيار إلى أعشاشها؟ تهاجر سبعة عشر ألف كيلو متر، من يهدي ثعابين الأنهار من ينابيع النيل إلى مصب النيل إلى البحر المتوسط إلى مضيق طارق إلى بحر الشمال حيث تعود هذه الرحلة مرة ثانية إلى مصبات النيل؟ من يهدي هذه الأسماك وهذه الثعابين في ظلمات البحر ويوجهها؟ ذلكم الله رب العالمين، يقول الله عز وجل:

(إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ)

[سورة آل عمران الآية: 190-191]

04- السمك الهلامي

الحديث اليوم عن ذلك السمك الهلامي، الذي غزا بالملايين شواطئ فرنسا وإيطاليا واليونان، وحوَّلها إلى أرضٍ شائكةٍ شبيهةٍ بغاباتٍ من الثعابين، ثمَّة سابحٌ أشرف على الموت، كان يسبح بعيداً عن الشاطئ الصخري قرب أثينا، قال: شعرت فجأةً بألمٍ شديدٍ في ساقي، كالألم الذي تحدثه لسعة مكواةٍ حامية، وبعد ربع ساعة شعرت بما يشبه وخز الدبابيس في رأسي، ثم أغمي علي، وحينما أسعفت، وفحصني الطبيب، وجد ضغطي ما يقارب الصفر .

وقد قدَّر بعض العلماء: أن عدد السمك الهلامي في الأماكن التي يغزوها، يزيد عن خمس وعشرين سمكة في المتر المكعب الواحد، وأن سرباً طوله كيلو مترين، يحتوي على المليارات من هذا السمك، ويتفق علماء الحياة على أنه: ليس لهذا السمك منطقٌ واضحٌ في تحركاته، لماذا غزا هذه الشواطئ؟ لا نعلم، هل هناك قاعدة؟ لا، هل هناك دورات ثابتة؟ لا، والسمك الهلامي أنواعٌ تزيد عن الألف، يبلغ قطر بعضها مترين، وتؤدي لسعة السمك الهلامي الأسترالي إلى الموت في غضون دقائق .

ليس لهذا السمك الهلامي أعين، ولا آذان، ولا أدمغة، أجسامها شفافة، تبدو رقيقة، ناعمة، انسيابية، يشكِّل الماء فيها ثمانٍ وتسعين بالمئة، تتدلى من جسمها مجساتٌ سامةٌ دقيقةٌ مثل الخيوط، يصعب رؤيتها، والمجسات هذه قابلةٌ للتمدد نحو ثمانين سنتيمتراً، لأنها مخزونة في حقبٍ على شكل نوابض، خيوط مجوفة ممتلئة بالسم، مخزونة على شكل نوابض، لها زند ما إن يلمس، هذا السمك الهلامي جسداً حتى تنطلق ملايين الخيوط من أعقلتها، لتنفث السمَّ في جسم ضحيتها .

أيها الأخوة المؤمنون، ينصح الأطباء بتجهيز الشواطئ بوحدات إسعاف، وينصح الأطباء السباحين أن يتزوَّدوا بحقن الكورتيزون، لأن هناك لسعات مميتة .

تعليقي على هذه المعلومات التي نشرتها مجلة عالمية حول هذا السمك الهلامي: أنه إذا اتفق علماء الحياة البحرية على أنه: ليس ثمة منطقٌ واضح في تحركات هذا السمك الهلامي، فإن علماء التوحيد يتفقون على أن هذا السمك الهلامي، يتحرك وفق خطةٍ واضحةٍ، وهدفٍ واضح، رسمها له ربه الذي خلقه، إن هذا السمك يتحرك نحو الشواطئ ، التي كثر فيها الفساد في الأرض، ربنا عزَّ وجل يقول:

(ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاس)

[سورة الروم الآية: 41]

ربنا عزَّ وجل يقول:

(اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ)

[سورة الزمر الآية: 62]

لا يسمح لهذا السمك بالتحرُّك إلا وفق مشيئة الله، وفق خطةٍ دقيقة رسمها له ربه الذي خلقه، ما من إنسانٍ يحرك شيئاً بلا هدف، فكيف برب العالمين؟ أيتحرك هذا السمك نحو هذه الشواطئ أو تلك بلا هدف؟ قال تعالى:

(مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آَخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا)

[سورة هود الآية: 56]

(مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ)

[سورة الحديد الآية: 22]

الخاتمة :

قال تعالى:

(وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ)

[سورة المدثر الآية: 31]

الإيدز من جنود الله عزَّ وجل، والجراد من جنود الله عزَّ وجل، وهذا السمك الهلامي الذي غزا شواطئ فرنسا، وإيطاليا، واليونان، وجعلها كغابةٍ من الثعابين، إن الله سبحانه وتعالى حرَّكها لتضع للفساد حداً .

05-السمكة الطبيبة

أمر غريب:

أيها الأخوة الأحباب، إلى الموضوع العلمي كما تعودتم: كان أحد علماء البحار يركب غواصة أبحاث تحت سطح البحر، لفت نظره سمكة كبيرة خرجت من سربها، وانتهت إلى سمكة صغيرة، فتصور هذا العالم كما هي العادة أن هذه السمكة الكبيرة توجهت إلى الصغير لتأكلها، ولكنه وجد أنها وقفت إلى جانبها، وبدأت السمكة الصغيرة تأكل من حراشف الكبيرة، سجل هذا عنده في مذكراته بعد عشرة أعوام تقريباً، اكتشفت حقيقة رائعة: هي أن هذه السمكة الصغير متخصصة في علاج أمراض الأسماك كلها، وكأن عهداً وميثاقاً غير مكتوب بين أسماك البحر يقرر أن هذه السمكة الصغيرة المتخصصة في مداواة أمراض السمك الخارجية لا ينبغي أن تأكل، لذلك أجريت بحوثاً كثيرة وتتبع العلماء مواطن هذا السمك الذي أعطوه اسماً خاصاً، هذا السمك جعل الله عز وجل غذائه على التقرحات، والإنتانات والطفيليات، والفطريات التي تتوضع على حراشف الأسماك الكبيرة، فالأسماك الكبيرة تتجه إليها لتعالجها من أمراضها، وكأن هناك عرفاً وميثاقاً.

بل إن بعض الحالات الغريبة التي سجلت وصورت: أن سمكة كبيرة كانت تشكو من قرحة في فمها، فإذا بها تفتح فمها أمام السمكة الطبيبة، ودخلت السمكة الطبيبة آمنة مطمئنة لتعالج ما في داخل فمها من القروح، وفي الوقت نفسه هاجمت هذه السمكة التي تعالج سمكة أكبر منها لتأكلها، فما كان منها إلا أن أخرجت من فمها هذه السمكة التي تمرضها، وولت هاربة.

ما هذا العرف؟ وما هذا العقد؟ وما هذا الميثاق؟ ما هذا القانون المتبع في كل أنحاء البحار؟ إن هذه السمكة التي خلقها الله مزودة بمنقار دقيق جداً يصل إلى أدق الثنايا، وإن جهازها الهضمي يتقبل الفطريات والتقرحات والإنتانات وما شاكل ذلك، وهو غذاء لها، وإن هذه الأسماك الكبيرة تتجه إليها حينما تشكو من تقرحات بسبب ما يحدث بين الأسماك من احتكاك أو من معارك أحياناً، الشيء الذي يلفت النظر أنه إذا كثرت هذه الأسماك أمام السمكة الصغيرة صفت بعضها وراء بعض، وكأنها في مجتمع متحضر، ليس هناك تزاحم ولا تدافع ولا سباب.

وقفت هذه الأسماك الكبيرة وقد سجلت هذه الصورة بضع عشرات من الأسماك تقف وراء بعضها بعضاً، تنتظر دورها في المعالجة، وقد تستغرق أحياناً دقيقة أو أكثر، وبعدها تنصرف إلى سبيلها، قال تعالى:

(فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ)

[سورة الحشر الآية: 2]

مليون نوع من السمك من أعلمهم جميعاً أن هذه السمكة الطبيبة لا تؤكل ولا يعتدى عليها؟ قال تعالى:

(قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى * قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى)

[سورة طه الآية: 49-50]

أما الإنسان المتحضر الذي يتحدث عن حقوق الإنسان فكثيراً ما يقصف المستشفيات وسيارات الإسعاف، ورضي الله عن الإمام علي يقول: ركب الملك من عقل بلا شهوة، وركب الحيوان من شهوة بلا عقل، وركب الإنسان من كليهما، فإن سما عقله على شهوته، أصبح فوق الملائكة، وإن سمت شهوته على عقله، أصبح دون الحيوان.

06- الأسماك والتئام جروحها

إليكم مغزى هذه الظاهرة :

أيها الأخوة الكرام، من آيات الله الدالة على عظمته، وقد بيَّنت لكم كثيراً، أن التفكُّر في آيات الله في كونه، أقصر طريقٍ إلى الله، وأوسع بابٍ ندخل منه إلى معاينة عظمة الله عزَّ وجل .

فهناك فنونٌ حربيةٌ تتقنها الأسماك، فالحرب كما تعلمون كرٌ وفر، وما من حروبٍ تدور، إلا وفيها قتلى وجرحى، وكذلك الأمر لدى سكّان البحار .

فكم من سمكةٍ فرَّت وهي تحمل جراحاً؟ من عضةٍ، أو نهشةٍ أصابتها من عدوِّها، ولكنَّ الشيء الذي يلفت النظر، هو أن جراح الأسماك، سريعاً ما تشفى، سريعاً ما تلتئم، في وقتٍ قياسي لا يصدَّق، هذا السؤال حيَّر العلماء، عزى بعض علماء الحيوان هذه الظاهرة، سرعة التئام جروح الأسماك بوقتٍ قياسي، وقصيرٍ جداً، بالقياس إلى التئام جروح الإنسان، عزاه إلى ملوحة المياه، لكنَّ هذا التفسير سقط أمام ظواهر كثيرة، شاهدها علماء البحار بأمِّ أعينهم .

فعلماء البحار، وعلماء الأسماك، وجدوا من خلال الملاحظة الدقيقة: أن بعض الأسماك إذا ما جُرح، يلجأ إلى أسماك من نوعه، يتناوب بعضها خلف بعض، على الالتصاق بأماكن الجروح، أسماكٌ تلتصق مع السمكة الجريحة، تأتي الأولى، والثانية، والثالثة، إلى أن يلتئم الجرح .

اعتقد العلماء، أن هذه الأسماك، تفرز مواد تعين على شفاء الجروح والتئامها، فما كان من علماء الأسماك، إلا أن جاؤوا ببعض هذه الأسماك إلى مختبرات، ووضعوها في مياهٍ مالحة، ووضعوها في الشروط نفسها، وأحدثوا جرحاً في بعض هذه الأسماك، الشيء الذي يلفت النظر ثانيةً، أن هذه الأسماك

امتنعت عن معالجة زميلاتها، وهي تحت سمع وبصر العلماء، وبقي هذا السرُّ دفيناً سنواتٍ طويلةً، إلى أن استطاع عالمٌ قضى سنواتٍ طويلة في تحليل هذه المواد التي تفرزها الأسماك، حينما تلتصق بزميلاتها الجرحى، فإذا هذه المواد سامة، وضارةٌ ظاهراً، لكنَّ بعضها متخصصٌ بتخثير الدم، وبعضها يعين على انقباض الجلد، والعضلات، وفي بعضها مادةٌ لاصقة، يخثِّر الدم أولاً، تشدُّ العضلات والجلد ثانياً، تأتي المادة اللاصقة ثالثاً، لتنهي هذا الجرح نهائياً .

جيء ببعض هذه المواد، ووضعت على جرح الإنسان، فإذا هو يلتئم، في ثلث الوقت الذي من عادته أن يلتئم به، أي من عشرة أيام، إلى ثلاثة أيام، بتأثير هذه المواد، دون أن يكون لهذه المواد، أية أعراضٍ جانبية .

قال العلماء: وكأن هذه المواد المتنوعة، بعضها للتخثير، وبعضها لشدِّ الجلد والعضلات ، وبعضها كمادةٍ لاصقة، كأن هذه المواد تتعاون فيما بينها، وتنسِّق وظائفها، وكأنها واعيةٌ هادفةٌ، تتعمد الوصول إلى نتيجةٍ واحدة، ألا وهي سرعة التئام الجروح .

الكون مجسد بالآيات التي تتلألأ فيه وتدل على حكمة الديان ورحمته، ففكر وتأمل أيها الإنسان

أيها الأخوة الكرام، هذه الآية الكونية، مصداق قول الله تعالى:

(قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى * قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى)

[سورة طه الآية: 49-50]

علمٌ ما بعده علم، قدرةٌ ما بعدها قدرة، لذلك قال بعض العلماء: كلُّ إنسانٍ لا يرى من هذا الكون، قوةً هي أقوى ما تكون، عليمة هي أعلم ما تكون، حكيمة هي أحكم ما تكون، رحيمة هي أرحم ما تكون، هو إنسانٌ حي، ولكنه ميِّت .

يمكن أن تفكّر في الأسماك، فترى العجب العجاب، يمكن أن تفكّر في الأطيار التي زوَّدها الله بقوة رؤيةٍ تزيد ثمانية أضعافٍ عن قدرة رؤية الإنسان، يمكن ان ترى طائراً يقطع سبعة عشر ألف كيلو متر من دون توقُّف، ما هذه الرحلة؟! تعجز عنها أكبر الطائرات الأرضية .

أيها الأخوة الكرام، الكون مظهرٌ لأسماء الله الحسنى، وصفاته الفضلى، يمكن أن تلمس من خلال الكون، أسماء الله الحسنى، قدرته، علمه، رحمته، عدالته، هذا كلُّه، لذلك القرآن الكريم طافحٌ بالآيات التي تدعو إلى التفكر في خلق السموات والأرض، قال تعالى:

(إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ)

[سورة فاطر الآية: 28]

07- أسماك البحر الكهربائية

إليكم هذه الآية في البحار :

أيها الأخوة المؤمنون، يقول العلماء: ما من كائنٍ حي إلا وفي نشاطه الحيوي طاقةٌ كهربائية، فالقلب مثلاً؛ يولّد تياراً كهربائياً تعادل شدته واحداً من مئة من الفولط، وما أجهزة قياس ضربات القلب إلا عن طريق هذا التيار الكهربائي الذي يولده القلب، لذلك تسمّى هذه الأجهزة، أجهزة التخطيط الكهربائي، هذا شيءٌ مألوف، أية عضلة تولّد طاقةً كهربائية من حركتها هي من الشدة بحيث يتحملها الإنسان .

لكن الشيء الذي لا يصدق، أن بعض الأسماك في البحار، تولّد تياراتٍ كهربائية، تزيد شدتها عن مئتين وعشرين فولطاً، وأن هذه الأسماك، تدافع عن نفسها عن طريق إرسال صعقةٍ كهربائيةٍ، تميت خصمها في أعماق البحار .

شدة التيار الذي تولده بعض الأسماك الأخرى من جنبيها يزيد عن ستمئة فولط، وقد أُخِذَت بعض هذه الأسماك، ووضعت في أحواض فيها مصابيح كهربائية، فاستطاعت السمكة الواحدة أن تجعل ستة مصابيح كهربائية طاقة كل واحد منها مئة واط، وأن تتألق جميعاً لعدة ثوانٍ .

إليكم النتائج التي توصل إليها طلبة العلم من دراسة لأحد الأسماك الكهربائية :

سمكةٌ في أعماق البحار يدرسها الطلاب في بعض المواد العلمية، وقف العلماء عند هذه الظاهرة، كيف تولّد هذه السمكة تلك الطاقة الكهربائية؟ شَرَّحوها، إذ على جنبيها مواسير سداسية، هي بمثابة الخلايا الكهربائية، تتولد هذه الكهربائيات في أجسامها عن طريق الطاقة الكيميائية، ووجدوا أن في السمكة الواحدة، ما يزيد على أربعمئة خليةٍ كهربائية، هذه الخلايا مرتبطة مع بعضها بعضاً عن طريق التسلسل، بحيث إذا صدر أمرٌ من دماغ السمكة، تُفْرِغ شحناتها دفعةً واحدة باتجاه العدو .

إن دقة توصيلات هذه الخلايا شيءٌ يلفت النظر، ووصل الأمر بتفريغ شحنتها بالدماغ شيءٌ يأخذ بالألباب، أربعمئة خليةٍ كيميائيةٍ تستطيع أن تصدر تياراً كهربائياً صاعقاً، تزيد شدته عن ستمئة فولط، إن الإنسان يموت في هذا التيار فوراً، لو أن سمكة أرسلت لسابح هذه الصعقة، تميته فوراً، يقول الله سبحانه وتعالى:

(سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ)

[سورة فصلت الآية: 53]

سمكةٌ، تصدر تياراً كهربائياً، يزيد عن مئتين وعشرين فولطاً، وسمكة أخرى ترسل تياراً كهربائياً، يزيد عن ستمئة فولط، وضعت هذه السمكة على قماشٍ مبلل قبل أن تموت، وأمسك بالقماش المبلل رجل، وأمسك به رجل إلى أن أصبح الرجال ثمانية، فما إن إتصلت الدارة حتى انتفض الرجال الثمانية من شدة صعقة هذه السمكة .

أيها الأخوة المؤمنون، مخلوقات الله عزَّ وجل دالةٌ على عظمته، دالة على قدرته، دالةٌ على علمه، دالةٌ على خبرته .

08- ثعبان الماء الكهربائي

أين يعيش ثعبان الماء الكهربائي، وكم طوله ، وكم من الطاقة الكهربائية التي يحويها في جسمه

أيها الأخوة الكرام، في مجاري المياه العذبة في البرازيل، وفي حوض نهر الأمازون ، تعيش وحوشٌ مائيةٌ غريبة، تسمّى ثعابين الماء الكهربائية، وهي مشحونةٌ بكهرباء قويةٍ جداً ، إذ يكفي أن يلمسها الإنسان مرةً واحدة، ليصاب بصدمةٍ كهربائية لا ينساها طوال حياته .

هذا الثعبان، طوله يزيد عن مترين، أربعة أخماس جسمه مليءٌ بأجهزة توليد الكهرباء ، وتخزينها، وتحشر معدته، وأعضاؤه الحيوية في القسم الأمامي من جسمه، له ثلاثة أزواج من المولدات الكهربائية، وكلٌ منها مجهّزٌ بألواح تؤدّي نفس الوظيفة التي تؤديها البطارية في التخزين في السيارة .

قال: ليس في المخلوقات كلّها إلا ستة أنواع تولّد الطاقة الكهربائية، وجميع هذه الأنواع من الأسماك، وثعبان الماء الكهربائي يعطي أقوى تيار كهربائي يصل إلى خمسمئة فولط، وكلُّكم يعلم أن البيوت فيها مئة وعشرة فولط، أو مئتان وعشرين، ومع ذلك تسبب صدمة، وقد تكون قاتلة، بينما هذا الثعبان يطرح تياراً شدته خمسمئة فولط .

ماذا يصنع هذا الثعبان مع أعدائه ؟

قال: يولّد الثعبان الكهربي أقوى تيار، حيث يصل إلى عدة مئات من الفولطات، أما الشيء الغريب أن هذا الثعبان يتحكّم في قوة التيار، فإذا أراد أن يهدد حيواناً بالابتعاد عنه، يرسل له تياراً ضعيفاً من أضعف مولداته الكهربائية، أو إذا أراد أن يحدد موقع حيوان عدو، يرسل له تياراً ضعيفاً، ويرجع التيار

منعكساً على الحيوان كفعل الرادار تماماً، فمن خلال التيار الضعيف يعرف موقع العدو، أو يحذر العدو، أما إذا أراد قتل العدو يعطيه التيار القوي ، فهذا الثعبان يتحكَّم بشدة التيار .
أيها الأخوة الكرام، قال: صدمة واحدة من التيار القوي تكفي لقتل عدوٍ له بحجم إنسان، وتكفي لإحداث صدمة ربما تكون مميتة بحجم فرس، لشدة هذا التيار .

من عجائب البحار !

أيها الأخوة الكرام، يزعم الإنسان أنه اخترع الكهرباء، الأنواع الأخرى التي تولّد التيار الكهربائي: بعض هذه الأسماك جسمه مكهرب، فإذا مسكه الإنسان أصيب بصدمةٍ كهربائية فيضطّر إلى إطلاقه، هذا نوعٌ من الأسماك، بعض هذه الأسماك لها القدرة على إشعال أضواءٍ، وإطفائها، على جسمها مصابيح تتألّق وتنطفئ، بعض هذه الأسماك يبعث ضوء أحمراً تارةً، وأبيضاً تارةً، وأزرقاً تارةً أخرى.
بعض الحيتان ولها اسم غريب، على جسمها صفٌ متصل من المصابيح، كبعض الشاحنات التي نراها في الطرقات ليلاً، وتكون إطفاء الأضواء عند بعض هذه الأسماك أحد وسائل الدفاع عن ذاتها، فإذا اقترب منها عدو، أطفأت الأنوار، وغابت عن نظره .
أغرب شيءٍ في هذا الموضوع العلمي، أن الإنسان حينما يولّد الضوء عن طريق استهلاك الطاقة، يستهلك جزءاً كبير من الطاقة، فيشعُّ حرارة، وهذه الحرارة طاقة مهدورة، لذلك ما من تألّق مصباح إلا وفيه حرارة كبيرة جداً، هذه الحرارة طاقةٌ مهدورة، إلا أن الأسماك تصدر هذه الأضواء من دون أن يسخن جسمها إطلاقاً، فلو أن الإنسان توصَّل إلى تصنيع ضوءٍ عن طريق تحويل الطاقة إلى ضوءٍ مباشرةٍ من دون حرارة، لكان هذا كسباً كبيراً في صناعة الأضواء .

لمن سخرت هذه المخلوقات في البحار ، وأين هو الإنسان ؟

أيها الأخوة الكرام، قال تعالى:

(هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ)

[سورة لقمان الآية: 11]

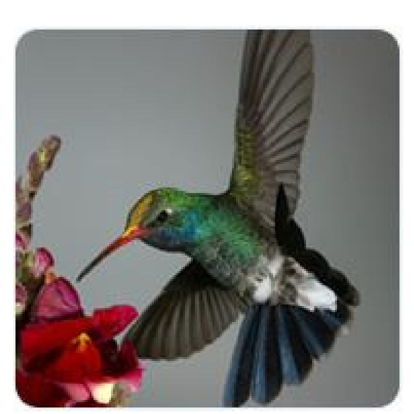
يقولون: إن في البحار مليون نوع من الأسماك، وإنَّ في البحار تنوّعاً في المخلوقات يدهش العقول، وهذا كلُّه من خلق الله، وهذا كلُّه مسخّرٌ للإنسان، وهذا الإنسان الذي سُخِّرت له كلُّ هذه المخلوقات في غفلةٍ عن ربّه، قال تعالى:

(وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً)

[سورة الإسراء الآية: 44]

بينما الإنسان الذي سُخِّرت له كل هذه المخلوقات في غفلةٍ عن ربه من جهة، ومعصيةٍ له من جهةٍ أخرى .

الباب التاسع : الطيور



01 –الطيور

أيها الإخوة المؤمنون... قرأت في موسوعةٍ عن الطيران جملة، اهتزّت لها مشاعري، موسوعة علمية عن الطيران، عن الطائرات، مكتوبٌ في هذه الموسوعة:

أنه ما من طائرةٍ، ما من طائرةٍ، صنعها الإنسان، ترتقي إلى مستوى الطير، أو تجرؤ على أن تقترب منه.

فالطيور التي خلقها الله سبحانه وتعالى، هكذا قال:

(أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ)

(سورة الملك: من آية " 19 ")

فالطيور، من أكثر مخلوقات الله جمالاً، ومن أجملها نغماً، ومن أكثرها استحواذاً على الإعجاب، توجد في كل بقعة، من بقاع العالم، في أطراف المناطق القطبية، إلى قمم الجبال الشامخة، إلى أكثر البحار هيجاناً، إلى أكثر الغابات ظلمة، إلى أكثر الصحارى عُرياً، إلى أكثر المدن ازدحاماً، في أي مكانٍ على وجه الأرض، تجد الطيور.

عَدّ العلماء حتى هذا التاريخ من أنواع الطيور، ما يزيد عن تسعة آلاف نوع، تسعة آلاف نوع، من أنواع الطيور، وقد زوّد الله سبحانه وتعالى الطير، بوزنٍ خفيف، يعينه على الطيران، وأكياسٍ هوائية، منتشرة، في كلِّ أماكن جسمه، تخفف من وزنه، وتبرِّد عضلاته الحارة، من شدة الخفقان، وجعل عظامه مجوَّفة، وجعل ريشه، لا وزن له، ليعينه على الطيران، وجعل الطير، يتمتَّع بميزاتٍ يحتاجها في طيرانه.

فهو يتمتَّع بقوة البصر، بل إن قوة بصر بعض الطيور، تزيد عن قوة إبصار الإنسان، ثمانية أضعاف، إن بعض أنواع الطيور، يرى فريسته على بعد ألفين من الأمتار، والعين عند الطائر أيها الإخوة الأكارم، أكبر حجماً، من مخِّه، وتستطيع أن ترى عينه، دائرةً تامة، الإنسان يرى مئة وثمانين درجة، حينما يدير وجهه ورأسه، تتسع هذه الدرجات، لكنَّ الطائر مزوَّد بعينين جانبيتين، تمسحان الدائرة بأكملها.

والطائر له سرعةٌ تزيد عن مئةٍ وثلاثين كيلو متراً في الساعة، وبعض أنواع الطيور، يقطع ستة آلاف كيلوا متر من دون توقُّف، ستة وثمانين ساعة طيران بلا توقف يقطعها الطير، أية طائرةٍ تقطع هذه المسافة، ستة وثمانين ساعة من دون توقف ؟ ومن دون تزوُّد بالوقود، أو بالطعام، أو بالشراب ؟

(أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ)

وفي كل شيءٍ له آيةٌ تدلُّ على أنه واحد

02- صقر البحر

إليكم الحديث عن صقر البحر :

نوعٌ من الطيور اسمه: صقر البحر، ينفر من البرد، لذلك هو يهاجر من شمال آسيا وأمريكا إلى المناطق الدافئة في جنوب الكرة الأرضية، كم يقطع في هذه الرحلة؟ إنه يقطع تسعة عشرة ألف كيلو متر، نوعٌ من الطيور اسمه صقر البحر يقطع في رحلة الشتاء، ورحلة الصيف تسعة عشرة ألف كيلو متر، لكن هذا الطير لا يحمل زاداً، ولا يتأثَّر ريشه بالماء، لأنه إذا تأثر ريش الطائر بالماء، لما أمكنه أن يطير بعد أن يغوص في الماء، حيث يتسرب الماء في أجنحته، وفي ريشه فيُثقل، ولا يمكنه أن يطير، هذا الطائر له ريش خاص، يغوص هذا الطائر إلى داخل الماء ليأكل زاده، ثم يعود فيطير في جو الهواء .

بل إن هذا الطائر يَتَتَبَّعُ بعض الطيور الجارحة، فإذا صادت هذه الطيور سمكاً من الماء، واعتزمت أن تحمله إلى صغارها هاجمها في الهواء، فخافت منه فتركت صيدها، يسقط إلى الماء، فينقض هذا الطير، ويأخذ هذه السمكة قبل أن تصل إلى الماء ، هل في إمكان طيار يفعل هذا، أن يأخذ هذا الصيد بعد أن سقط من فم الطير الجارح، يأخذه قبل أن يعود في الماء، ويطير به في جوِّ السماء؟ .

ماذا عن خطاف البحر ؟

أيها الأخوة المؤمنون، نوعٌ آخر من الطيور اسمه: خطّاف البحر، يهاجر من المنطقة المتجمدة الشمالية إلى المنطقة المتجمدة الجنوبية، ويقطع اثنتين وثلاثين ألف كيلو متر في هذه الرحلة، هذا رقمٌ يفوق حد التصور، قد يقول قائل: كيف عرف العلماء ذلك؟ إن طيوراً تؤخذ من أوكارها، يوضع في أرجلها حلقاتٌ معدنية، مع رموزٍ مكتوبةٍ على هذه الحلقات، وتؤخذ من المنطقة الجنوبية في الأرض، يعرف العلماء بهذه الطريقة هجرة الطيور، ومقدار ما تقطعه في هذه الرحلة الطويلة .

أيها الأخوة الأكارم، يقطع نوعٌ آخر من الطيور مسافة أربعة آلاف كيلو متر من دون أن يأكل شيئاً في فمه، ويطير بعض هذه الطيور ستاً وثمانين ساعة طيراناً مستمراً .

ما هي الدلالة العلمية التي أشارت إليها الآيات عن موضوع الطيور ؟

أيها الأخوة المؤمنون، ما علاقة هذه الحقائق بالخطبة؟ يقول الله سبحانه وتعالى:

(أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)

[سورة النحل الآية: 79]

ويقول الله سبحانه وتعالى:

(أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ)

[سورة النور الآية: 41]

وفي آيةٍ ثالثة في سورة الملك:

(أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ)

[سورة الملك الآية: 19]

معنى ذلك، أن الطير في السماء، هجرة الطيور، بُنية الطائر، هذه آياتٌ دالة على عظمة الله عزَّ وجل، وفي القرآن الكريم ثلاث آياتٍ محكماتٍ بيِّنات واضحات، تحضُّنا على التفكر في خلق الله عزَّ وجل، قال تعالى:

(أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)

[سورة النحل الآية: 79]

(أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ)

[سورة النور الآية: 41]

(أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ)

[سورة الملك الآية: 19]

03- طائر نقار الخشب

إليكم هذه الأجهزة المتينة في هذا الطير، وبيان وظيفتها :

أيها الأخوة المؤمنون، معلوماتٌ لا تصدق، طائرٌ من الطيور التي أبدعها الله سبحانه وتعالى، اسمه نقَّار الخشب، لا شكُّ أن أكثركم سمع به، ولكننا إذا دققنا في بنية هذا الطائر، نرى في صنعته إحكاماً يفوق حدَّ الخيال، له منقارٌ قويٌّ متين، ومعنى قوي أنه يقاوم قوى الضغط، ومعنى متين أنه يقاوم قوى الشد، يعمل تماماً كأداةٍ لخرق الخشب، إنه مثقب، صنعه الله من تركيبٍ عجيب؛ قوة، ومتانة، ومرونة،

وعضلات رقبة هذا الطائر قويةٌ شديدة، لأنَّ قوة العضلات وشدتها ضروريتان، لتأمين ضرباتٍ إيقاعيةٍ قويةٍ للمنقار .

كيف يخرق هذا الطائر الخشب؟ يقف على شجرة ويخرق جذعها بمنقاره حتى يصل إلى لُبِّهَا، وقد يكون في اللُّب حشرة فيصل إليها ويأكلها. أمَّا كيف يعرف هذا الطائر أن هذه الحشرة في المكان الفلاني؟ فهذا شيءٌ لا يعلمه أحدٌ حتى الآن، يقف هذا الطائر على شجرة في مكانٍ ما، ويثقب جذعها الثخين إلى أن يصل إلى لبِّها، وفي لبِّ هذه الشجرة تكون هناك دودة يتغذَّى عليها، كيف عرف موقع الدودة؟ لا أحد يعلم إلا الله، فلا بدَّ له من منقارٍ متينٍ، قويٍ مرنٍ، يخرق هذه الشجرة، وقد يكون الشجرُ من أقسى أنواع الخشب .

أما عضلات رقبته لا بدَّ من أن تكون قوية شديدةً ضرورية، لتأمين ضرباتٍ إيقاعية قوية للمنقار، الذي يعمل به كأنَّه أزميل، ولا بدَّ له من جمجمةٍ سميكة، ولكنها أعطيت مرونة بأربطة دقيقة متعامدة، ولا بدَّ لهذا الطائر من مخمِّدٍ للصدمات، هذه المخمدات للصدمات نسيجٌ ثخينٌ جداً بين المنقار والجمجمة، ولا بدَّ له من لسانٍ رفيعٍ طويلٍ بطول المنقار، ينتهي بسطحٍ خشن، عليه مادةٌ لزجة كي يصطاد حشرته المفضلة، ولا بدَّ له من أرجلٍ قصيرةٍ قوية لا تشبه الأرجل النحيلة لمعظم الطيور، لأنه سيستند عليها، وبحسب استناده عليها سيكون ضربه في الخشب قوياً، ولا بدَّ له من أصابع كالملزمة تماماً، اثنتان في المقدمة، واثنتان في المؤخِّرة، فهي كماشةٌ كاملة تعينه على التعلُّق المتين بلحاء الشجر، ولا بدَّ له في ذنبه من ريشٍ قاسي يستند به إلى جذع الشجرة، يستند بقائمتين قصيرتين قويتين، وبأربع كماشات على لحاء الشجرة، وبذنبٍ متينٍ يعينه على هذه، كي يوصل منقاره إلى لب الشجرة، قال تعالى:

(صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ)

[سورة النمل الآية: 88]

أيها الأخوة المؤمنون، يشبه هذا الطائر آلة معقدة جداً، آلة فيها كل إمكانات الثقب، استنادٌ قوي، مخمدٌ للضربات، للاهتزازات، منقارٌ متينٌ قوي، لسانٌ بطول المنقار ذو سطحٍ لزج، وعليه مادةٌ لزجة .

إبداع الخالق في صنعة الخلق :

يا أيها الأخوة المؤمنون، قال تعالى:

(قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى * قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ)

[سورة طه الآية: 49-50]

يعني أعطاه كمال خلقه، قال تعالى:

(سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى * الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى)

[سورة الأعلى الآية: 1-2]

أي سوى هذه الأجهزة متلائمةً مع وظيفة الطائر، هذا وظيفته أن يصل إلى لبِّ الشجرة ليأكل من الحشرات التي تؤذيها، فجُهزَّ بهذه الإمكانات، وهي لا تقلُّ عن أعقد آلات الثقب .

04- الحمام الزاجل

ورد في بعض أخبار السلف الصالح أن الأمير نور الدين الشهيد استخدم البريد الجوي حينما كان أميراً على بلاد الشام ومصر. ما هو البريد الجوي ؟ إنه الحمام الزاجل، وإن من الحمام الزاجل ما يزيد عن خمسمائة نوع. وإن هذا الحمام الزاجل، أو حمام الرسائل يمتاز بحدة الذكاء والقدرة الفائقة على الطيران، والغريزة القوية التي يهتدي بها إلى هدفه وموطنه وهو حيوان مستأنس أليف، يقول ربنا عز وجل:

(وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ (72))

(سورة يس)

من جعله ذكياً ؟ من جعله ذا غريزة قوية، من جعله أليفاً يألف الإنسان ؟ هذا الطير أيها الإخوة يقطع مسافة ألف كيلو متر من دون توقف في طيران مستمر، يقطعها بسرعة كيلو متر في الدقيقة الواحدة، أي ما يعادل ستين كيلو متراً في الساعة.

يعطي هذا الحمام الزاجل سنوياً تسعة أزواج من الزغاليل، أي هو طائرة تلد باستمرار. يهتدي هذا الحمام إلى هدفه بشكل لا يُصدق، يهتدي إلى إيصال هذه الرسائل بسرعة فائقة بالقياس إلى ذلك الزمان، والعلماء أيها الإخوة في حيرة من أمرهم، كيف يهتدي هذا الحمام إلى هدفه ؟

قال بعضهم: إن لهم قوة إبصار عجيبة يفوق بها الإنسان أضعاف المرات. وقال بعضهم: إنه يدرك بفطرته الاتجاهات الأرضية، وقال بعضهم: إن الاتجاهات الأرضية مزروعة في غرائزه، وقال بعضهم: إنه يتحسس خطوط القوة المغناطيسية على الأرض، وبها يهتدي إلى هدفه.

على كلٍ ؛ هذا الحمام الزاجل الذي سخره الله للإنسان لنقل الرسائل العاجلة في أيام ضعف التواصل، وفي أيام ضعف المخترعات آية من آيات الله عز وجل.

أيها الإخوة: كان السلطان نور الدين ينقش على منقار هذا الحمام اسمه، يعني رسالة خاصة بالسلطان نور الدين، وكان له ورق خاص يحمله ذو وزنٍ خفيف نسبياً، وكان هذا السلطان يستخدم ألفي حمام لنقل رسائله بينه وبين عماله في الأمصار.

هذا الحيوان الطائر الذي يطير ألف كيلو متر بدون توقف بسرعة ستين كيلو متر في الساعة، ويهتدي إلى هدفه بشكل عجيب حيّر العلماء آية من آيات الله عز وجل.

05- هجرة الطيور

ما هي العبرة من الآيات التي تذكر بشأن الطيور ؟

أيها الأخوة الكرام، ذكرت لكم في الخطبة السابقة، وفي الخطبة الثانية منها بالذات، موضوعاً عن الطيور، وذكرت الآيات الكريمة:

(أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)

[سورة النحل الآية: 79]

وذكرت لكم الآية التالية:

(أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ)

[سورة الملك الآية: 19]

قلت في الخطبة السابقة: هذه الآيات ماذا نفعل بها؟ أليس فيها حضٌ على التفكر في خلق السموات والأرض؟ أليس فيها حضٌ على التفكر في ظاهرة الطيور في السماء؟ في هذه الآية التي اختارها الله لتكون دليلاً على عظمته .

إليكم هذه البيانات عن المسافة التي تقطعها الطيور أثناء هجرتها :

أيها الأخوة الكرام، تناولت هذا الموضوع في الأسبوع الماضي بشكلٍ عام، أردت أن أركّز في هذه الخطبة، على هجرة الطيور فقط .

منذ أن عرف الإنسان الطيور، رآها تختفي في الخريف، وتظهر في الربيع، وقد قال العلماء: إنَّ هناك عشرات آلاف الملايين من الطيور، تهاجر كلَّ عام، ولا سيما من نصف الكرة الشمالي، إلى نصف الكرة الجنوبي، وبالذات إلى جنوب أمريكا، وجنوب إفريقيا، أما بلاد الهجرة، فأمريكا الشمالية، وأوروبا، وآسيا، هذه الطيور تتجاوز خط الاستواء إلى جنوب إفريقيا، وجنوب أمريكا .

وفي كلَّ الموسوعات العلمية يتحدثون، كيف توصَّلوا لهذه الحقائق؟ هناك ما يزيد عن أربعة ملايين طير، وضعت في أرجلهم حلقاتٌ معدنية، تبين هوية الطير وتحركاته، هناك مجموعة أخرى ثلاثة ملايين، هناك مجموعة ثالثة ثلاثة عشر مليون طير، وضعت في أرجلها يوم كانت صغيرة في

أعشاشها حلقات، كي تتابع حركاتها من الشمال إلى الجنوب، ومراكز البحوث كانت منتشرة بين شمال الكرة الأرضية، وبين جنوبها .

أيها الأخوة الكرام، هناك من الطيور من يقطع في رحلته، أربعة عشرة ألف كيلو متر، هناك طيور قطعت ستة عشر ألف كيلو متر، أطول رحلةٍ قامت بها مجموعة من الطيور ، قطعت اثنين وعشرين ألف كيلو متر، من منطقة المتجمد الشمالي، إلى جنوب إفريقيا .

تتراوح سرعة هذه الطيور بين الأربعين كيلو متر في الساعة، إلى مئة كيلو متر في الساعة، أما ثلاثمئة وستين كيلو متر، فهي أثناء انقضاض بعض الصقور، أما السرعة، من أربعين إلى مئة كيلو متر في الساعة .

هناك ملاحظاتٌ سجِّلت على بعض أنواع الطيور: أنها تطير ما يزيد عن ألفين وسبعة مئة كيلو متر من دون توقف، تقطعها في عشرين ساعة، من دون توقف إطلاقاً، وقد تحلّق على ارتفاع يزيد عن تسعمئة متر، وبعضها يحلق على ارتفاع ألف وخمسمئة متر، وبعضها على ارتفاع أربعة آلاف ومئتين متر، وفي بعض أنواع الطيور تحلق على ارتفاع ستة آلاف متر، والطائرات الحديثة ترتفع اثنا عشر كيلو متر.

كيف تعرف الطيور زمن هجرتها ؟

أيها الأخوة الكرام، لا بدَّ أن يكون في رأس الطيور ساعة، لأن الطيور تهاجر في الوقت ذاته من كلِّ عام، ما الذي يخبرها أنه قد آن الأوان؟ لا بدَّ من ساعةٍ زمنيةٍ في رأس كلِّ طير .

لحكمةٍ أرادها الله عزَّ وجل، كلِّ صفةٍ مادية في الإنسان، هناك حيوانٌ يفوقه بها، إلا أنَّ الإنسان كرمه الله بالعقل، وبالمعرفة، والإيمان، بهاتين الصفتين يتفوق على بقية المخلوقات ، أما إذ ترك العلم، وترك العقل، ما من إنسانٍ يعتد بأي خاصةٍ فيه، إلا وفي الحيوانات من يفوقه بها .

لماذا تخزن الطيور التي تقطع مسافات طويلة في سفرها الدهون في جسمها ؟

أيها الأخوة الكرام، مما يلفت النظر، أن الطيور التي تستعد لقطع مسافاتٍ طويلة، تزيد عن عشرين ألف كيلو متر، هذه تخزن الدهون في جسمها قبل أن تسافر، إلى أن هناك بعض الطيور، يصبح وزنها مضاعفاً، من الدهن المخزَّن في جسمها، ليكون هذا الدهن المخزن في جسمها وقوداً لها، في هذه الرحلة الطويلة الشاقة .

ما هو السر الذي بقي إلى الآن عن الطيور ولم يكتشف بعد :

مما يلفت النظر، أن هناك طيوراً تقطع عشرة آلاف كيلو متر فوق سطح البحر، دون أية علامة، ما الذي يهديها إلى أهدافها؟ كما قلت لكم في الأسبوع الماضي: لا يزال هذا سراً لا يعلمه أحد .

قالوا: التضاريس، ليس هناك تضاريس، قالوا: الشمس، أجريت تجارب، عزلوا الطير عن أشعة الشمس، فسار في الاتجاه الصحيح، قالوا: الساحة المغناطيسية للأرض، أعطوا الطير ساحة أخرى كهربائية، مغناطيسية، لم يتأثر اتجاهه بتغيِّر الساحة، قالوا: القبة السماوية ، عزلوه عن القبة السماوية، قالوا: الطائر يسجل في أعماقه انعطافات الرحلة في الذهاب، فوضعوه على قرص يدور كي تضيع هذه الانعطافات .

ما من فرضيةٍ وضعت إلا واكتشف أنها غير صحيحة، ولا يزال هذا السرُّ غامضاً حتى الآن، هذا معنى قول الله تعالى: ما يمسكهن إلا الله، أي مباشرةً، هدايةً من الله مباشرة .

إليكم هذه الآيات في هذه الطيور التي تدهش العقل وتبهر الأبصار :

أيها الأخوة الكرام، الشيء الذي يلفت النظر، أن الطيور الصغيرة التي ولدت حديثاً ، وضعت حلقاتٌ في أرجلها، سارت في رحلتها بشكلٍ صحيح، دون تعليمٍ من الطيور الكبيرة ، ما الذي أودع في هذه الطيور الصغيرة، هذه القدرة العجيبة على أن تهتدي إلى أهدافها؟ قال تعالى:

(قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى * قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى)

[سورة طه الآية: 49-50]

أيها الأخوة الكرام، الذي يلفت النظر أيضاً، أن خطوط الرحلة ليست مستقيمة، كيف أن الطائرة العادية، مسافة كذا كيلو متر، يتغير اتجاهها كذا زاوية، هناك خطط، وهناك طيار، وهناك مساعد طيار، وهناك رادارات، وهناك خرائط، وهناك توجيهات أرضية، وهناك اتصال مستمر مع الأرض، كي تبقى الطائرة في خط سيرها؟ قال: خطوط الرحلات للطيور ليست مستقيمة، إنها خطوط، فيها انعطافات، وانحرافات، وكأن هناك من رسم لها هذه الخطوط، وألهمها أن تسير فيها .

أيها الأخوة الكرام، طائرٌ وضع في قطار، أو في طائرة، وأبعد عن موطنه خمسة آلاف كيلو متر، أبعد نحو الشرق، أو نحو الغرب، أو نحو الشمال، وقد كان في قفص، محجوزاً عن الرؤية، عاد إلى موطنه بعد عشرة أيام، لذلك قال الله تعالى:

(أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)

[سورة النحل الآية: 79]

معنى ذلك أنك تؤمن من هذا الطريق، من طريق الآيات الكونية، قال تعالى:

(فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ)

[سورة الجاثية الآية: 6]

الباب العاشر:الحشرات



01-دودة القز

02-النحل

03-العسل

04-النمل

05-البعوضة

06-الذبابة

07-الجراد

08-العنكبوت

09-قرون الاستشعار في الحشرات

01- دودة القز

كيف تصنع دودة القز الحرير، وما ميزة هذه الخيوط، وما هي الألوان التي تنتجها ؟

أيها الأخوة المؤمنون، يقول ربنا سبحانه وتعالى:

(وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ)

[سورة الذاريات الآية: 20]

دودة القز يسميها العلماء: ملكة الأنسجة بلا منازع، إن هذه الدودة إذا لامس لعابها الهواء تجمَّد، فصار خيطاً حريرياً، هذا اللعاب مطليٌ بمادةٍ بروتينية، يعطيه لمعاناً لؤلؤياً، تستطيع هذه الفراشة أن تنسج ست بوصات في الدقيقة الواحدة، وطول خيطها، ثلاثمئة متر مستمر، وكل ثلاثمئة وستين شرنقة، أي كل ثلاثمئة وستين مضروبة بثلاثمئة متر، تساوي قميصاً حريرياً واحداً، فكم وزن هذا الحرير؟ لم يستطع الإنسان حتى الآن أن يقلّد خيط الدودة.

هذه الشرنقة خمسة وعشرين ألف شرنقة تضع رطلاً من الحرير، أي عشرة آلاف شرنقة تضع كيلو حرير واحد، وزنه خفيف، أمتن من الفولاذ، بمعنى لو أمكن أن يسحب الفولاذ بقطر خيط الحرير، لكان خيط الحرير أمتن من الفولاذ، جميلٌ، وبراقٌ، ومتينٌ، وخفيف، هذا من صنع الله عزَّ وجل، قال تعالى:

(صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ)

[سورة النمل الآية: 88]

هناك فراشٌ يصنع الحرير الذهبي، إن شئت حريراً فضياً، كاللؤلؤ تماماً، وإن شئت حريراً ذهبياً كالذهب تماماً، لون طبيعي، لا يتأثر بالشمس، ولا يحتاج إلى صبغ، ولا يحتاج إلى تثبيت، صنع من؟ تقدير من؟ ترتيب من؟ .

إليكم البناء الهندسي لبيت العنكبوت :

أيها الأخوة، بينما العنكبوت تنسج خيوطاً، بعضها متينٌ جاف لبناء البيت، وبعضها لينٌ لزج لاصطياد الحشرات، والتي تنسج البيت هي الأنثى، قال تعالى:

(كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً)

[سورة العنكبوت الآية: 41]

بالتاء المؤنثة اتخذت بيتاً، قال تعالى:

(كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ)

[سورة العنكبوت الآية: 41]

يبنى بيت العنكبوت على أحدث معطيات الهندسة، يبنى على شكل أشعة الشمس، مركزٌ، وخطوطٌ شعاعية، وخطوطٌ دائرية، الخطوط الدائرية تحافظ على المسافة بين الأشعة، والشعاعية تنطلق من المركز، وتثبت في أطراف الجدر، هذا هو البيت، من خيوطٍ، متينةٍ، جافة، وهناك خيوطٌ أخرى بمثابة الشباك، تنسجها العنكبوت، لزجة، تهتز، فتعرف أن الشبكة قد صادت، تأتي العنكبوت، فتجرح الحشرة، تبث فيها السم، ومع السم مادةٌ مذيبة، تصبح أحشاءها كلها سائلة، تمتص هذا السائل، تأكل عصيراً فقط، تبث مادةً مذيبة، فتجعل أحشائها سائلة، ثم تمتص العصير، قال تعالى:

(صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ)

[سورة النمل الآية: 88]

أصغ السمع لهذه الآيات :

يا أيها الأخوة الأكارم، هذه الآيات التي بثها الله في الأرض، من أجل نعرفه، من أجل أن نعرف عظمته، علمه، رحمته، خبرته، قدرته، غناه، أسماء الله الحسنى كلُّها يمكن أن نستشفها من خلق السموات والأرض، قال تعالى:

(إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ)

[سورة فاطر الآية: 28]

(إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)

[سورة آل عمران الآية: 190-191]

يتفكرون: فعل مضارع، يفيد الاستمرار، هو واقف، هو جالس، هو قاعد، في عمله، في بيته، في الطريق، مع أصحابه، وهو يعمل عملاً، وهو يستمتع متعةً، قال تعالى:

(وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ)

[سورة آل عمران الآية: 191]

يا أيها الأخوة الأكارم، فكروا فيما حولكم، فكروا في خلقكم، فكروا في أنفسكم، فكروا في أولادكم، فكروا في حاجاتكم، فكروا في هذا الصوف، من أين جاء؟ خيط الصوف، يبقى في أعلى مستوى، خيطٌ مفرغ، ذو طولٍ محدد، الخيوط الصناعية اليوم، تقلّد خيط الصوف في طوله، إن بإمكان الآلات الحديثة أن تصنع خيطاً مستمراً، ولكن الخيط المثالي هو الخيط الذي بطول خيط الصوف، فإذا نسج، وحبك كان فيه مرونة، هذه المرونة تريح الذي يرتدي هذه الثياب .

أيها الأخوة الأكارم، آيات الله عزَّ وجل بين أيدينا، وفي بيوتنا، وفي أعمالنا، وفي ما حولنا، في السماء، في الأرض، في الطول، في العرض، في كل شيء،

وفي كل شيءٍ له آية تدلُّ على أنه واحد

هذا الفكر، لا ينبغي أن تعطله، لا ينبغي أن تسخِّره لأهدافٍ بسيطة، صغيرة، قميئة، ساذجة، سخيفة، إنه خُلق ليعرف الله به، شرِّفه بمعرفة الله، ولا تدنِّسه بالكيد للناس، شرفه بمعرفة الله عزَّ وجل .

02- النحل

ما وظيفة النحل في الأرض، وكم سرعة النحلة في طيرانها وهبوطها من أجل أن تقوم بوظيفتها ؟

أيها الأخوة المؤمنون، النحل من آيات الله الدالة على عظمته، قال تعالى:

(وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي)

[سورة النحل الآية: 68]

هذه الياء، ياء المؤنثة المخاطبة، وكأن الآية منصبة على الإناث، قال تعالى:

(وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ * ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)

[سورة النحل الآية: 68-69]

أيها الأخوة الأكارم، النحل هو الحشرة الوحيدة التي تستطيع تخزين رحيق الأزهار من أجل الغذاء، وهي فضلاً عن بنائها لخلاياها، وتصنيعها للشمع والعسل، فهي تقوم بعملٍ جليل، وهو تلقيح الأزهار، ومن دون تدخل النحل، فإن عدداً كبيراً من النباتات لا يثمر .

تزور النحلة ما يزيد عن ألف زهرة، لكي تحصل على قطرةٍ من الرحيق، تحتاج القطرة الواحدة من الرحيق إلى أن تحط النحلة على ألف زهرة أو أكثر، ومن أجل أن تجمع النحلة مئة غرام من الرحيق، مئة غرام فقط، تحتاج إلى مليون زهرة .

سرعة النحلة في طيرانها، تزيد عن خمسٍ وستين كيلو متر في الساعة، تقارب سرعتها سرعة السيارة، فإذا كانت محملة برحيق الأزهار، تهبط سرعتها إلى ثلاثين كيلو متر في الساعة، ولا تنسوا أن حمولة النحلة من رحيق الأزهار، يعادل ثلثي وزنها، ويحتاج الكيلو الواحد من العسل إلى طيرانٍ يعادل أربعمئة ألف كيلو متر تقريباً، يحتاج الكيلو الواحد من العسل إلى عشر دوراتٍ حول الأرض في خط الاستواء .

هل تضيع النحلة من وقتها شيئاً، وماذا تفعل إذا كان موسم الخير كثير ؟

حدثني بعض الأصدقاء: أن بعض الدول المتقدمة في الصناعة، تأخذ المواد الأولية من قارة، وفي طريقها إلى المصانع تجري على هذه المواد، عملياتٌ كثيرة في الباخرة نفسها ، كسباً للوقت، وتوفيراً للجهد، فإذا ابتدع هؤلاء هذه الطريقة، يأخذون بعض الفلزات من قارة ، وفي طريقها إلى بلد التصنيع، تجري على هذه المواد عملياتٌ معقدة، كسباً للوقت، وتوفيراً للجهد، فإن النحلة سبقتهم في هذا أشواطاً كثيرة، إنها أثناء طيرانها تجري على الرحيق تبدلاتٍ كيماوية كثيرة .

إذا كان موسم الأزهار غزيراً، فإنها تعطي حمولتها لنحلةٍ أخرى، وتعود سريعاً، لكسب الوقت، وجني رحيق الأزهار، وإذا كانت الغزارة قليلة، فإنها تدخل بها إلى داخل الخلية ، وتضعها في المكان المناسب .

ما هي المهنة التي تقوم بها الملكة في الخلية، وما وظيفتا الذكور والإناث في الخلية ؟

أما الملكة فهي أكبر حجماً، وتضع كل يومٍ من ألفٍ إلى ألفي بيضة، والذي يأخذ بالألباب، أن هذه الملكة تضع الملكات في مكان، والذكور في مكان، والإناث في مكان، وكأنها تعرف نوع المولود قبل الولادة، وهذا يعجز عنه البشر .

لو أن امرأةً درست الطب، وتخصصت في الأمراض النسائية، وفي الولادة، وتزوَّجت ، وحملت، هل تعرف ما في بطنها؟ إن ملكة النحل، تعرف أن في بطنها ذكراً، أو أنثى، أو ملكة، حينما تأتي لتضع البيض، تضعه في المكان المناسب، والعاملات منهن، ما يأتينً بالطعام الخاص بالملكة، ويسمي علماء النحل هذه النحلات بالوصيفات .

إذا ماتت الملكة تضطرب الخلية، ويلاحظ الإنسان هذا التبدل، وحُمة الملكة لا تلدغ الإنسان، بل تلدغ ملكة أخرى تنافسها على منصبها، لذلك الذكور مهمتها تلقيح الملكات، والإناث عاملات، والملكة مهمتها الولادة .

أليس عالم النحل من الآيات الدالة على عظمة الخالق ؟

أيها الأخوة المؤمنون، هذه آية من آيات الله عزّ وجل، آيةٌ دالةٌ على عظمته، قال تعالى:

(وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ * ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)

[سورة النحل الآية: 68-69]

الحديث عن العسل طويل، العسل إلى أن يكون دواءً أقرب منه إلى أن يكون غذاءً، إنه صيدلية مجمعة في هذا الشراب .

أيها الأخوة المؤمنون، التفكُّر في آلاء الله سبحانه وتعالى، بابٌ كبيرٌ من أبواب المعرفة، فلا تغلقوا هذا الباب، اجعلوه مفتوحاً على مصارعه، والآيات التي بثها الله سبحانه وتعالى، لا تعدُّ ولا تحصى .

03- فوائد العسل

متى أشير إلى أن النحل له قيمة علاجية ؟

أيها الأخوة الكرام، من الآيات التي تنضوي تحت باب الإعجاز العلمي في القرآن، أو ما يسميه بعض علماء القرآن: السبق العلمي في القرآن الكريم، هو أن الله سبحانه وتعالى ذكر أن للعسل شفاء للناس، قال تعالى:

(فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ)

[سورة النحل الآية: 69]

حينما نزل القرآن الكريم على النبي عليه أتم الصلاة والتسليم، لم يكن للعسل في نظر الناس إلا قيمةٌ غذائية، وليست علاجية، فالقرآن أشار إلى هذا قبل آلاف السنين، أو قبل ألف وخمسمئة عام .

ما هي المادة الفعالة التي تحرك العسل إلى علاج، وما هي فوائد العسل ؟

قال بعض العلماء: إن أساس قيمة العسل العلاجية، هو وجود أنزيمات نشيطة، ولهذه الأنزيمات خاصة أنها سريعة التأثر، والتلف بالتسخين، فلو خُزِّن العسل شهراً بدرجة ثلاثين، يفقد معظم خصائصه بدرجة عشرين، يفقد معظم خصائصه فوق سنة، أي يجب أن يحافظ على وضعه الطبيعي، دون أن يسخَّن، دون أن يخزن بمكان حار .

أيها الأخوة الكرام، وينبغي أن يفرَّق بين العسل الحقيقي الذي هو جني رحيق الأزهار، وبين العسل المزيف الذي هو جني الماء والسكر، الذي يوضع على مقربةٍ من خلايا النحل، تأثير هذا العسل

المزيَّف ضعيفٌ جداً، حتى الإنسان لا يقع بخيبة أمل، إله الكون يقول : (فيه شفاء للناس)، ولا يرى هذه النتائج الباهرة، العسل الذي هو جني رحيق الأزهار، فيه الخصائص التي ذكرها العلماء، أما هذا الذي يكون من نتاج ماءٍ وسكر، يوضعان إلى جانب الخلايا، في موسمٍ مديد، هذا عسلٌ مزيف، لا يحتوي على عشرين بالمئة من خصائص العسل الحقيقي .

أيها الأخوة الكرام، الموضوع الذي وعدتكم به، وجدته لا يتسع لا لخطبةٍ، ولا إلى خطب عامٍ بأكمله، بحوثٌ، ودراساتٌ، وتجارب دقيقةٌ جداً، أجريت على آثار العسل في الجهاز الهضمي، والجهاز العصبي، والجلد، والكبد، والأمعاء، وعلاقته بمرضى السكر، وعلاقته بالتوتر العصبي، وبالأرق، وبأمراض الحساسية، والجهاز التنفسي، وجهاز القلب والدوران، إذا راجعتم المراجع التي تتحدث عن قيمة العسل العلاجية، لوجدتم أن كل أجهزة الجسم من دون استثناء، تتأثر تأثراً إيجابياً وسريعاً بالعسل الحقيقي، الذي يؤخذ من رحيق الأزهار .

فيا أيها الأخوة الكرام، يعني من باب التقريب، التهابات الأمعاء الحادة، يشفيها العسل، لأنه سريع الامتصاص، يمنع التعفن في الأمعاء، التحكم بعضلات المثانة البولية، العسل له دورٌ إيجابيٌ فيها، تحسين نمو العظام من أثار العسل، علاجٌ ممتاز للمصابين بتقرحات المعدة والأمعاء، ومعظم أمراض الجهاز الهضمي، لا يؤذي العسل مرضى السكر، لأنه عسل أحادي، سكر أحادي سريع الهضم، يتأثر التوتر العصبي إيجابياً بتناول العسل، يزول الأرق بتناول العسل، أمراض الحساسية، أمراض الجلد، حتى أن الأطباء الآن يضعون على الجروح قبل أن تلتئم العسل، لأن سرعة التئام الجروح عن طريق العسل ثلاث أضعاف التئامها بالضمادات العادية .

أيها الأخوة الكرام، موضوعٌ وعدتكم به لا تتسع له عشرات الخطب، ولكن أرجو الله سبحانه وتعالى، أن يكون هذا الموضوع ملخص لكلمة، قال تعالى: (فيه شفاء للناس) وبدل أن يأخذ الإنسان الأدوية الغالية، عليه أن يستعين بهذا الشراب الصافي، الذي أودع الله فيه، هذه الخصائص المذهلة .

قال العلماء: في العسل سبعين مادة دوائية، تكاد تكون لعقة العسل صيدليةٌ كاملة، سبعين مادة دوائية في العسل، غير السكر، أنزيمات، فيتامينات، معادن اثنا عشر نوع من السكريات، وكل نوع له فوائد خاصة، ولا يزال هذا الموضوع قيد البحث، والعلماء قدَّموا شيئاً وغابت عنهم أشياء .

04- النمل

إليكم الوصف الدقيق لحياة النمل:

ما دام الحديث عن التعاون، وهو أمر تكليفي كلف به هذا المخلوق الأول المكرم، وهو الإنسان، إن هذا يذكرني بأروع صورة من صور التعاون في مجتمع النمل، ولكن بأمر تكويني لا بأمر تكليفي. النملة حشرة اجتماعية راقية موجودة في كل مكان، وفي كل وقت، بل إن أنواع النمل تزيد عن تسعة آلاف نوع، وبعض النمل يحيا حياة مستقرة في مساكن محكمة، وبعض النمل يحيا حياة الترحال كالبدو تماماً، وبعضه يكسب رزقه بجده وسعيه، وبعضه يكسب رزقه بالغدر والسيطرة، والنمل حشرة اجتماعية تموت إذا عُزلت عن أخواتها، ولو توافر لها غذاء جيد ومكان جيد وظروف جيدة. والنملة تعلم الإنسان درساً بليغاً في التعاون، فإذا التقت نملة جائعة بأخرى شبعى تعطي الشبعى الجائعة خلاصات غذائية من جسمها، ففي جهازها الهضمي جهاز ضخ تُطعم به الجائعة،

دققوا في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: والله ما آمن، والله ما آمن، والله ما آمن، من بات شبعان، وجاره جائع إلى جنبه، وهو يعلم، ومن لم يتفقد شؤون المسلمين فليس منهم .

المهمات التي تقوم بها كل نملة حسب موضعها: أيها الأخوة الكرام، للنمل ملكة كبيرة الحجم مهمتها؛ وضع البيوض، وإعطاء التوجيهات، ولها مكان أمين في مساكن النمل، وهي على اتصال دائم بكل أفراد المملكة، والنملات العاملات لها مهمات متنوعة. من مهمات العاملات؛ تربية الصغار، وهذا يشبه قطاع التعليم، وفي النمل عساكر لها حجم أكبر، ولها رأس صلب كأن عليه خوذة، وهذا يشبه قطاع الجيش في حراسة الملكة، وحفظ الأمن ورد العدوان، ومن مهمات العاملات؛ تنظيف المساكن والممرات، وهذا يشبه قطاع البلديات، ومن مهمات العاملات؛ سحب جثث الموتى من المساكن، ودفنها في الأرض، وهذا يشبه مكاتب دفن الموتى، ومن مهمات العاملات؛ جلب الغذاء من خارج المملكة، وهذا يشبه قطاع المستوردين، ومن مهمات العاملات؛ زرع الفطريات، وهذا يشبه قطاع الزراعة، ومن مهمات العاملات؛ تربية حشرات تعيش النمل على رحيقها، وهذا يشبه قطاع مربي الماشية. يبني النمل المدن، ويشق الطرقات، ويحفر الأنفاق، ويخزن الطعام في مخازن، وفي صوامع، يقيم بعض أنواع النمل الحدائق، ويزرع النباتات، ويقيم بعض أنواع النمل حروباً على قبائل أخرى يأخذ الأسرى من ضعاف النمل المهزوم، دققوا الآن في قوله تعالى:

(وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ)

[سورة الأنعام الآية: 38]

إليكم بيان الله في هذه الآية عن النمل: أيها الإخوة

قال تعالى:

(حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ)

[سورة النمل الآية: 18]

لقد أثبت الله جل جلاله من خلال هذه الآية للنمل الكلام، ونوعاً من المعرفة، للنملة مخٌّ صغير، وخلايا عصبية، وأعصاب لتقدير المعلومات، والخرائط كي تهتدي بها إلى مواقع الغذاء، وإلى أوكارها. تملك النملة نوعاً من التصرف العقلاني، وهي من أذكى الحشرات، وهي ترى بموجات ضوئية لا يراها الإنسان، ولغة النمل كيماوية، لها وظيفتان: التواصل والإنذار، فلو سحقت نملة فإن رائحة تصدر عنها، تستغيث بها النملات أو تحذرها من الاقتراب من المجزرة، ولا تستطيع نملة دخول وكرها إلا إذا بينت كلمة السر. للنمل جهاز هضم مدهش فيه؛ فم ومري ومعدة وأمعاء وجهاز مص وجهاز ضخ.

أيها الأخوة الكرام، أختم هذا الموضوع بقول الإمام علي كرم الله وجهه: انظروا إلى النملة في صغر جثتها، ولطافة هيئتها، لا تكاد تنال بلحظ البصر، ولا بمستدرك الفكر، كيف دبت على أرضها، وصُبت على رزقها؟ تنقل الحبة إلى جحرها، وتعدها في مستقرها، تجمع من حرها لبردها، وفي وردها لصدرها، مكفولة برزقها، مرزوقة بوسقها، لا يغفلها المنان، ولا يحرمها الديان، ولو في الصفا اليابس، والحجر الجامد، ولو فكرت في مجاري أكلها في علوها وسفلها، وما في الجوف من شراسيف بطنها، وما في الرأس من عينها وأذنها، لقضيت من خلقها عجباً، ولقيت من وصفها تعباً، فتعالى الله الذي أقامها على قوائمها، وبناها على دعائمها، لم يشركه في فطرتها فاطر، ولم يعنه على خلقها قادر.

05-البعوضة

إليكم الأجهزة الموجودة في البعوضة :

أيها الأخوة المؤمنون، من آيات الله الدالة على عظمته، قوله تعالى:

(إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آَمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ)

[سورة البقرة الآية: 26]

إذا وقفت بعوضة على يدك تقتلها، ولا تشعر بشيء، وكأن شيئاً لم يحدث، لهوانها عليك، لا شأن لها، حتى أن النبي عليه الصلاة والسلام، قال: عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ))

[أخرجه الترمذي عن سهل بن سعد الساعدي في سننه]

هل تصدق أن في هذه البعوضة جهاز رادار تتجه وهي في ظلمة الليل إلى الإنسان النائم على فراشه، من دون أن تخطئ الهدف، وهل تصدق أن في هذه البعوضة جهازاً لتحليل الدم، قد يعجبها دم هذا النائم، ولا يعجبها دم أخيه، فتعكف على الأول، وتترك الثاني، وهل تصدقوا أن للبعوضة جهازاً لتمييع الدم، لأن لزوجة الدم لا تعينها على امتصاصه في المنطقة التي تلدغ بها، تفرز مادةً تميِّع بها الدم، وهل تصدق أن هذه البعوضة تملك جهازاً للتخدير، لأنها لو وقفت على جلدك، وغمست خرطومها في جلدك، وشعرت بها لقتلتها قبل أن تأخذ من دمك شيئاً، لكنها تخدر؟ .

كم قلب للبعوضة، وما وظيفتا المخالب والمحاجم عند البعوضة ؟

أيها الأخوة، هذه البعوضة إذا طارت، سُمع لها طنين، ومعنى الطنين، أن عدد خفقان أجنحتها أربعة آلاف خفقةٍ في الثانية الواحدة، وأن لها ثلاثة قلوب؛ قلبٌ مركزي، وقلبٌ لكل جناح، وأن في أرجلها محاجم، وأن في أرجلها مخالب، فإذا وقفت على سطحٍ خشن تستخدم المخالب، وإذا وقفت على سطحٍ أملس تستخدم المحاجم، قال تعالى:

(إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ)

[سورة البقرة الآية: 26]

06-الذبابة

إليكم الحديث عن هذا المخلوق الذي ضرب الله به المثل في قرآنه :

أيها الأخوة المؤمنون، يقول الله تعالى :

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ)

[سورة الحج الآية: 73]

ضرب الله سبحانه وتعالى للناس مثلاً الذبابة، هذا المخلوق الضعيف المستقذر الذي يتكاثر بسرعةٍ جنونية .

لو أنك رششت مكاناً موبوء بالذباب، وقضيت على كل الذباب إلا ذبابة واحدة، هذه الذبابة ستنجب جيلاً من الذباب، يقاوم هذه المادة التي رششتها في هذا المكان، تصنيع مضادات تقاوم المضادات الحيوية عند الذباب شيءٌ لا يصدق، الذباب تصنّع الذبابة في أجهزتها الدقيقة مضاداً يكسبها مناعة ضد أي شيء يقضي عليها .

شيء أخر، حتى أن الذباب إذا مات بالبرد، ينجب جيلاً يقاوم البرد، قال تعالى:

(وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ)

[سورة الحج الآية: 73]

كّبرت عين الذبابة مئات المرَّات، فكان من هذا التكبير العجب العجاب، آلاف العدسات المرصوصة إلى جانب بعضها بعضاً، تحقق للذبابة رؤية شاملة .

إن الذبابة، هذا المخلوق الضعيف، الذي يشمئز الناس منه، تستطيع أن تناور مناورةً لا تستطيع أعظم الطائرات الحربية، وأحدثها أن تفعل فعلها، إنها تسير بسرعاتٍ فائقة بالنسبة إلى حجمها، وتستطيع أن تنتقل فجأةً إلى زاويةٍ قائمةٍ، وتستطيع أن تسقط إلى السقف، وهذا شيءٌ لا تستطيع طائرةٌ في الأرض أن تفعله، قال تعالى:

(ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ)

[سورة الحج الآية: 73]

مقالة علمية صدرت عن ما تحويه أحد أجنحة الذباب من شفاء :

أما الذي يلفت النظر، في حديث سيِّد البشر، أن النبي عليه الصلاة والسلام، قال:

((إذَا وَقَعَ الذُّبَابُ فِي إِنَاءِ أَحَدِكُمْ فَلْيَغْمِسْهُ كُلَّهُ، ثُمَّ لِيَطْرَحْهُ، فَإِنَّ فِي أَحَدِ جَنَاحَيْهِ شِفَاءً، وَفِي الآخَرِ دَاءً))

أكَّد العلم الحديث صحة هذا الحديث، فقد كشف أن في بعض جناحي الذبابة مادةٌ ترياقية، مضادةٌ للجراثيم، ولأنواع الميكروبات، فإذا علق بأرجل الذبابة بعض الجراثيم، أو الميكروبات، أو البكتريات الضارة، ووقع هذا الذباب في سائل، فعليك أن تغمس الجناح الثاني من باب الاحتياط، فإن في بعض الأجنحةٍ دواء، الترياق المضاد لهذه الجراثيم، هذا الذي كشفه العلم حديثاً نشرت أخيراً في مجلةٍ عربيةٍ، مقالةٌ مفصلةٌ تعتمد على أدقِّ البحوث، قد ترجمت عن مقالةٍ أجنبيةٍ، تؤكد هذه الحقيقة .

ما هي الأجهزة التي تمتلكها البعوضة، وكم قلب لها ؟

قال تعالى:

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ)

[سورة الحج الآية: 73]

إن البعوض، والشيء بالشيء يذكر، تملك جهازاً رادارياً، وجهاز تحليلٍ للدم، وجهاز تخدير، وجهاز تمييع، تميِّع الدم، وتخدِّر الإنسان، وتمتص دمه، وتعرف مكان الرجل من دون أن تراه، وفي أرجلها محاجم، ومخالب، فإذا وقعت على سطح أملس، تستخدم المحاجم، وإذا وقعت على سطح خشن، تستخدم المخالب، ولها ثلاثة قلوب، قلب مركزي، ولكل جناح قلب، وجناح البعوضة، يرفُّ أربعة آلاف رفةٍ في الثانية الواحدة، لذلك يرتقي صوتها إلى مستوى الطنين، قال ربنا عز وجل:

(إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ)

[سورة البقرة الآية: 26]

هذه ذبابة، فإذا كان الخلق مجتمعين في أرقى عصورهم مع تقدم العلم عاجزين عن أن يخلقوا ذباباً، قال تعالى:

(وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ)

[سورة الحج الآية: 73]

هذه الحقيقة التي جاء بها النبي عن الذباب ، علام تدل ؟

هذا الحديث النبوي، كيف عرف النبي هذه الحقيقة؟ من أين عرفها؟ أكان هناك تحليلٌ عنده؟ أكان هناك معامل للتحليل؟ أكان هناك ميكروسكوبات؟ كيف قال النبي الكريم:

((فَإِنَّ فِي أَحَدِ جَنَاحَيْهِ شِفَاءً، وَفِي الآخَرِ دَاءً؟))

وكيف؟ وكيف أن العلم الحديث أثبت ذلك؟ .

يا أيها الأخوة المؤمنون، القول الثابت أن النبي عليه الصلاة والسلام في أقواله، لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، بل إن ما تواتر من السنة المطهَّرة قطعي الثبوت، ومنه ما هو قطعي الدلالة، ومن أنكره فقد كفر .

فكر وتأمل :

أيها الأخوة المؤمنون، دققوا في آيات الله التي بثها في الأرض والسماء:

(قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)

[سورة يونس الآية: 101]

(وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ)

[سورة الذاريات الآية: 21]

07-الجراد

إليك هذه الدراسة عن هذا الجند من جنود الله:

أيها الأخوة المؤمنون، يقول الله سبحانه وتعالى:

(وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ)

[سورة المدثر الآية: 31]

جنود الله عزَّ وجل لا يعلمها إلا الله، نسمع من حينٍ لآخر أن أسراباً من الجراد تنتقل من بلدٍ إلى بلد، وتكافح في هذا البلد، وتفلت من أيدي المكافحين في بلدٍ آخر، هذه الجرادة التي تبدو للناس ضعيفة شيءٌ خطيرٌ جداً.

يقول بعض العلماء: إنَّ كمية الطعام التي تأكلها الجرادة يومياً تعادل وزنها، فإذا كان سربٌ من الجراد يزن ثمانين ألف طن، فهو يأكلُ في اليوم الواحد ثمانين ألف طنٍ من المواد الغذائية، ولعلَّ اسمه يشير إلى ذلك، لا يدع شيئاً لا من أوراق الأشجار، ولا من ثمارها، ولا من لحائها، لا تبقي ولا تذر.
أيها الأخوة الأكارم، يتواجد في الكيلو متر الواحد المربع من أسراب الجراد ما بين مئة مليون، ومئتي مليون جرادة، ويزيد طول بعض أسراب الجراد عن أربعمئة كيلو متر، ويضم بعض أسراب الجراد أكثر من أربعين ألف مليون جرادة، بعض هذه الأسراب تزن ما يعادل ثمانين ألف طن، ويستطيع هذا السرب أن يلتهم من المزروعات يومياً، ما يعادل ثمانين ألف طن يومياً، أي هذا تحت قوله تعالى:

(وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ)

[سورة المدثر الآية: 31]

أسراب الجراد من جنود الله سبحانه وتعالى، مرض الإيدز من جنود الله سبحانه وتعالى، في بعض البُلدان يحمل هذا المرض أكثر من خمسة وثلاثين مليون شخص، وهذا المرض حتى الآن لا علاج له إذا داهم الإنسان، أصبحت حياته قضية أيامٍ، أو قضية أشهرٍ معدودة.

كيف تنجو الأمة المسلمة من هذا البلاء ؟

أيها الأخوة المؤمنون، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يقينا هذه الآفة، أدعو الله سبحانه وتعالى أن يصرف عنا هذا البلاء، زكّوا عن أموالكم، فالنبي عليه الصلاة والسلام يقول: الزكاة تدفع البلاء، بهذا المعنى. فيا أيها الأخوة المؤمنون، ليس لنا إلا الصلح مع الله، إذا رجع العبد إلى الله، نادى منادٍ في السموات والأرض، أن هنِّئوا فلاناً فقد اصطلح مع الله، ليس أمامنا إلا أن نصطلح معه، إن تابوا فأنا حبيبهم، وإن لم يتوبوا فأنا طبيبهم، أبتليهم بالمصائب، لأطهرهم من الذنوب والمعايب، الحسنة عندي بعشر أمثالها وأزيد، والسيئة بمثلها وأعفو، وأنا أرأف بعبدي من الأم بولدها .

08- العنكبوت

إليكم هذه الآيات التي تنطق بهذه الحقيقة :

أيها الأخوة الكرام، يقول الله عزَّ وجل في كتابه الكريم:

(مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ)

[سورة العنكبوت الآية: 41]

بيت العنكبوت أوهن بيتٍ على الإطلاق، في نص هذه الآية:

(وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ)

[سورة العنكبوت الآية: 41]

قال العلماء: (إنَّ) تفيد التوكيد، (إنَّ) حرف مشبه بالفعل، يفيد التوكيد، إن أوهن البيوت، (واللام) لبيت، لام المزحلقة أساسها لام التوكيد، زحلقت من اسم إن إلى خبرها، إذن هناك توكيدان في الآية، قال تعالى:

(مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ)

[سورة العنكبوت الآية: 41]

ويقول الله عزّ وجل:

(وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ)

[سورة العنكبوت الآية: 43]

ما قال: إلا عالمون، وإنما إلا العالمون، وهذا التعريف يفيد التخصص، أي علماء الحشرات وحدهم، يعلمون سرَّ هذه الآية .

جاء في بعض التفاسير: أن بيت العنكبوت ضعيفٌ، لأنه لا يغني عنها من حرٍ، ولا من قر، ولا من مطرٍ، ولا من رياح، وهو ضعيفٌ لتفاهته، وحقارته، هكذا ورد في بعض التفاسير .

إليكم ما كتب عن بيت العنكبوت :

لكن أستاذاً في علم الحشرات، في كلية العلوم، في جامعة القاهرة، قال في بعض كتبه العلمية: كمثل العنكبوت اتخذت بيتا، في الآية إعجازٌ علمي، لأنَّ التي تبني البيت، هي الأنثى ، جاءت تاء التأنيث كمثل العنكبوت اتخذت بيتا، قال: الأنثى هي التي تغزل البيت، هي التي ترغِّب الذكر بالدخول إلى البيت، حيث تقوم أمامه بحركاتٍ مغرية، وتسمعه بعض الألحان الطنانة، فيأوي إلى بيتها، وبعد التلقيح تأكله، وتفترسه، وتأكل أولادها من بعد، ويأكل أولادها بعضهم بعضاً .

فضعف البيت، لا من ضعف بنيته، بل من ضعف علاقته الداخلية، وقد يجمع الضعفان في ضعفٍ واحد .

استنباط لطيف :

أيها الأخوة الكرام، مرةً ثانية، العنكبوت الأنثى هي التي تبني البيت، تغزل البيت، وترغب الذكر بالدخول إلى البيت، وتقوم أمامه بحركاتٍ مغريةٍ، وتسمعه ألحاناً طنانة، فيأوي إلى بيتها، ثمَّ بعد التلقيح، تفترس الذكر، وتأكل بعد ذلك أولادها، والأولاد يأكلون بعضهم بعضاً، فهو بيتٌ متداعٍ، مفكك، فضعف البيت يأتي من أين؟ من ضعف العلاقات فيما بين أفراد الأسرة .

قال بعض خطباء دمشق، مستنبطاً استنباطاً لطيفاً، إن الذي يسمح لزوجته، أن تطغى عليه، ويخضع لمشيئتها، ينساق إلى أوامرها إن هم كالأنعام بل هم أضلُّ سبيلا، لأن جنس الحيوان الأنثى فيهم أقوى من الذكر، وقد ورد في بعض الأحاديث، قال عليه الصلاة والسلام:

((إِذَا كَانَ أُمَرَاؤُكُمْ خِيَارَكُمْ، وَأَغْنِيَاؤُكُمْ سُمَحَاءَكُمْ، وَأُمُورُكُمْ شُورَى بَيْنَكُمْ، فَظَهْرُ الأَرْضِ خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ بَطْنِهَا، وَإِذَا كَانَ أُمَرَاؤُكُمْ شِرَارَكُمْ، وَأَغْنِيَاؤُكُمْ بُخَلاءَكُمْ، وَأُمُورُكُمْ إِلَى نِسَائِكُمْ، فَبَطْنُ الأَرْضِ خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ ظَهْرِهَا))

[أخرجه الترمذي عن أبي هريرة في سننه]

ما وراء هذه الآيات :

أيها الأخوة الكرام، ذكرت هذه الآية، لأن الله عزَّ وجل حينما قال:

(وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ)

[سورة العنكبوت الآية: 43]

(كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ)

[سورة العنكبوت الآية: 41]

المسلمون اليوم في محنتهم مع أعدائهم، اليهود من ورائهم، إذا اعتمدوا على غير الله، وركنوا إلى قوى الأرض، واستسلموا لها، قال تعالى:

(كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ)

[سورة العنكبوت الآية: 41]

09- قرون الإستشعار في بعض الحشرات

إليكم هذه المراصد عند بعض الحشرات ووظيفة كل منهما :

أيها الأخوة المؤمنون، اخترع الإنسان المراصد، ليرصد حركات النجوم، ليرصد الأجسام المتحركة، ليرصد المُناخ، من يصدق: أن في الكائنات الحية (قرون استشعار) تقوم بوظائف يعجز عنها الإنسان، في الحشرات الدنيا التي تحتقرها، فيها أجهزة تضاهي أدق الأجهزة التي اخترعها الإنسان .

قال العلماء: إن في بعض الحشرات قرون استشعار، فيها مستقبلات كيميائية، تستقبل الروائح والعطور، وروائح المواد، فتبني حركتها، وبحثها عن رزقها، وفق المعطيات التي تقدمها هذه المستقبلاتٌ الكيميائية، هذه ليست بشيء .

في بعض الحشرات، قرون استشعار، فيها مستقبلات ميكانيكية، تسمع بها الأصوات ، تحس بها بحركة الرياح .

شيء آخر، بعض الحشرات تأتي فوراً بمجرد أن يكون هناك مادة حلوة، كيف أتت؟ إنها أتت عن طريق المستقبلات الكيميائية، كيف أتت هذه الذبابة الكبيرة إلى هذا المكان؟ لوجود حيوان ميت، انتشرت هذه الرائحة في الجو، وتأثرت بها هذه الذبابة، فجاءت إلى هذا المكان، هذه مستقبلات كيميائية، وهناك مستقبلات ميكانيكية، تعرف حركة الرياح والأصوات ، وما شاكل ذلك .

لكن الأغرب من هذا، أن هناك مستقبلات في بعض الحشرات، تتحسس بالأشعة تحت الحمراء، فإذا استمر إحساسها، بهذا الشيء الحار، بهذه الأشعة، إذاً: هي على استقامةٍ معه، إذا جاء الإحساس نوبياً، هي تقطعه عرضانياً، فإذا جاءت على محوره، يستمر هذا الإحساس، تتجه إليه، وهذا الجهاز موجودٌ في البعوضة .

فلو أن إنسانان نائمان على فراش، الأول مصابٌ بالحمى، حرارته مرتفعة، البعوضة على بعد ثلاثة أمتار، تعرف أن هذا الذي على اليمين، مصاب بالحمى، عندها قرون استشعار، فيها نهايات تتحسس بالأشعة تحت الحمراء، فتأتي إليه وحده .

والحمد لله رب العالمين